داود وسليمان

البحث عن ملوك التوراة المقدسين
وجذور التراث الغربي

يسرائيل فينكلشتاين   نيل آشر سيلبرمان

مؤلفا كتاب اكتشاف التوراة



نقله إلى العربية
عباس شمس الدين

قناديل

داود وسليمان: البحث عن ملوك التوراة وجذور التراث الغربي

يسرائيل فينكلشتاين - نيل آشر سيلبرمان

نقله إلى العربية: عباس شمس الدين

الطبعة الأولى 2024



دار قناديل للنشر والتوزيع

العراق - بغداد - شارع المتنبي

ganadel.1986@gmail.com

009647711313929

العراق - بغداد - مكتب بريد عدن، ص. ب 75021

- - - - - - - - - - - - -

ISBN: 978-9922-678-47-4

داود وسليمان

البحث عن ملوك التوراة المقدسين

وجذور التراث الغربي

يسرائيل فينكلشتاين

نيل آشر سيلبرمان

(مؤلفا كتاب اكتشاف التوراة)

نقله إلى العربية

عباس شمس الدين



ترجمة لكتاب

DAVID AND SOLOMON

In Search of the Bible's Sacred Kings
and the Roots of the Western Tradition

Israel Finkelstein
and
Neil Asher Silberman

NEW YORK, LONDON
2005

المحتويات

مقدمة المترجم

مؤلفا هذا الكتاب هما يسرئيل فينكلشتاين وهو أستاذ علم الآثار في جامعة تل أبيب، ومن رواد علم آثار بلاد الشام والحائز على جائزة دان ديفيد لعام 2005 في علم آثار البُعد الماضي. وقد عَمِل لسنوات عديدة كمدير معهد الآثار في جامعة تل أبيب وهو المدير المشارك لبعثة مجدو.

أما نيل آشر سيلبرمان فهو مؤلف ومؤرخ له مؤلفات عديدة التنوع في علم آثار الشرق الأدنى. وهو أيضا مدير مركز إينام للآثار العامة وعرض التراث في بلجيكا، يقدم الاستشارات ويعمل في مشاريع دولية في التفسير العام وسياسة التراث. وسبق للمؤلفين أن تعاونا في إصدار كتابهما ذي السمعة المدوية:

The Bible Unearthed: Archaeology's New Vision of Ancient Israel and the Origin of Its Sacred Texts

الذي ترجم إلى العربية باسم: التوراة مكشوفة على حقيقتها.

ادعى فينكلشتاين في مقابلة صحفية مصورة يومًا أنه صهيوني، في سياق دفاعه عن نفسه بعد إصداره كتابهما المشترك، ولا نتبرع للدفاع عنه هنا، إلا أن الضغط الهائل الذي يتعرض له أي مشكك في الرواية التوراتية جغرافية وتاريخا، سيُورثه ضغط هائل لن يحتمله أحد بالغ ما بلغت شهرته واحترام العالم لمنجزه البحثي والفكري، ومع ذلك فلا يبدو فينكلشتاين واضحا تمامًا في موقفه إزاء اكتشافات علم الآثار الأخيرة، ويبدو مراوغا، فيقول مثلا: إن الاكتشافات الأثرية الجديدة لا يجب أن تأكل شعور الشخص بهويته والتقاليد. فهو يُعد ما في التوراة- وهو ما يحاول وزميله في هذا الكتاب الذي بين يديك، أن يثبته- نتاج التطور الفكري والاجتماعي والسياسي لمجموعة تآلفت فيما بينها وانصهرت، وصاغت حكايات تحولت إلى أساطير ثم كتبت كتاريخ

موثق، لذا فبالنسبة للمؤلفين ليس مهما أن الواقعة حدثت، بل السبب الذي دفع مؤلفو الأسطورة أن يصوغوها بهذه الطريقة.

يقول المؤلفان في ختام كتابهما الذي بين يديك: "إن فهم عملية صنع الأسطورة حول داود وسليمان لا يُشكك بأي حال من الأحوال في قيمة التراث، بل على العكس من ذلك، فمن الأهمية بمكان أن نُقدر تاريخنا المشترك ودوره في تشكيل التراث التوراتي لليهودية والمسيحية. إن شخصيتي داود وسليمان تجسدان أساس الحضارة المتطورة التي نعيش فيها، في محاولتها التوفيق بين أحلام العصور الذهبية والقادة المثاليين مع الحقائق السياسية والاجتماعية والدينية المتغيرة باستمرار. وبهذا المعنى- وفي ضوء جميع الاكتشافات التي قدمناها- فإن علم الآثار لم يُدمر أو حتى يُقلل من قيمة تراث داود وسليمان القديم، بل أعاد تشكيله مرة أخرى فقط. "

والكتاب الممتلئ بالاستبصارات الذكية والجهد المضني في ربط الخيوط ببعضها، وهو يقدم مادة ثقافية أكبر من المادة التاريخية والآثارية، أنه كتاب تفسير وتأويل واستبطان، أكثر بكثير من كونه سجلًا للاستكشافات الآثارية أو ترتيبًا للسرد التاريخي.

يحاول الكاتبان أن يتتبعا قصة داود وسليمان باعتبارهما رمزًا للسلطة الدنيوية التي يصنعها الرب والانسان لتظل متقاذفة بينهما، فكلما ضعفت قبضة إحداهما قام الآخر بتطويع هذه السلطة وتفسير أسبابها والتوجيه إلى مآلاتها، والعكس صحيح أيضًا. انهما يقدمان قصة داود وسليمان كأساس لاهم مرتكزات فهم السلطة منذ العصر الحديدي إلى ذروة المجد الملكي في أوربا قبيل اندلاع الثورة الفرنسية. ويشرحا ببلاغة كيف أن حكايات وقعت في الألف الأول قبل الميلاد في تلال موحشة مقفرة شرق المتوسط مشكوك في صحة معظمها ستكون الدليل الإرشادي لأجيال من أعاظم الأباطرة والملوك لثلاث الاف سنة قادمة.

لقد ظهر الاتجاه الذي أسسه أو ينتمي له المؤلفان بعد انهيار (علم

الآثار التوراتي الأرثوذوكسي) والذي رسخ الاعتقاد – لقرنين – أن الآثار تتصالح مع التوراة وتؤكد تفاصيل مرويتها، فبعد دخول علماء الآثار العلمانيين الأقل رعبًا من السلطة الحاخامية حقول التنقيب وتوسع عمليات الاستكشافات الآثارية وبطلان الأدلة المزعومة السابقة حول صحة مزاعم التوراة وانكشاف تضادها التام مع تاريخ فلسطين، كانت الاتجاه الجديد في علم الآثار قد ظهر لا ليحطم أكذوبة ان تاريخ التوراة ووقائعها الأولى قبل السبي قد وقع في فلسطين، بل - للأسف - يحاول ترميم وتجسير ما وجدوه في يمناهم من التوراة وما كشفته يسراهم من آثار في مواقع التنقيب.

إن الثنائي يقدمان نظرية هي أخطر من الأساس الذي قامت عليه الصهيونية بمراحل، يمكن تسميتها بـ فوق صهيونية، فإن كان الصهاينة يؤكدون على حقهم في فلسطين نتيجة الحق التاريخي منذ غزو يشوع لها في نهاية العصر البرونزي، إلا أن فينكلشتاين - سيلبرمان يقدمان نظرية مخالفة تؤكد أن الإسرائيليين كان هم أهل الأرض منذ اللحظة الأولى، وهي فكرة أكثر تطرفًا مما ذهبا اليه في كتابهما المشترك (The Bible Unearthed) من أن دخول الإسرائيليين إلى أرض فلسطين كان نتيجة زحف واستيطان تدريجي وليس غزوًا عنيفًا.

فيرى فينكلشتاين- سيلبرمان إلى أن الإسرائيليين لم يأتوا إلى فلسطين في صورة فاتحين غزاة من الخارج، كما تقول التوراة، وإنما انبثقوا ونبتوا من داخل هذه البلاد، فهم السكان الأصليون وهم ليسوا بوافدين ولا مهاجرين، ويقولان إن علم آثار السنوات الأخيرة قد كشف عن سلسلة أحداث مغايرة لقضية الاستيطان - الهجرة من الخارج - التي تبنتها النظريات الآثارية التي سيطرت على المناخ التاريخي لتفسير التوراة منذ نهاية القرن الماضي والتي انهارت واحدة تلو الأخرى. والصورة التي تظهر اليوم - بحسب فينكلشتاين - سيلبرمان - من المكتشفات الأثرية تؤكد بأن مملكتي إسرائيل ويهوذا، ثم المملكة الموحدة، إنما بناها سكان محليون، ولم تكن نتيجة لغزو يشوع، وقد تبلور نظام الحكم فيها من

خلال تطور النظام السياسي من مشيخة ثنائية الشكل إلى إمبراطورية توسعية صغيرة استغلت ظروف انهيار العصر البرونزي.

لقد سعت هذه المدرسة التوفيقية منذ بدايتها لا سيما منذ أن أصدر فينكلشتاين كتابه 1988 The Archaeology of the Israelite Settlement، إلى القول إن المواقع الجديدة في الهضاب المركزية هي مواقع «إسرائيلية»، شكّلها سكان الداخل، فالجفاف، الذي ضرب المنطقة نهاية العصر البرونزي قلب الطبيعة المعيشية لسكان منطقة الهضاب المركزية، وحولّهم إلى رعاة جوالين. لكن عودة المناخ المطير إلى المنطقة بداية العصر الحديدي، أعاد انتعاش المنطقة لتستقر بها موجات الرعاة الجوالين وليأسسوا مشايخهم ومملكاتهم ودويلات مدنهم التي ظلت تتقارب وتندمج حتى انتهت إلى تكوين إسرائيل المملكة.

في كتابهما المشترك The Bible Unearthed 2001 ذهب فينكلشتاين وسيلبرمان إلى الادعاء بأن بروز "إسرائيل" المُبكّرة كان نتيجة لانهيار الثقافة الكنعانية، وليس سبباً له. وإن أغلب "الإسرائيليين" لم يأتوا من خارج كنعان - بل ظهروا من داخلها -فلم يك هناك خُروج جماعي من مصر، بل لم يكن هناك غزو وفتح عنيف لكنعان. وإن أغلب "الإسرائيليين" الأوائل هم الناس الذين نراهم في التلال طُول فترة العصرَيْن البرونزي والحديدي نفسهم - لقد كان "الإسرائيليون" الأوائل - بحسبهما - أصلاً من الكنعانيين.

إننا هنا إذ نحاول تلخيص عقيدة فينكلشتاين وأشباهه الاثارية - التاريخية، نقول إنه يعتقد ويعتقدون أن التوراة ما هي إلا إعادة بناء أدبي وسياسي لسفر تكوين الشعب اليهودي، وقد أنجزت كتابتها بعد مرور قرون من التاريخ الذي كنا نؤمن به سابقاً، وأن تلك النصوص الدينية كانت حصيلة توليف بدأ خلال حكم يوشيا ملك يهودا في القرن السابع قبل الميلاد. وفي تلك اللحظة، بدأت مملكة إسرائيل الجنوبية بالظهور

كقوة محلية، وفي حقبة كانت فيها مملكة إسرائيل الشمالية تحت سيطرة الإمبراطورية الآشورية. وكان الهدف من تلك النصوص خلق أمة واحدة، بناء على تعاليم الدين الجديد. وسجّل هذا المشروع ولادة فكرة التوحيد الإلهي، ومثّل محاولة توحيد شعب يحكمه ملك واحد بتوجيه إله واحد فقط، في عاصمة واحدة فقط هي أورشليم، وبوجود هيكل واحد فقط هو هيكل سليمان.

ويُرجح فينكلشتاين وآخرون أن علم الآثار الحديث كشف عن أنّ التناخ (كتب موسى الخمسة) وقصّة سفر التثنية قد جرى تأليفها بحدود القرن السابع قبل الميلاد. وجرى خلق التناخ خلال فترة الحكم المتأخرة في مملكة يهودا، بغية نشر أيديولوجيتهم ووفق احتياجات تلك المملكة وقتها. وإن تجميع سفر التثنية قد حصل خلال فترة حكم الملك يوشيا، لغايات أيديولوجية تحاكي طموحات سياسية وإصلاحية دينية خاصة. فخلال قرنين من البحث العلميّ، لم تقدم نتائج البحث دليل على أيّ حراك جماعي للسكّان بتلك المناطق في الحقبة التي زعمت التوراة بحدوث غزو يشوع. وإن نصوص التوراة تقدم مؤشرات تسمح بتقدير لحظة الانتهاء من تأليف سفر الملوك. حيث تكون قصص الإباء الأوائل مليئة بالجمال، في حين أن علم الآثار يؤكد بأنّ تدجين وتوطين الجمل العربي قد حدث عند نهاية الألفية الثانية السابقة للمسيحية، ولم تُستخدم الجمال في الحمل في شرق المتوسط إلا بعد العام 1000 قبل الميلاد بوقت طويل. وهذا يوافق مرحلة التجارة بين التجّار العرب في ظل سيطرة الإمبراطورية الآشورية بالقرنين الثامن والسابع قبل الميلاد. كما أنّ مفارقة أخرى تحصل بأوّل ظهور للفلسطينيين في ذات القصة، عندما يلتقي إسحق بالملك أبيمالك ملك الفلسطة. وأولئك الفلسطة هم مهاجرون قدموا من منطقة بحر إيجه أو من آسيا الصغرى واستقروا بسهل كنعان الساحلي منذ 1200 قبل الميلاد. فتثبت كل تلك التفاصيل بأنّ تلك نصوص التوراة إما كُتبت أو حررت بين القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد.

وعلى الرغم من اعترافه بأدلة مدرسة عربية التوراة نفسها التي تنفي أن يكون بنو إسرائيل قد وقعوا أسرى في بلاد وادي النيل ثم خرجوا منها، إلا أنه وجد من الأسهل نفي الواقعة أصلًا، بدلا من نقلها إلى مكان آخر في جزيرة العرب كاحتمال مقبول سبق أن طرح للنقاش العلمي، فينتقد فينكلشتاين مزاعم التوراة التي تقول إن نسل يعقوب مكث لـ 430 عام في وادي النيل قبل بدء الخروج نحو أرض الميعاد بقيادة موسى، وذلك بحدود القرن الخامس عشر قبل الميلاد أو بعده قرنين، فيقول إن كل الوثائق المصرية القديمة التي سجلت كل الإجراءات الإدارية بمملكة الفرعون، لم تحمل أيّ إشارة لحضور إسرائيلي خلال أكثر من أربعة قرون بأراضيها، وأنّه لم يكن يوجد كثير من الأماكن المذكورة بتلك القصة بتلك الفترة الزمنية. ولم تك مدينتا فيثوم ورعمسيس، اللتان بناهما العبرانيون العبيد قبل مغادرتهما مصر كما تقول التوراة، موجودتين في القرن الخامس عشر قبل الميلاد. والادعاء أن إسرائيل شكلت مملكة قبال القوة المرعبة للإمبراطورية المصرية لا يصمد، فمصر، ومنذ القرن السادس عشر قبل الميلاد، قد جهزت كامل منطقة غرب الشام بما فيها فلسطين بسلسلة من الحصون العسكرية المجهزة والمدارة بصورة ممتازة. وكانت سيطرة المصريين تمتد من شاطئ النيل الشرقي وصولا لأبعد قرى كنعان. وكان يجب أن تُثير أعداد الإسرائيليين المنتقلة عبر البرية (التي تقول التوراة إنهم بلغوا حوالي مليونين) قبال مصر وخلال 40 عام انتباه القوات المصرية. مع هذا، لا يوجد أيّ مسلّة تعود لتلك الحقبة كُتِبَ عليها شيء يتصل بأولئك الناس. و إنه لا وجود لمعارك كبرى مذكورة في التوراة تعود لتلك الفترة أيضًا. أما أريحا التي يصورها سفر يشوع بمدينة مسورة محصنة سقطت بنفخة من أبواق جيشه، فلم تك سوى قرية فقيرة هامشية. كما أنه لم يكن هناك أيّ أثر لاماكن أخرى كبئر السبع أو أدوم، ولم يكن هناك أيّ ملك بأدوم ليواجه الإسرائيليون واقعًا ، فلقد ظهرت تلك الأماكن، في وقت متأخّر جداً، على حدوث الخروج المزعوم، وبعد ظهور مملكة يهودا بزمن طويل.

كما أنّ أولئك الناس برحلتهم لمدة 40 عامًا، لم يتركوا أيّ أثر لهم في سيناء محل تيههم المدُعى. يقول فينكلشتاين: تمكنا من العثور على آثار لقرى صغيرة عاش بها 40 أو 50 شخصًا، ومن غير المعقول ألا يكون كل هذا الحشد العابر لبرية قد نام أفراده، وتناولوا الطعام وارتاحوا، ثم لا يوجد أيّ مؤشّر لعبورهم تلك البرية.

لكن السؤال الذي يجب أن يواجهه فينكلشتاين يسقط فيه سقوطًا مدويًا، فوفق كل هذه المعطيات التي يجب الاستنتاج منها أن الإسرائيليين لم يدخلوا فلسطين أصلًا، يعود إلى القول: إنهم كانوا في فلسطين أصلاً. وقد شكّل أوائل الإسرائيليين مجتمع رعاة متنقلين في كنعان، وعاشوا بمناطق جبلية خلال القرن الثاني عشر قبل الميلاد. ويستدل على ذلك بالعثور هناك على حوالي 250 تجمعًا صغيرًا جداً تعتمد على الزراعة - نسبهم فينكلشتاين بالطبع دون أدنى دليل ناهض إلى الإسرائيليين أو أسلافهم – ويؤكد فينكلشتاين أن تلك التجمعات كانت منعزلة عن بعضها البعض، لا إدارة فيها ولا تنظيم سياسيّ يّذكر، فقد بينت حفريات تلك المناطق المسكونة وجود صوامع تجميع، إضافة لوجود حظائر بدائيّة، وهذا ما قاد فينكلشتاين إلى الافتراض بأنّ أفراد تلك المنطقة، كانوا رعاة تحولوا لمزارعين. وكانت تلك الموجة الثالثة للاستقرار المسجّلة بتلك المنطقة منذ العام 3500 قبل الميلاد. وقد انتقل أولئك الساكنون، بسهولة بالغة، من الاستقرار لبديل تمثّل بالرعي.

وقد استدل على أن هؤلاء هم إسرائيليون بأنه لم يُعثر بأيّ بلدة - افترض أنها إسرائيلية - على بقايا عظام خنزير. فافترض بشكل دائري أن الإسرائيليين كانوا الوحيدين بتلك المنطقة، فهم الذين لم يأكلوا لحم الخنزير. على الرغم من اعترافه أن نصوص تحريم الخنزير لم تظهر إلا بعد مرور نصف ألفية من السنين. وعلى الرغم أيضًا من أن الفينيقيين - سكان جزء من أرض فلسطين التاريخية – قد كانوا امتنعوا عن أكل لحم الخنزير بسبب مصرع أدونيس بعد قتاله مع خنزير.

يعتمد فينكلشتاين على أن غياب الدليل هو دليل الغياب، فعدم وجود أي وثائق أو مكتشفات في علم الآثار، على مملكة داود وسليمان لا في الأرشيف الرافديني ولا الأرشيف المصري ولا في طبقات أرض فلسطين -على الرغم من العثور على نقش دان الذي ورد فيه ذكر "بيت داود " شمال فلسطين – دليل على الغياب التام، إنه يحوّل عدم وجود أدلة آثارية على مملكة داود وسليمان إلى كونها مسألة أسطورية بدلًا من كونها مسألة مؤجلة تنتظر البحث أكثر، أو مسألة يحتاج البحث عنها في مكان آخر.

ويسوق فينكلشتاين أدلة على بطلان النص التوراتي بان (أورشليم) التي غزاها داود، - والتي برأينا طابقها علماء الآثار غلطًا بالقدس في فلسطين، مثلما طابقوا - غلطًا - عديد من المواقع التوراتية مع المواقع الفلسطينية - كانت عبارة عن قرية صغيرة تحيط بها قرى قليلة السكّان. وهذا ما يخالف الأبهة العظيمة الموصوفة في التاريخ التثنوي الذي حكى عن عظمة مملكة داود وسليمان وجيشهم الكبير وإمبراطوريتهم الممتدة على رقعة كبيرة من الأرض.

إن فينكلشتاين يصوّر تاريخ التدوين المقدس التوراتي بأنها عملية طويلة ومعقدة، فبحدود نهايات القرن السابع قبل الميلاد، حدثت ثورة روحيّة غير مسبوقة في يهوذا إضافة لاضطرابات سياسية كبرى. وسيتشكل تحالف غير متجانس من موظفي البلاط، يقوم بحمل عبء تكوين ملحمة مؤلفة من مجموعات من القصص التاريخية، والمذكرات، والروايات، والقصص الشعبية، والأمثال، والتنبؤات والقصائد القديمة. وخضع هذا العمل الأدبيّ الرائد - نصف أصليّ التأليف، نصف المتكيّف مع إصدارات سابقة - لعمليات تنقيح وضبط قبل أن يشكّل الأساس الروحيّ لأجيال شعب يهوذا وجماعات لا تحصى على امتداد العالم.

في كتابه الذي بين يديك :

David and Solomon: In Search of the Bible's Sacred Kings and the Roots of the Western Tradition, New York. 2006

الذي ترجمناه تحت اسم: "داود وسليمان: البحث عن ملوك التوراة المقدسين وجذور التراث الغربي"، يؤكد فينكلشتاين - سيلبرمان نتائج ما توصلا إليه في أبحاثهما السالفة وبنيا عليه، فهما يشككان بوجود مملكة لها قيمة أنشئت في القرن العاشر، لانعدام أي دليل على وجود مملكة مثلما وصفتها التوراة في ذلك العصر، بل يتبعان نتائج علم آثار فلسطين الذي يؤكد أنه إن كانت هناك مملكة لها قيمة يمكن أن نتخيلها فإنما هي نتاج القرن الثامن قبل الميلاد، وإن المدونين اليهود علمانيين وكهنة إنما نسبوا إلى داود وسليمان ما لم يخطر ببالهما، فمنجزات ملوك يهوذا كآحاز وحزقيا ومَنَسّى ويوشيا الذين جاءوا بعد العصر المفترض لداود وسليمان بمدة مديدة نُسبت إلى الرجلين وأُلبس عصرهما لباس العصور التالية.

إن الرحلة الذكية التي سارها المؤلفان في تحليل تأثير صورة داود وسليمان عبر العصور على ملوك وممالك وشعوب وثقافات، وتأثرها بآمال ورغبات وأماني من آمن بهما، وتلونها وتحولاتها المدهشة يجعل القارئ يخوض تجربة تثقيفية رائعة رغم انجراف الكتاب إلى عمق البحث التحليلي التاريخي للمكتشفات الآثارية وصرامته الأكاديمية وتقديمه لنظرية جعلت علم الآثار مطية لها بدلًا من ان تجعله مقياسًا لصدقها أو بطلانها.

لقد تخلص الكاتبان من المنطق الدائري الذي يجعل من التوراة دليلا لعلم الآثار، ثم يحول علم الآثار دليلًا على صدق الآثار، لكنهما لم يتخلصا قط من الاعتقاد الراسخ في العقلية اليهودية من أن أحداث التوراة فيما قبل فترة السبي وقعت في فلسطين وليس في أي بقعة أخرى، وهو سم قاتل لكل باحث في تاريخ آثار التوراة.

إن الاعتقاد أن فلسطين العصر الحديدي المبكر كانت ساحة نشوء مملكتي إسرائيل الشمالية ويهوذا الجنوبية، هو الفخ الذي صنعته

الأخطاء التاريخية والنصية المتراكمة منذ عصر ترجمة السبعونية وإلى اليوم، والذي لا يستطيع حتى نُقاد المدرسة الآثارية التوراتية من التخلص من نتائجه ما داموا – وإن نجحوا في التخلص من التاريخ المزعوم - ما يزالون يتخبطون في شراك الجغرافية الملفقة.

أعتقد - مثل بعض الباحثين - أن جغرافية التاريخ التثنوي بأكملها – بل جغرافية التناخ أيضًا - وقعت في منطقة شمال غرب جزيرة العرب، وليست في فلسطين، وهي منطقة انعدمت فيها حملات التنقيب إلا في حدود ضيقة جدًا. وإن علماء آثار التوراة يبحثون في المكان الخطأ، ولن تفلح أي محاولة تنقيبية أو تفسيرية بالغًا ما بلغت براعتها، مثلما يتحلى بها فينكلشتاين و سيلبرمان ، أن تفسر لنا الفوضى والتناقض الهائل بين المدونات التاريخية في آشور وبلاد وادي النيل وما تدعيه التوراة، إذا بقينا نحتفظ بوضع وقائعها في فلسطين التاريخية.

عباس شمس الدين

27 تشرين أول 2003

توطئة

الراعي والمقلاع

يُعد وادي إيلة الصغير النائي في جنوب فلسطين هو مكان فريد من نوعه للإلهام التوراتي، فوفقا للرواية الشهيرة في سفر صموئيل الأول الإصحاح 17، كانت مناظره الطبيعية القاسية الخالية من الأشجار بحقولها المفتوحة وتلالها الواطئة موقعًا لمواجهة دراماتيكية ظلت حية في وعي العالم الغربي.

وحتى اليوم، ووسط صمت الوادي، ما يزال بإمكان المرء تخيل ذلك المشهد الملحمي؛ فعلى جانبٍ كانت جيوش الفلسطة المحتشدة، والمُدرعة بكثافة، واثقة، وجاهزة للمعركة. فيما على الجانب الآخر كانت هناك قوة من المتطوعين من المزارعين الإسرائيليين الذين تحشدوا على عجل من قراهم وأرباض اغنامهم، عازمين على الدفاع عن أرضهم وعقيدتهم، حينها تقدم العملاق الفلسطي المخيف جالوت إلى الأمام مُسلحًا بالسيف والمطرد والرمح الثقيل مرتديًا معطفًا مزردًا وخوذة برونزية، فلعن خصومه الإسرائيليين المسلحين تسليحًا خفيفًا وتحداهم لاختيار محارب واحد لمحاربته:

"اختاروا رَجُلا يُنازِلْني. فإنْ حارَبَني وقتَلَني" زمجر جالوت "صِرنا لكُم عبيدا، وإنْ تغلَّبتُ أنا علَيهِ وقتَلتُهُ تَصيرونَ أنتُم لنا عبيدا وتَخدِمونَنا".

ولمدة أربعين يومًا، ظل العملاق الفلسطي يخرج من صفوف جيشه المنتظر ويصرخ بتحديه. كان الإسرائيليون قد "ارتاعوا وخافوا جِدًّا" ولم يجرؤ أحد على منازلته. ومع ذلك، فإن راعيًا شابًا وسيمًا يدعى داود، والذي ارسله والده إلى ساحة المعركة لإيصال المؤن لإخوته الأكبر سنًا، برزغ فجأة كمنقذ غير متوقع، مسلحًا بعصا الرعي وحقيبة

من أحجار المقلاع فقط، وحين اقترب من الجبار جالوت؛ ضحك الفلسطي المتغطرس بازدراء على خصمه الضئيل، لكن داود تمسك بمكانه وأعلن بجرأة:

"أنتَ تَجيئُني بِالسَّيفِ والرُمحِ والتُّرسِ وأنا أجيئُك باسمِ الرّبِّ القديرِ، إلهِ جيشِ إسرائيل الّذي أنتَ تَحدَّيتَهُ"، ثم أخذ داود حجرًا من حقيبته وقذفه؛ فصك الحجر جبهة العملاق الشاهق مباشرة، وسقط جالوت على الأرض وهو يغمغم. وعندما رأى الفلسطة أن بطلهم الجبار قد قتل على يد الراعي الشاب، فروا في حالة من الذعر. وانتزع داود سيف جالوت وقطع رأس العملاق كتذكار لانتصار إسرائيل العظيم. فقام رجال إسرائيل ويهوذا "وهتفوا هُتافَ الحربِ" وطاردوا الفلسطة المنسحبين طوال طريق العودة إلى أراضيهم. لقد جرى الرد الحاسم على التهديد لاستقلال إسرائيل، وبدأت سيرة داود الإلهية كمدافع وقائد، وفي النهاية ملك على كل إسرائيل.

ان انتصار داود على جالوت هو أحد أكثر المشاهد التي لا تنسى في التوراة، ومع ذلك فإنه يثير عديد من الأسئلة المثيرة للاهتمام: هل حدث ذلك حقا؟ وهل يمكننا اعتباره تدوينا تاريخيا موثوقا به؟ وهل كُتبت القصة في عهد داود أم بعد سنوات عديدة؟ وهل هناك فرصة على أي حال لتحديد متى جرى تأليفها؟ وهل يمكننا اكتشاف الطبقات المخفية في القصة؟ ولماذا تنسب التوراة - في كثير من الأحيان التي يجري التغاضي عنها - الفضل في قتل جالوت لبطل آخر ؟ ولماذا تشبه القصة إلى حد بعيد وصف هوميروس للمبارزات الأسطورية بين الأبطال الإغريق وأبطال طروادة؟ وهل هي مجرد قصة بسيطة أم أنها تخفي الظروف والدافع لتأليفها؟ وما هي أهميتها الأوسع لفهم تطور اللاهوت اليهودي المسيحي؟

إن هذا الكتاب يسعى للإجابة على كل تلك الأسئلة، ليس فقط فيما يخص ما جرى بين داود وجالوت، ولكن ما يخص قصة داود وابنه

سليمان بأكملها وسيّرهم الأسطورية. لأن قصة داود وسليمان التوراتية قد تُليت لقرون عديدة كدرس حول كيف يُمكن للشجاعة والإيمان والحكمة أن تُنقذ الناس من الاضطهاد وتؤسس لاستقلالهم وازدهارهم ، وهما الهدفان التوأم اللذان تتوق لهما كل الشعوب، ويسعى كل زعيم عادل جاهدا لتحقيقهما. لقد قدمت قصة تأسيس داود وسليمان لمملكة موحدة قوية ومزدهرة في إسرائيل نموذجاً للقيادة الصالحة المكرسة في التراث اليهودي والمسيحي وفي كل مجتمع استمد سلطته الأخلاقية منها. وبالتالي فإن قيمة دراسة هذه الملحمة التوراتية ذات شقين: فيمكنها الكشف عن مراحل تأليف العهد القديم العبري (واستخدام تجلياته في العهد الجديد) على مدى ألف عام تقريبًا. ويمكن أن تساعد أيضًا في تفسير سبب كون ايقونة داود وسليمان كانت – وما تزال – قوية جدًا في التراث الغربي، من خلال الكشف عن الأسباب التاريخية وراء تطور القصة كما حدثت.

سيكون التحدي الذي يواجهنا هو تقديم منظور جديد لقصة داود وسليمان من خلال تقديم كم هائل من المعلومات الآثارية الجديدة حول صعود وتطور المجتمع القديم الذي تشكلت فيه الحكاية التوراتية. وسنحاول فصل التاريخ عن الأسطورة. والذكريات القديمة من تفصيلاتها اللاحقة؛ وحقائق الدعاية الملكية؛ لتتبع تطور رواية داود وسليمان من أصولها القديمة إلى الجمع النهائي لروايات التوراة. وباتباع هذا المسار، سيكشف بحثنا عن داود وسليمان عن الشد المذهل بين الحقيقة التاريخية والتراث المقدس؛ وفي هذه الحالة، بين واقع يهوذا في العصر الحديدي والأسطورة الغربية التي ما تزال حية عن ملوك إسرائيل القدماء المقدسين.

مقدمة

داود وسليمان والتراث الغربي

الأساطير القديمة و التوراة وعلم الآثار

من الكاتدرائيات الشاهقة والقصور الأنيقة في أوروبا في العصور الوسطى، إلى صالات العرض الهادئة للمتاحف الفنية المشهورة عالميا، إلى منابر أمريكا المنعزلة وملاحم هوليوود، تُعد قصة ملوك إسرائيل المقدسين القدامى، داود وسليمان، واحدة من أكثر مصادر تراث الحضارة الغربية ديمومة. فإن شخصيتي داود - الراعي المحارب والملك المحمي إلهيًا - وابنه سليمان- البناء العظيم والقاضي الحكيم والمسدد الهادئ لإمبراطورية شاسعة- قد أصبحتا نماذج خالدة للقيادة الصالحة تحت رعاية الله. ولقد شكلا النموذج الغربي للملكية وكانا بمثابة نماذج للتقوى الملكية، والانتظار المسياني، والمصير الاممي.

ولأول مرة، بفضل علم الآثار، يمكننا الآن تشريح العناصر الرئيسية للقصة التوراتية لمعرفة متى وكيف ظهر كل منها. وقد تكون نتائج بحثنا مفاجئة، لأن الاكتشافات الآثارية في العقود الأخيرة أظهرت بوضوح مدى بُعد التصاوير التوراتية الفاتنة عن العالم الفعلي، ومع ذلك لم تكن الأسطورة مجرد خيال رومانسي لشخصيات وأحداث خيالية، بل لقد تطورت على مر القرون من لب الذكريات الأصيلة إلى إبداع أدبي معقد وخالد، ففي صورها التي لا تُنسى ومشاهدها الدرامية - كالمعركة ضد جالوت، وصعود داود من خارج على القانون إلى ملك، وروعة بلاط سليمان - تُعبر أسطورة داود وسليمان عن رسالة عالمية للاستقلال الوطني والقيم الدينية السامية التي يعدها البشر في جميع أنحاء العالم مُلكًا لهم. ومع ذلك، كما سنرى، يمكن تتبع أصولها في علم الآثار وتاريخ مملكة واحدة صغيرة من العصر الحديدي حيث نمت من مجتمع قروي إلى دولة معقدة.

القصة التوراتية باختصار

النسخة الأكثر تفصيلًا من قصة داود وسليمان، واردة في السرد الذي يمتد من سفر صموئيل الأول إلى سفر الملوك الأول، وتصف كيف حقق شعب إسرائيل الاستقلال وتمتع بحقبة من الازدهار غير المسبوق. لقد هوجموا واضُطهدوا في قراهم المرتفعة من قبل الغزاة الفلسطة الوحشيين القادمين من السهول، حينها رفع شيوخ إسرائيل أصواتهم مطالبين بزعيم يمكنه حمايتهم من أعدائهم. وحتى ذلك الحين، كان الإسرائيليون يُحكمون في قبائلهم المنفصلة من قبل "قضاة" يُوحى إليهم. "في وقت الأزمة، قام النبي الجليل صموئيل، باتباع وحي الله على الرغم من شكوكه الخاصة، فمسح شاول، وهو شاب وسيم من سبط بنيامين، ليكون أول ملك على كل إسرائيل. كان شاول قائدًا عسكريًا جريئًا، لكنه أثبت أنه غير مستقر، وتعرض لنوبات عميقة من الاكتئاب، وعنف متهور، وانتهاكات متكررة للشريعة. وهكذا وقع اختيار الله الثاني سرًا على داود، ابن يسى، الراعي الشاب من يهوذا، الذي استدعي لتهدئة نوبات جنون شاول بموسيقى قيثاره. ومع تطور السرد، يتكشف مصير داود العظيم، حتى مع استمرار شاول في الحكم. ففي ميدان المعركة ضد حشد الجيوش الفلسطية، أطاح داود بجالوت الجبار ونال استحسان الأمة، مما اثار غضب الملك شاول. وفي رحلة يائسة إلى البرية هربًا من غيرة شاول القاتلة، يثبت داود قيادته وشجاعته ومهاراته، بصفته رئيس مجموعة متجولة من الرجال الأقوياء، يقوم بتصفية الحسابات، وصد هجمات العدو، وتنفيذ انتقام الله، يوزع الغنائم التي يستولي عليها على المظلومين والفقراء. وعندما يموت شاول في ساحة المعركة، أُعلن عن داود ملك ليهوذا، وفي نهاية المطاف ملكًا على كل إسرائيل باعتباره الممسوح المختار من الله، أو "المسيح". إنها قصة كلاسيكية عن صعود البطل الشاب، المحارب من أجل الإيمان الحقيقي ورجل يتمتع بكاريزما غير عادية، يقترض عباءة زعيم فاشل ويصبح تجسيدًا لآمال شعبه وأحلامه.

كانت مآثر داود اللاحقة كملك لإسرائيل بمثابة نموذج لرؤى التوسع الإقليمي والميراث الإلهي، على مدى قرون عديدة. وإيفاءً بوعد الله بأن يجعل من إسرائيل أمة عظيمة، يفتح داود أورشليم ويجعلها عاصمته، مهيئًا مكانًا مشرّفًا دائمًا لتابوت العهد هناك، تابوت العهد الذي رافق شعب إسرائيل في تيههم الطويل. ثم يكتسح داود وجيوشه جميع أعداء إسرائيل فيهزمهم ويدمرهم، ويؤسس لمملكة شاسعة تمتد من نهر الفرات إلى حدود مصر. وعند وفاته، يخلف سليمان، ابن بَتشابَعَ الجميلة، داود، الذي يحكم المملكة بحكمة ويبشر بعصر من السلام والازدهار. إنه سرد مثير للقوة والنعمة الإلهية الذي تتمتع به أمة اختار الله حكامها بنفسه.

يمضي سليمان في بناء هيكل رائع في أورشليم ويحكم بالعدالة والحكمة، على بيروقراطية واسعة وجيش عظيم وشعب عظيم. من خلال مهاراته الدولية ومهارته في التجارة والدبلوماسية، يُحتفى بسليمان في جميع أنحاء العالم باعتباره أغنى الملوك واكثرهم حكمة. يتزوج من ابنة فرعون ويكتسب شهرة كقاض فطن، ومؤلف أمثال، وعارف بكل ثروات الخليقة من أشجار ووحوش وطيور وزواحف وأسماك. وعندما تشد ملكة سبأ الرحال إلى أورشليم من مملكتها البعيدة في شبه الجزيرة العربية لمقابلته، "أجابَ على جميعِ أسئِلَتِها، ولم يَترُكْ أصعَبَها دونَ جوابٍ." (1 مل 10: 3). ان صورة سليمان هي التلاقي المثالي بين الحكمة والبذخ والقوة في شخص الملك. وفي الواقع، ان حكم سليمان، في أورشليم هو لحظة يتحقق فيها الوعد الإلهي بشكل الملموس؛ كان مُلكه عصرًا ذهبيًا من الرخاء والمعرفة والقوة لجميع شعب إسرائيل. وسيُستذكر مُلك سليمان - إلى الأبد – بحنين؛ بعدّه العصر الذهبي للإشباع الروحي والمادي الذي قد نختبره مرة أخرى يومًا ما.

ومع ذلك، ففي نص التوراة، يعاني كل من داود وسليمان أيضًا من عيوب بشرية كبيرة، وعميقة مثل مواهبهم التي وهبها الله لهما. فأثناء فراره من شاول، يتعاون داود مع العدو الفلسطي ويقوض سلطة شاول

بشعبيته الكبيرة. وبعد وفاة شاول مباشرة، يتنصل داود بشكل غير مقنع من المسؤولية عن اغتيال أقرب مؤيدي شاول وورثته. وفي وقت لاحق، فان زواجه من بَتشابَعَ الجميلة يأتي نتيجة لإغواء بالغ ومناورة قاسية لضمان موت زوج بَتشابَعَ، أوريا، في ساحة المعركة. مع مرور السنين، يبدو داود عاجزًا عن السيطرة على التنافس العنيف بين أبنائه الأميرين: أمنون وأبشالوم. وعندما يحاول أبشالوم الإطاحة بداود، يكون الملك المسن ضعيفًا وغير متزن؛ حتى انه يصرخ، عندما يتلقى خبر إعدام أبشالوم: "يا ابني أبشالوم، يا ابني أبشالوم. ليتَني مُتُّ بدلا مِنكَ يا أبشالوم ابني، يا ابني!" (2 صم 18 :33) [1]. في مراحل مختلفة من حياته، كان داود زعيمًا لا يرحم، وعاشقًا نهمًا، وأبًا متذبذبًا وحزينًا. بكلمة واحدة، هو إنسان بشكل أساسي، محاصر بين مصيره وخطاياه. بالطريقة نفسها، يكشف سليمان التوراتي أيضًا عن جانب أكثر ظلامًا وضعفًا؛ ففي النهاية يخون سليمان سمعته كمؤسس تقي للهيكل، ويستسلم لإغراء النساء والآلهة الأجنبيات، ويُدخل حريمه الكبير من الموآبيات، والعمونيات، والأدوميات والصيدونيات والحيثيات العبادة الوثنية إلى المدينة المقدسة، فيُغضب الله. أما الشعوب المهزومة التي كانت مهزومة ذات يوم فتنهض متمردة بعد موت سليمان، وتتحرر القبائل العشر الشمالية لإسرائيل لتؤسس مملكة منفصلة.

إنه درس حي حول: كيف يمكن لكفر زعيم محب للترف أن يُدمر عصرًا ذهبيًا. ومع ذلك، فقد أعطى الله وعدًا أبديًا غير مشروط بأن "عرشُكَ يكونُ راسخًا إلى الأبدِ" (2 صم 7: 16) وأن سلالة داود لن تتلاشى أبدًا. فحتى بعد الانهيار الأخلاقي لسليمان وتفكك مملكته العظيمة، يؤكد الله لشعب إسرائيل أنه سيحافظ على الميراث الأبدي لنسل داود. "وأمَّا ذُرِّيَّةُ داود فإنِّي أُذِلُّها لِما فعَلَهُ سليمان، لكِنْ لا كُلَّ الأيَّامِ" (1 مل 11 :39). فأي ضمان أعظم يمكن أن يكون لأي شعب؛ بأنه وعلى الرغم

(1) في النسخة العبرية من العهد القديم التي يعتمدها المؤلفان فان هذه الفقرة تأتي بالتسلسل المدرج في المتن، لكن الطبعة العربية المشتركة تضعها في (صم: 2 : 19: 1)

من الأخطاء البشرية لحكامهم وضعفهم؛ فإن رفاهية الأمة ستظل آمنة؟ الصور التوراتية لداود وسليمان ضخمة الحجم ولا تنسى، مرسومة بألوان زاهية، مليئة بالتناقضات البشرية واللاهوتية، ومع ذلك فإن وعد الله بالحماية الأبدية لداود ولجميع نسله يقدم الأمل في أن ينشأ داود أو سليمان جديدان في يوم من الأيام للدخول إلى عصر ذهبي جديد وأكثر إثارة للدهشة.

ملوك الغرب في الماضي والمستقبل.

في نظر إسرائيل القديمة، كان داود وسليمان آباء مؤسسين محليين؛ أما في نظر التراث اليهودي المسيحي، في تطوره وتوسعه على مر القرون، فقد أصبح داود وسليمان يمثلان أكثر من ذلك بكثير؛ إنهم جزء لا يتجزأ من الشريعة والتراث اليهودي والمسيحي، ويجري تبجيلهم باعتبارهم أعظم قادة مملكة إسرائيل المختارة من الله، وباعتبارهم الرواد الروحيين للقادة والأمراء والملوك في جميع أنحاء العالم الغربي وبعد تدمير مملكة يهوذا في العصر الحديدي عام 586 ق.م، فقد طورت شهرة داود وسليمان الأسطورية والاعتزاز بها بشكل فريد. لقد رقد الأب العظيم إبراهيم بسلام كامل في قبره في حبرون. أما موسى، المشرع العظيم، فلن يعود أبدًا. لكن داود وسليمان كانا متلقيين الوعد الإلهي الذي يضمن بقاء الشعب وفداءهم في نهاية المطاف.

لقد قُدم لنسل داود، بن يسى، وعدًا بالمستقبل، مهما بدا الحاضر قاتمًا. كما جاء في سفر إشعياء:

يخرُجُ فرعٌ مِنْ جِذعِ يَسَّى وينمو غُصنٌ مِنْ أُصولِهِ. روحُ الرّبِّ ينزِلُ علَيهِ، روحُ الحِكمةِ والفَهْمِ والمَشورةِ روحُ القوَّةِ والمَعرفةِ والتَّقوى، ويبتَهِجُ بمخافةِ الرّبِّ. لا يقضي بحسَبِ ما ترَى عيناهُ ولا يحكُمُ بحسَبِ سَماعِ أُذُنَيهِ، بل يقضي للفُقَراءِ بالعَدلِ ويُنصِفُ الظّالِمينَ بكلامٍ كالعصا،

ويُميتُ الأشرارَ بنَفخةٍ مِنْ شَفَتيهِ. يكونُ العَدلُ حِزاما لوَسطِهِ والحَقُّ مِئزَرا حَولَ خَصرِهِ. » (إش 11 : 1 - 5).

لقد غذى هذا الأمل التوقعات اليهودية لعدة قرون. ولكن ليس لليهود فقط: فعندما جرى تبني الكتب المقدسة العبرية باعتبارها العهد القديم للمسيحية، اعتمدت الأهمية التوراتية لداود وسليمان لخدمة مخطط ميتافيزيقي جديد، فبالنسبة للمسيحيين، ورث يسوع الوعد المسياني الذي قبله داود، ومن خلاله وَرِثه ملوك العالم المسيحي. أما بالنسبة للمسلمين، فقد مُنح داود وسليمان مكانًا في التراث الإسلامي كملوك عظماء وقضاة حكماء نفذوا مشيئة الله. وهكذا، أصبحت أسطورة داود وسليمان مثلًا مركزيًا عن الملكية والنعمة الإلهية من صحاري الجزيرة العربية إلى سواحل الدول الاسكندنافية والجزر البريطانية التي تغمرها الأمطار. وعلى مر القرون، جرى التعبير عن المشاهد والرموز والصور الحية لقصص داود وسليمان التوراتية في كل الوسائط الفنية تقريبًا: صورة الراعي اليهودي الشاب مع خرجه المليء بالحجارة، واقفًا فوق جسد جالوت الهامد. والشاب ذو القيثار الذي يستطيع كبح الأرواح الشريرة؛ والملك الشهواني الذي سرق زوجة رجل آخر وتسبب في وفاة زوجها؛ والابن الملكي الحكيم والخليفة الذي استضاف ملكة سبأ الغريبة ذات الأبهة العظيمة والتي حكمت في روعة وازدهار لا يمكن تصورها. إن صور المسحة الإلهية لداود وسليمان، والجلال على العرش، وقوة غزو العالم، تعبر عن رؤية عالمية للإرشاد الإلهي والمصير الاممي.

قدمت الصور التوراتية لقصة داود وسليمان أدوات أساسية في صياغة مجموعة واسعة من الممالك المحلية والعالمية اللاحقة. فقد قام الإمبراطور الروماني قسطنطين بتمثيل دور سليمان الجديد عندما تولى السيطرة على الإمبراطورية الرومانية المسيحية. وتفاخر جستنيان بأنه تفوق حتى على سليمان عند تدشين كنيسة آيا صوفيا الضخمة في القسطنطينية. وارتدى كلوفيس، ملك الفرنجة، شخصية داودية أكثر

ريفية؛ أما شارلمان، الذي تُوج إمبراطورًا رومانياً مقدسًا في يوم عيد الميلاد عام 800، فقد نصّب نفسه على أنه داود الجديد الذي سيجعل المملكة الموحدة لأوروبا ليست أسطورة توراتية، بل حقيقة من القرون الوسطى. وقد تبعه في إخلاصه لصورة الملك داود الحكام الفرنسيون والألمان والإنجليز في القرون التالية.

بحلول القرن الثالث عشر، ذَكّرت شجرة نسب يسي المنحوتة بإتقان على واجهات الكاتدرائيات الأوروبية الكبرى جميع المصلين بالاستمرارية المقدسة للخط الداودي. فترتفع من شخصية يسى والد داود المتسلقة، بالمحلاق العنكبوتي[1] على هذه الكروم الصاعدة من الحجر أو الزيت أو الزجاج الملون إلى أعلى في سلسلة عضوية عظيمة من السلطة الإلهية، من داود بقيثاره، وسليمان وتاجه، إلى ملوك يهوذا اللاحقين، إلى يسوع، فالقديسين، ثم إلى الملوك المتوجين في عالم العصور الوسطى. وعلى نحو مماثل، قام الفاتح العثماني العظيم والمشرع سليمان القانوني، الملقب بـ "العظيم"، بتعزيز صورته العامة باعتباره سليمان الثاني، لتقديس السلطة التاريخية والدينية لإمبراطوريته. وفي عصر النهضة، أدت المنحوتات الشهيرة لداود التي نحتها كل من مايكل أنجلو، ودوناتيلو، وفيروتشيو إلى تعميم مثال داود على انه يعبر عن الوعي بأهمية الدور الذي يلعبه الفرد في تقرير مصيره الشخصي. كما ظهرت في وقت لاحق، في لوحات رامبرانت في العصر الذهبي لهولندا، وفي شعر جون درايدن في إحياء إنجلترا، وفي أغاني معركة المستعمرين الأمريكيين الأوائل. لقد ارتفعت صور جديدة لداود لإطاحته بشاول المجنون وهزيمته جالوت المتبجح، وادانة أبشالوم الجديد والحزن على أعمال التمرد الغادرة. وكان سليمان الجديد يراقب الإمبراطوريات الكبرى. فلم تعد قصص ملوك إسرائيل القدماء داود وسليمان مجرد قصص لأبطال توراتيين أو سلائف صوفية لتجسد

(1) المِحْلاقُ أو الحالق أو العَنَم أو العَطْفَة أو المِعلاق عضو نباتي ذو شكل لولبي تستعمله بعض أنواع النباتات المتسلقة للتعلق على دعامة. المترجم

المسيح؛ بل أصبحوا الآن أيضًا نماذج يُحتذى بها من المقرر أن يتبعها الحكام الدنيويون لشعوب التوراة الجديدة.

وحتى اليوم، وهو العصر الذي انتهت فيه الملكية الغربية بكل زخارفها الاحتفالية، فإن سلطة داود وسليمان ما تزال قائمة. وسواء جرى الإيمان بها حرفيًا كتاريخ أو جرى تقديرها لقوتها الأسطورية، فإن السرد التوراتي للملوك المؤسسين لإسرائيل الموحدة ظل جزءًا مهمًا من الثقافة الغربية. وعلى الرغم من أن معظم الناس قد لا يعرفون سوى القليل عن محتويات التوراة، إلا أن القليل منهم بحاجة إلى الاستفهام عن معنى معركة "داود وجالوت" أو ماذا تعني "دينونة سليمان". وببساطة، لولا داود وسليمان لكان عالمنا مختلفًا. ان القصص التوراتية لداود وسليمان تقدم نموذجًا للقيادة الغربية ونموذجًا أصليًا للسلطة الملكية التي تؤثر على كل واحد منا، بوعي أو بغير وعي.

تشريح ملحمة التوراة

ولفهم تطور هذا النموذج الأصلي، نحتاج أولا إلى فحص مصدره المكتوب؛ وهي التوراة. وقبل التحول إلى علم الآثار، من المهم أن نأخذ بعين الاعتبار العمل المضني الذي قام به علماء التوراة الذين حاولوا تفسير متى ولماذا كتب هذا الكتاب. بالنسبة لهؤلاء العلماء، فإن حياة داود وسليمان وأعمالهما متضمنة في وحدات أدبية محددة جيدًا، ويمكن التعرف على تاريخها وتاريخ تأليفها من خلال أدلة أسلوبية واصطلاحية ولغوية في تحليل محتويات أجزاء مختلفة من التوراة وقد استنتج عديد من علماء التوراة أن رواية داود وسليمان الطويلة الواردة في سفري صموئيل والملوك الأول هي جزء من عمل أدبي متميز، يُعرف باسم (التاريخ التثنوي)، والذي يمتد في أسفار يشوع والقضاة والسفر الأول والثاني لصموئيل وسفري الملوك الأول والثاني. هذا العمل - الذي ستتاح لنا الفرصة للإشارة إليه مرارًا وتكرارًا - هو المصدر التوراتي

الرئيس لتاريخ إسرائيل، الذي يصف الأحداث العاصفة والمعجزة والخطيرة التي حدثت منذ عبور الأردن وحتى غزو أرض كنعان، إلى إنشاء الممالك الإسرائيلية، وانتهاء بالتدمير المأساوي لأورشليم والسبي البابلي.

وقد أطلق عليه اسم "التاريخ التثنوي" لأن العلماء قد أدركوا مدى قواسمه المشتركة - لاهوتيًا ولغويًا - مع السفر الفريد والأخير من أسفار موسى الخمسة، وهو سفر التثنية. فمن بين جميع أسفار التوراة، فسفر التثنية وحده ، يفرض عبادة مركزية بشكل صارم على شعب إسرائيل ويصف مجموعة تشريعات مفصلة حول كل شيء بدءًا من الاحتفالات الدينية مرورا بالعادات الغذائية وممارسات الإقراض وانتهاء بعمليات الطلاق الشرعي. وتنقل جميع هذه القوانين كوصايا إلهية لا لبس فيها. فإذا جرى الالتزام بها، فإن شعب إسرائيل سوف يزدهر ويرث البركات الإلهية. وإذا ما أنتهكت، فإن شعب إسرائيل سيدفع ثمن خطاياه غالياً. وفي حين أن سفر التثنية يعرض الشريعة، فإن تاريخ سفر التثنية هو قصة طويلة عن كيفية تطبيق هذا المبدأ الإلهي في تاريخ البشرية. فهو لا يصف الأحداث ويقدم شخصيات توراتية فحسب، بل يستخدمها لشرح لماذا غُزيت أرض الميعاد بمثل هذا العنف، ولماذا عانى الإسرائيليون فيما بعد على أيدي جيرانهم الأمميين، ولماذا صار الملكين داود وسليمان، ملكين عليهم. ولم خلفاءهم، وشعب إسرائيل إما ازدهروا أو عوقبوا وفقًا لتقديسهم أو انتهاكهم لشريعة سفر التثنية. ووفقًا لكثير من العلماء، فقد ظهر التاريخ التثنوي بشكله الحالي إلى حد كبير في أواخر القرن السابع قبل الميلاد، في عهد يوشيا ملك يهوذا (639-609 ق.م)، بعد ثلاث قرون من عصر داود وسليمان تقريبًا [1]. ولكن هذا لا يعني أن التاريخ التثنية كان مؤلفًا جديدًا تمامًا أو مبتكرًا تمامًا عندما وصل إلى شكله الذي يمكن التعرف عليه. فتحت رسالته المنطقية الصارمة والموحدة، يُعد تاريخ التثنية بمثابة خليط أدبي.

(1) سيتم وصف ظروف التجميع الأولي للتاريخ التثنية في الفصل 6.

ومن الواضح أنه نتيجة لتحرير مصادر سابقة مختلفة معًا - وليس عملاً أصليًا واحدًا كتبه فرد أو مجموعة من المؤلفين في وقت واحد. يحتوي النص على فجوات متنافرة، ومقتطفات من الشعر، واقتباسات من أعمال أخرى، وقوائم جغرافية تتخللها مقاطع طويلة من السرد. فمن ضمن تاريخ التثنية الأطول، فإن قصة داود وسليمان - الممتدة عبر الأسفار الأولى والثانية لصموئيل والإصحاحات الإحدى عشرة الأولى من سفر الملوك الأول - هي في حد ذاتها مجموعة من المصادر السابقة. ترتبط، وغالبًا ما يجري اعتراضها، بمقاطع شعرية، وبقوائم طويلة للأسماء، وبأوصاف جغرافية أو إدارية مفصلة، وهي ثلاث مؤلفات طويلة تروي، بالتسلسل، الأحداث الرئيسية في حياة داود وسليمان. هذه الأعمال المبكرة المفترضة يطلق عليها العلماء اسم "تاريخ صعود داود" (1 صم 16: 14 - 2 صم 5)، و"تاريخ البلاط (أو الخلافة)" (2 صم 2: 9-20 و 1 مل 1-2). و"أعمال سليمان" (1 مل 11-3)

يروي "تاريخ صعود داود" قصة مسح داود كراع شاب في بيت لحم، ووصوله إلى بلاط شاول، ومعركته مع جالوت، وهروبه من بلاط شاول، ومغامراته كقائد محارب متجول، وقصة صعود داود. وموت شاول وخلافة داود على عرش إسرائيل. وتنتهي باستيلاء داود على أورشليم والهزيمة النهائية للفلسطة.

أما "تاريخ الخلافة"، المعروف أيضًا باسم "تاريخ البلاط"، فيركز بشكل رئيس على السؤال "مَنْ يجلِسُ على عرشِكَ مِنْ بَعدِكَ" (1 مل 1: 20، 27). إنها تكمل قصة داود بتأسيسه عاصمة إسرائيل أورشليم، والتسلسل المعقد والغامض أخلاقيًا للأحداث والأفعال والاضطرابات الشخصية التي حدثت في عهد داود وانتهت باختياره لسليمان ليكون خليفته ووفاته كرجل عجوز ضعيف عاجز.

وعلى النقيض من ذلك، فإن "أعمال سليمان" هي سجل مباشر

لإنجازات الملك سليمان العظيمة وثروته وحكمته - وتنتهي بانحداره الأخلاقي والتمردات والانشقاقات التي أنهت العصر الذهبي لإسرائيل.

متى تمت كتابة هذه الأعمال التاريخية القديمة؟ إن الإجابة على هذا السؤال أمر بالغ الأهمية لتقييم موثوقيتها التاريخية. وحتى وقت قريب جدًا، اعتقد معظم العلماء أنها ألفت منذ البداية خلال حقبة حياة داود وسليمان أو في حقبة قريبة جدًا منها. ففي كتاب مؤثر للغاية نُشر عام 1926 بعنوان Die Überlieferung von der Thronnachfolge David's (خلافة عرش داود)، جادل عالم التوراة الألماني ليونارد روست Leonhard Rost بأن "تاريخ صعود داود" كان عملاً من أعمال الدعاية السياسية القديمة، كُتب لإضفاء الشرعية على اعتلاء داود عرش شاول، ولإظهار أن داود كان الملك الشرعي لكل إسرائيل - جنوبًا وشمالًا على حدٍ سواء. تُصور هذه الرواية أن صعود داود إلى السلطة كان قانونيًا تمامًا، موضحة كيف أُقصي شاول بسبب إخفاقاته البشرية وسوء سلوكه الديني، وكيف أن الله اختار داود. ويوضح أن نقل العرش من شاول إلى داود كان مجرد تعبير عن إرادة الله، إذ حين "فارَقَ رُوحُ الرّبِّ شاول " (1 صم 16: 14)، كان الرب مع داود (1 صم 16 :18). لقد افترض (روست) وعديد من العلماء الآخرين من بعده أن هذه التوليفة كتبها مؤيد لسلالة داود في أواخر عهد داود أو في عهد سليمان، عندما تحدى بنو إسرائيل في الشمال حق آل داود الجنوبيين في فرض حكمهم عليهم. وفي وقت لاحق، وصف عالم التوراة الأمريكي كايل مكارتر Kyle McCarter السرد بأنه تبرير ضخم، يهدف إلى إظهار طهارة داود على الرغم من الأحداث العنيفة والدموية التي جعلت صعوده إلى السلطة ممكنًا. وفي تصويره الماهر لداود، فهو يدحض الإيحاء بأن داود كان هاربًا غير مخلص وانه المرتزق الفلسطي الذي كان المسؤول عن وفاة شاول. فهو يلقي باللوم على الآخرين في موت إيشبوشث، ابن شاول وخليفته، وفي اغتيال أبنير، قائد جيش شاول. وفي كلا العملين، يُبرأ داود من المسؤولية، على الرغم من أن كلا العملين كان لهما دور

فعال في توطيد سلطته. باختصار، كان الهدف من التبرير إظهار أن داود كان بريئًا في كل تعاملاته مع شاول وعائلته، وأنه لم يكن خائنًا ولا مغتصبًا. فلقد كان خليفة شاول الشرعي، الذي اختاره إله إسرائيل.

وبالمثل، يشرح "تاريخ الخلافة" لماذا وكيف صعد سليمان إلى العرش بدلاً من أبناء داود الأكبر سنا : أمنون، وأبشالوم، وأدونيا. تصل هذه الرواية إلى ذروتها مع مسح سليمان، والتي يُنظر إليها أيضًا على أنها عمل أقره الله. وفقًا لروست والذين تبعوه، لا بد أن "تاريخ الخلافة" كتبه شاهد عيان معاصر أو مشارك في الأحداث التي يصفها - على الأرجح كاتب في بلاط أورشليم، في الأيام الأولى لحكم سليمان. ويعتقد هؤلاء العلماء أن كلاً من "تاريخ صعود داود" و"تاريخ الخلافة" بالإضافة إلى "أعمال سليمان" تمثل ثمار حقبة عظيمة من التنوير في إسرائيل، في بلاط ملكي اشتمل على مكاتب لكل من السكرتير والكاتب (2 صم 8: 17؛ 20: 25؛ 1 مل 4: 3). وصف روست "تاريخ الخلافة" بأنه "أفضل عمل في فن السرد العبري". وقد تبنى عالم التوراة الألماني الكبير غيرهارد فون راد Gerhard von Rad أفكار روست ووصف "تاريخ الخلافة" بأنه بداية التأريخ الإسرائيلي، بل في الواقع، بداية كتابة التاريخ في التقليد الغربي. وعندما كتب باحث ألماني آخر في التوراة، وهو مارتن نوث Martin Noth، كتابه الرائد عن التاريخ التثنوي في أوائل الأربعينيات من القرن العشرين، قَبل هو أيضًا عديد من ملاحظات روست. وقال إن مؤرخ التثنية أدرج في عمله هذه الروايات المبكرة حرفيًا تقريبًا. وحذا معظم العلماء حذوهم، حيث قبلوا الادعاء بأن الروايات الرئيسية عن داود وسليمان كانت في الأصل مصادر مستقلة مكتوبة في الأيام الأولى للنظام الملكي الإسرائيلي. لكننا نعلم اليوم أن هذه النظرية خاطئة. وكما سنرى، فهي تتناقض بشكل واضح مع الأدلة الآثارية. إن القصص المألوفة عن داود وسليمان، المستندة إلى عدد قليل من التراث الشعبي المبكر، هي نتيجة لإعادة صياغة واسعة النطاق وتوسع تحريري خلال القرون الأربعة التي تلت حكم

داود وسليمان. وعلى الرغم من أنها تحتوي على القليل من التاريخ الموثوق به، إلا أننا سنبين كيف أنها توفر فهمًا جديدًا مذهلاً لأصول التراث التوراتي - ولماذا يظل قويًا جدًا حتى اليوم.

متى عاش داود وسليمان؟

التحدي الأول الواضح في تقييم الموثوقية التاريخية لقصتي داود وسليمان هو تحديد التاريخ الدقيق لحكمهما. ويجب أن يستند هذا إلى أدلة موجودة في التوراة، لأننا لا نملك أي إشارات معاصرة إلى داود وسليمان في نقوش مؤرخة جيدًا من التنقيبات الآثارية في فلسطين أو من الحضارات المجاورة في بلاد وادي النيل وبلاد ما بين النهرين[1]. ويجب أن نعتمد - على نحو واضح الحذر - بشأن القرائن المنطقية المحفوظة في تاريخ التثنية.

عند سرد حياة وأحكام جميع ملوك يهوذا ومملكة إسرائيل الشمالية، فان سفري الملوك الأول والثاني يشيران في معظم الحالات إلى عمر كل ملك عند اعتلاءه العرش، ومدة حكمه، والتوافق بالسنوات، والتعاصر مع الملك الحاكم من المملكة المنافسة. وإذا قمنا بالحساب بشكل قهقرائي من الإشارة الأخيرة إلى ملك من سلالة داود - وهي الإشارة الواردة في سفر الملوك 2 : 25: 27 عن إطلاق سراح آخر ملك داود من السبي البابلي، وهو يهوياكين، في السنة الأولى من حكم الحاكم البابلي (أمِل - مردوخ) المعروف في التوراة باسم ايفل مردوخ (Evil-merodach) - فلدينا نقطة بداية آمنة إلى حد ما. فمن المعروف من المصادر البابلية أن أمِل مردوخ قد اعتلى العرش عام 561 ق.م. لذا فبالعد القهقرائي من ذلك التاريخ، مع الأخذ بالاعتبار وجود أدلة متضاربة من مصادر أخرى في الشرق الأدنى القديم، أو أخطاء كتابية

---

(1) للحصول على مناقشة أساسية للأدلة على وجود داود التاريخي، انظر الملحق (1)

واضحة، أو أرقام دائرية[1] مثيرة للريبة، أو تداخلات محتملة في حكم الملوك وخلفائهم، تمكن العلماء من بناء تسلسل زمني يمتد إلى داود وسليمان. وهذه التواريخ - الدقيقة إلى حد ما بالنسبة للملوك المتقدمين والأكثر دقة بالنسبة للملوك المتأخرين - جرى الحصول عليها من خلال عرض التسلسل الزمني التوراتي مرة أخرى خلال فترات حكم سلسلة الملوك (بينهم ملكة واحدة هي عثليا) من سلالة داود الذين خلفوا داود وسليمان:

الملك	مدة المُلك	التاريخ المقدر
صدقيا	11	586-596 ق. م
يهوياكين	3 أشهر	597 ق.م [2]
يهوياقيم	11	598-608 ق.م
يهوآحاز	3 أشهر	609 ق.م
يوشيا	31	639 - 609 ق.م
آمون	2	640-641 ق.م
مَنَسَّى	55	642-698 ق.م
حزقيا	29	727 - 698 ق.م
آحاز	16	743 - 727 ق.م [3]
يوثام	16	743 - 759 ق.م [4]

(1) الرقم الدائري هو عدد صحيح ينتهي بـ 0 أو 00 أو أكثر من الأصفار. المترجم
(2)أطلق سراحه من الأسر في بابل في سنة 561 م.
(3) بما في ذلك التشارك في الحكم
(4) كما في أعلاه

عزريا	52	785 - 733 ق.م[1]
أمصيا	29	798- 769 ق.م
يوآش	40	836 - 798 ق.م
عثليا	7	842 - 836 ق.م
اخزيا	1	843 - 842 ق.م
يهورام	8	846 – 851 ق.م[2]
يهوشافاط	25	870 - 846 ق. م[3]
آسا	41	870- 911ق.م
أبيام	3	914 - 911 ق.م
رحبعام	17	931 - 914 ق.م

يمكن التحقق من هذه القائمة في نقاط معينة بمقابلة المراجع المعاصرة لملوك داود مع سجلات آشور وبابل، فعلى سبيل المثال، يذكر السجل البابلي حصار أورشليم خلال حقبة حكم الملك يهوياكين القصيرة في السنة السابعة لنبوخذنصر سنة 597 ق.م. وقد ورد تكريم مَنَسّى لآشور في نقش للملك الآشوري أسرحدون سنة 674 ق. م. وكذلك فان الهجوم الآشوري على أورشليم في عهد حزقيا مذكور في حوليات سنحاريب بما يوافق سنة 761 ق.م. وإن الجزية التي دفعها آحاز لآشور مذكورة أيضاً في نقش تغلث فلاسر الثالث، مؤرخة سنة 734 ق.م. وتؤكد المراسلات مع عصور المملكة الشمالية - والتي تعود إلى معركة قرقر في أيام اخآب عام 853 ق.م - موثوقية الإطار العام.

---

(1) كما في أعلاه
(2) كما في أعلاه
(3) كما في أعلاه

(هناك تزامن آخر مقبول بشكل عام وهو غزو البلاد من قبل الفرعون المصري شيشق في السنة الخامسة من حكم رحبعام بن سليمان - حوالي 926، وفقًا للقائمة أعلاه - لكن هذا يطرح مشاكل كبيرة وبعيدة المدى، كما سنرى).

وكلما رجعنا إلى الماضي حيث عصر رحبعام، يصبح التسلسل الزمني أكثر ضبابية إلى حد كبير. فأولاً، كما لوحظ سابقًا، لم يُذكر داود وسليمان في أي نص معاصر خارج التوراة، وبالتالي ليس لديهما أي مرساة مباشرة موثوقة للتسلسل الزمني القديم في الشرق الأدنى. ثانيًا، في سفر الملوك الأول الإصحاح 11 : 42 يُعطى سليمان رقمًا دائريًا مثيرًا للريبة وهو أربعون عامًا من الملكية، مُذكراً بالتعبير النمطي الرمزي التوراتي الذي يشير إلى أربعين عامًا بِعدّها "جيلا" واحدا، كما هو الحال في طول مدة تيه بني إسرائيل في البرية. أو فقط "مدة طويلة جدًا". ومُلك داود، الذي بدأ في حبرون ثم استمر في أورشليم، مُسجل بالمثل بأربعين سنة. ولجعل الأمور أكثر صعوبة، فإن المقطع الذي يحتوي على مدة حكم شاول، أول ملك لإسرائيل، حُرّف من قبل النساخ على مر العصور، حيث جاء فيه: " وملَكَ شاول ... على بَني إسرائيل .. وَمَلَكَ سَنَتَيْنِ عَلَى إسرائيل. " (1 صم 13: 1). لقد حاول عديد من علماء التوراة استعادة الرقم الأصلي. على أساس العدد الهائل من المعارك التي قيل إنه خاضها وبروز سلالته في الذاكرة التاريخية لإسرائيل، لذا فقد اقترحوا حكما يقترب من عشرين عامًا. للأسف، اتخذ العلماء عموما هذه الأرقام المستديرة كمؤشرات دقيقة لتواريخ الملوك الأوائل.

التاريخ	مدة المُلك	التاريخ المقدر
سليمان	40	970-931 ق.م
داود	40	1010 - 970 ق.م
شاول	22 (؟)	1030 - 1010 ق.م

والحقيقة هي أنه لا يمكننا أن نأخذ هذه الأوصاف التوراتية الرمزية إلا كمؤشر عام على الحقبة الزمنية التي كان داود وسليمان سيعيشان فيها بدلا من تحديد تسلسل زمني دقيق لتاريخ ومدى كل حكم من عهودهم. وتتفاقم المشكلة بحقيقة أننا لا نستطيع حتى أن نفترض أن شاول وداود سادا في تسلسل زمني جلي، واحدًا تلو الآخر، بدلا من وجود عهود متداخلة. ولجعل القصة الطويلة قصيرة، نحن ببساطة لا نعرف العدد الدقيق للسنوات التي حكمها كل من داود وسليمان. وأكثر ما يمكننا قوله مع قدر من الأمان هو أنهما ربما سادا في وقت ما في القرن العاشر قبل الميلاد.

بداية البحث عن داود وسليمان

لذلك يجب أن يكون القرن العاشر قبل الميلاد نقطة انطلاقنا للبحث عن داود وسليمان التاريخيين؟ وكما نعلم من البقايا الآثارية التي جرى التنقيب فيها في جميع أنحاء إسرائيل خلال المئة سنة الأخيرة، كان القرن العاشر قبل الميلاد حقبة اضطراب. فهناك دليل على حدوث تحول كبير في مواقع المدن والقرى. فقد تفككت الحضارة القديمة القصرية في أواخر العصر البرونزي (ح 1550 - 1150 ق.م) وقد أفسح ذلك المجال لظهور كيانات إقليمية ومجموعات عرقية جديدة في جميع أنحاء شرق البحر الأبيض المتوسط وأجزاء كبيرة من الشرق الأدنى القديم. وكانت دويلات المدن الفينيقية المستقلة على طول الساحل الشمالي تنمو قواها التجارية. وكان الفلسطة في المدن الساحلية الجنوبية يوسعون أراضيهم ويحافظون على روابط وثيقة مع مصر الضعيفة. وكانت بعض المدن الكنعانية القديمة في الوديان، مثل مجدو، تشهد صيفا هنديا[1] قصيرا من الازدهار. أما في التلال التي يُذكر

(1) الصيف الهندي هو مدة من الطقس الدافئ والجاف على غير العادة والذي يحدث أحيانًا في الخريف في المناطق المعتدلة في نصف الكرة الشمالي. يريد الكاتبان القول ان هناك مدة طارئة من الازدهار قد حدثت على غير العادة في المنطقة. المترجم

منذ عهد مديد بأنها مسقط رأس إسرائيل وموطن تراثها الملكي، كانت شبكة كثيفة من القرى الزراعية الريفية القائمة على قمم التلال في المناطق ذات الكثافة السكانية المنخفضة سابقا بمثابة علامة على ظهور ثقافة ومجتمع يُعرّف أعضاؤه أنفسهم لاحقا على أنهم "إسرائيليون".

علم الآثار اليوم هو أهم أداة في حوزتنا لإعادة بناء تطور المجتمع الإسرائيلي القديم. وفي أماكن أخرى من العالم القديم، غيرّت الأبحاث الآثارية أيضًا رؤيتنا للماضي. فيمكننا الآن سرد التاريخ المبكر للإغريق دون اللجوء إلى السير الذاتية الأسطورية لميناوس أو ثيسيوس أو أغاممنون كمصادر أولية. ويمكن فهم صعود الحضارات المصرية وبلاد ما بين النهرين من خلال النقوش، وقطع الفخار، وأنماط الاستيطان بدلا من مجرد حكايات العجائب القديمة والملوك أنصاف الآلهة. فالتناقضات بين الفن والأدب، من ناحية، والتاريخ الموثق الذي يمكن التحقق منه والأدلة الآثارية، من ناحية أخرى، جعلتنا نرى الأساطير المؤسسة للعصور القديمة على حقيقتها: هي التعبيرات المشتركة للهوية المجتمعية القديمة، التي يجري سردها بسلطة وببصيرة عظيمة، فهي وان كانت ما تزال مثيرة للاهتمام وتستحق الدراسة، ولكن بالتأكيد لا ينبغي اعتبارها سجلات حرفية وموثوقة للأحداث.

هذا هو الحال مع داود وسليمان، الذين صوّرا في السرد التوراتي على أنهما الآباء المؤسسين لدولة إسرائيل القديمة. ومع ذلك، يمكننا الآن أن نقول - كما سنشرح بتفصيل كبير في هذا الكتاب - أن عديد من الحلقات الشهيرة في القصة التوراتية لداود وسليمان هي قصص خيالية، مشكوك فيها تاريخيًا، أو مبالغ فيها للغاية. وسنقدم في الفصول التالية أدلة آثارية لإظهار أنه لم يكن هناك نظام ملكي موحد لإسرائيل بالطريقة التي يصفها العهد القديم، وعلى الرغم من أنه يبدو من المحتمل أن داود وسليمان كانا شخصيات تاريخية فعلية، إلا انهما كانا مختلفين تمامًا عن صورهم التوراتية. سوف نُظهر أنه من المستبعد جدا أن يكون

داود قد غزا أراضي الشعوب أكثر من مسيرة يوم أو يومين من قلب يهوذا. وسنفترض أيضًا أن أورشليم سليمان لم تكن واسعة ولا مثيرة للإعجاب، بل كانت معقلا خشنا على قمة تل لسلالة محلية من زعماء القبائل الريفية. ومع ذلك، فإن الهدف من هذا الكتاب ليس مجرد فضح قصص من العهد القديم. فالتوراة وحدها من بين الأساطير العظيمة في العصور القديمة في الشرق الأدنى والكلاسيكية، تحتفظ بقوتها لإلهام الآمال والأحلام للمجتمعات الحية في جميع أنحاء العالم حتى اليوم.

هدفنا هو إظهار كيف تطورت أساطير داود وسليمان، وكيف أتوا لتوجيه التفكير الغربي وتشكيل التراث الديني والسياسي الغربي بطرق مهمة. وبينما نمضي قدما من خلال الفصول التالية، فسنقوم بتحليل ومحاولة تأرخة الطبقات المختلفة للقصة التوراتية، ووصف القضايا الرئيسية في الخلافات العلمية حول موثوقيتها التاريخية التي بزغت الآن، ونقدم أدلة آثارية مركزية جديدة في هذا النقاش[1].

سنظهر، خطوة بخطوة، وحقبة تلو أخرى، كيف أن الواقع التاريخي ليهوذا القديمة - كما كشفت الأبحاث الآثارية - أدى إلى ظهور سلالة وأسطورة حُولت ووسعت في عملية إعادة تفسير تاريخية مستمرة حتى اليوم.

ولأن القصة التوراتية المألوفة الآن لداود وسليمان ليست سجلا تاريخيًا مباشرًا ولا أسطورة خيالية تمامًا، إنما تطورت من مجموعة متنوعة من المصادر القديمة، أضيفت عليها التفاصيل، والسياقات المتشابكة، وتغيّر معناها مع مرور القرون وهي محتوية على طبقات معقدة من الحكايات الشعبية والقصص والروايات الدرامية، والتي، هي إجمالًا لا علاقة لها بالحياة الفعلية للشخصيات الرئيسية، وكل شيء فيها تقريبا

---

(1) للحصول على تاريخ موجز للبحث الأثري المبكر عن داود وسليمان ومراجعة النظريات المبكرة، انظر الملاحق (2) و (3).

يتعلق بالمفهوم المتغير للأمة والملك. وكما سنرى، فان الاعتراف بهذه العملية المعقدة للتطور الأدبي والتاريخي لنشوئها، مدعومًا بالأدلة الآثارية - هو المفتاح لفهم الشخصية الحقيقية لقصة داود وسليمان التوراتية - ولتقدير رؤاها الخالدة حول طبيعة القوة الملكية والهوية الوطنية.

لذلك فإن اكتشاف الحياة الحقيقية وأدوار داود وسليمان في القرن العاشر قبل الميلاد هو مجرد البداية. والسؤال عن كيف ولماذا نجت أساطيرهم من تقلبات العصور القديمة لتصبح واحدة من أقوى صور الحضارة الغربية - وما هي القيم والأحلام التي انعكست في كل حقبة متتالية - هي، كما نأمل أن نُظهر، قصة لا تقل روعة عن السرد التوراتي نفسه.

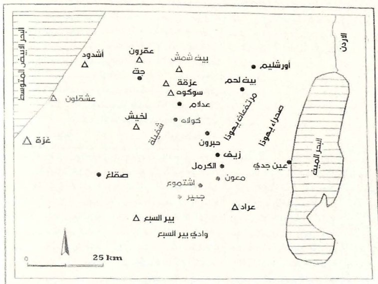
الجزء الأول

استعادة التاريخ

مراحل	المواد التوراتية	الخلفية التاريخية	الاكتشافات الآثارية
القرن 10 قبل الميلاد الفصل الأول	ذكريات مبكرة عن داود كقائد خارج على القانون وقاطع طريق، نشط في برية يهوذا وشفيلة؛ جرى تطويرها من خلال التراث الشفوي في مجموعات من الحكايات الشعبية والقصص من قبل أتباعه.	فراغ السلطة الإقليمية في أعقاب انهيار ثقافة القصر في العصر البرونزي المتأخر؛ أفول مصر.	أورشليم قرية صغيرة؛ يهوذا قليلة السكان، في وقت مبكر شروط الاستيطان العصر الحديدي. عدد قليل من المستوطنات، عدد كبير من الرعاة.
القرن 10 قبل الميلاد الفصل 2	ذكريات مبكرة لشاول كزعيم لكونفدرالية قبلية مبكرة من شمال إسرائيل؛ جرى تطويره من خلال التراث الشفوي إلى ملحمة مأساوية من قبل القرويين من شمال إسرائيل بعد وفاة شاول.	ظهور "إسرائيل"، أول إقليم من العصر الحديدي "كيان في الأراضي المرتفعة. بات يهدد مصالح مصر التي لنبعث مجددا، ويضعفها حملة الملك شيشق.	زيادة كبيرة في عدد المستوطنات في التلال الشمالية. موجة لاحقة من المهاجرين حول جبعون.
القرن 9 قبل الميلاد الفصل 3	قصص عن فتح داود لأورشليم تحولت إلى القصص في القرن التاسع تُتلى في بلاط خلفاء داود؛ وضعت الأساطير الشفوية لفتوحات داود لتتناسب مع مدى الإقليمي للإسرائيلي الشمالي، دولة عمري.	تتطور يهوذا ببطء من مشيخة التلال إلى مملكة، في ظل بقاء صعود دمشق وسقوط سلالة عمري.	أورشليم تتوسع، لكن ما تزال محدودة -إلى مدينة داود. المراكز الإدارية الأولى في لخيش، بيت شمش، بئر سبع، وعراد.، جت المدينة الفلسطية المهيمنة حتى تدميرها من قبل آرام دمشق
أواخر القرن 8 قبل الميلاد الفصل 4	أول نسخة مكتوبة من الحكايات والقصص عن خلافة شاول وداود وسليمان، تجمع بين التراث الشفوي الجنوبية والشمالية السابقة؛ بمثابة ملحمة وطنية موحدة لمملكة حزقيا.	تصبح يهوذا تابعا لآشور. إسرائيل تسقط. سيل من اللاجئين من الشمال. تظهر يهوذا كدولة بيروقراطية كاملة، مع سكان مختلطين من يهوذا وإسرائيل.	النمو الدراماتيكي لأورشليم: التحصينات، المقابر المتقنة، نفق سلوام. يؤثر على النمو الديموغرافي في كامل أراضي يهوذا. صناعة زيت الزيتون. انتشار النشاط الكتابي وعلامات الإدارة المتقدمة.

مراحل	المواد التوراتية	الخلفية التاريخية	الاكتشافات الآثارية
أوائل القرن 7 قبل الميلاد الفصل 5	تأريخ مكتوب لعصر سليمان كملك حكيم وغني على الطراز الإمبراطوري الآشوري العالي؛ التأكيد على ملكه الحكيم، وأنشطة البناء (بما في ذلك بناء الهيكل)، والبعثات التجارية إلى الأراضي الأجنبية.	النشاط الآشوري في السهل الساحلي الجنوبي وأدوم. في يهوذا، إحياء المدينة التي دمرها سنحاريب. العودة المبكرة إلى شفيلة. نشاط قوي في وادي بئر السبع وبرية يهوذا. تزايد علامات الادارة المتقدمة: الأختام، طبعات الاختام، الأوزان، الشقف المرسومة.. إلخ. صعود عقرون المركز الفلسطيني الرئيسي في شفيلة مع أدلة على صناعة زيت الزيتون.	استمرت الهيمنة الآشورية، بعد حملة سنحاريب المدمرة في يهوذا عام 701 قبل الميلاد. في محاولة للتعافي، يدمج مَنَسَّى يهوذا بالكامل في الاقتصاد الآشوري العالمي.
أواخر القرن 7 قبل الميلاد الفصل 6	توضيح المصادر المكتوبة السابقة (تاريخ صعود داود، تاريخ الخلافة، تراث سليمان) وإدماجها في التاريخ التثنوي لإسرائيل؛ حُرر لتقديم رسالة لاهوتية موحدة لخدمة أهداف إصلاح يوشيا الدينية؛ جرى إضافة تفاصيل مثل قتال داود وجالوت والحقائق اليونانية الأخرى وإدانة سليمان.	التوسع اليهودي في شفيلة يتكثف. يستمر نشاط المستوطنات في وادي بئر سبع وبرية يهوذا. المزيد من الشقف والأختام وطبعات الأختام، دليل على زيادة معرفة القراءة والكتابة. الوجود المصري (مع المرتزقة الإغريق) على طول الساحل. تستمر صناعة زيت الزيتون في عقرون.	تدهور آشور، الانسحاب من بلاد الشام. الإصلاح الديني في يهوذا. محاولات في التوسع الإقليمي. قتل يوشيا على يد ملك السلالة السادسة والعشرين الصاعدة في مصر.
القرون الرابع والسادس قبل الميلاد الفصل 7	ثانيا، التنقيح التثنوي للسبي، ترقية القصة إلى: تاريخ. وتفسير السبي. نبوءات حقبة السبي (على سبيل المثال، حجي وزكريا). استخدام داود وسليمان كرموز دينية في السجلات.	تدمير أورشليم. المصفاة ما تزال قائمة، طبعات اختام في يهوذا. أورشليم تتعافى ببطء. بناء الهيكل السامري على جبل جرزيم.	نبوخذ نصر يدمر يهوذا وأورشليم. المسبيون اليهود إلى بابل. ملك بلاد فارس يسمح لبعض السبي بالعودة إلى يهوذا، بناء الهيكل الثاني. نهاية الآمال في الاستعادة السياسية لسلطة آل داود.

مراحل	المواد التوراتية	الخلفية التاريخية	الاكتشافات الآثارية
القرن 3 - 5 قبل الميلاد الفصل 8	ترجمة يونانية لسفري الملوك والأخبار؛ إصدارات مطورة للمزامير، والأمثال، ونشيد الانشاد؛ ومواد التوراة الإضافية وما بعد العبرية مع إيحاءات مسيانية: مزامير سليمان، فلافيوس يوسيفوس، مخطوطات البحر الميت. يربط العهد الجديد يسوع بالتراث الداودي؛ الأدب الحاخامي، ويقوم آباء الكنيسة بتوسيع وتطوير التداعيات والاستعارات الدينية.	زيادة التأثير الهلنستي على الثقافة والاقتصاد؛ نشاط بناء الحشمونيين في أورشليم والمناطق الصحراوية. تدمير المعبد السامري على جبل جرزيم. هيرودس الكبير يبني الهيكل مجددا؛ يبني مدن وحصون أخرى، مثل مسعدة. مخطوطات البحر الميت. أورشليم التي دمرها الرومان. الرومان والبيزنطيون: المعابد الرومانية والبيزنطية. الكنائس البيزنطية.	الحقبة الهيلينستية: حكم البطالمة والسلوقيين؛ أنا " السلالة الحشمونية. الحقبة الرومانية، هيرود الكبير، الثورات اليهودية التي غذتها الأيديولوجيات الميسيانية. المسيحية المبكرة التي جرى تأسيسها الرسمي في الحقبة البيزنطية.



● المواقع ذات الصلة بهذا الفصل

△ مواقع مذكورة في فصول أخرى

منطقة نشاط داود كقاطع طريق في جنوب يهوذا وشفيلة

مراحل	المواد التوراتية	الخلفية التاريخية	الاكتشافات الآثارية
القرن العاشر قبل الميلاد الفصل الأول	ذكريات مبكرة عن داود كقائد خارج على القانون وقاطع طريق، نشط في برية يهوذا وشفيلة؛ جرى تطويرها من خلال التراث الشفوي في مجموعات من الحكايات الشعبية والقصص من قبل أتباعه.	فراغ السلطة الإقليمية في أعقاب انهيار ثقافة قصر العصر البرونزي المتأخر؛ أفول مصر.	أورشليم قرية صغيرة؛ يهوذا قليلة السكان، في وقت مبكر شروط الاستيطان العصر الحديدي. عدد قليل من المستوطنات، عدد كبير من الرعاة.

الفصل الأول

حكايات قطاع الطرق

صعود داود في بلاد يهوذا

القرن العاشر قبل الميلاد

السرد التوراتي لصعود داود إلى السلطة (1 صم 16: 14، 2 صم 5) هو الدراما الحية لصعود نكرة من بيت لحم إلى العرش في أورشليم والتي جرت الإشادة بها باعتبارها تحفة من الأدب الغربي وواحدة من أقدم الملاحم النثرية المعروفة. إنها مليئة بأعمال الجرأة والمفاجآت الجريئة والعنف الدموي والاحتفاء الشعبي. يدخل داود المرحلة باعتباره راعيًا شابًا متواضعا، أُرسل إلى معسكر لبني إسرائيل في ساحة معركة لإحضار المؤن لإخوته الثلاثة الأكبر سنًا. وهناك، تحمس بإلهام إلهي، فأسقط جالوت الجبار، وحدد مصير الفلسطة. ومع ذلك، عندما أصبح داود بطلًا جديدًا لإسرائيل، يجب أن يهرب عما قريب من حسد الملك شاول وغضبه. وخلال مغامراته بين القرى والبرية النائية في يهوذا، تأخذ قصة

داود طابع قصص قطاع الطرق الكلاسيكية - وبالتالي تكشف عن أدق خيوطها. بعبارات أخر، فان داود التاريخي، الحقيقي، بقدر ما يمكن أن يكشف عنه علم الآثار والمصادر التاريخية، فقد اكتسب أعظم شهرته من كونه قائدًا لقُطّاع طرق.

كما تحكي التوراة، أنه بعد فراره من شاول، فقد رفض داود السكن في الأراضي الفلسطية وهرب إلى كهف عدلام، حيث جمع حوله فرقة كبيرة خارجة على القانون. " وانضَمَّ إليهِ كُلُّ مَنْ ضاقَت بهِ الحالُ، أو كانَ علَيهِ دَينٌ، أو شعرَ بِمَرارةِ نفْسٍ، فتولّى قيادَتَهُم وصارَ معَهُ نحوَ أربعِ مئةِ رجُلٍ". (1 صم 22: 2).

وكقوة من قوات حرب العصابات، فقد كان رجال داود سريعون وجوالون، يأتون لإنقاذ القرويين المحاصرين، ويذلون رجلًا قويًا محليًا متعجرفا، ويتفوقون على حاكم مدينة صغيرة مجاورة قوية، ويتهربون من الطلب الدؤوب للملك شاول مرارًا وتكرارًا. وأساليب داود هي الابتزاز والإغواء والخداع والعنف الصالح، وتمتلئ قصته بمفارقات أكبر من الحياة، من حلقات كوميدية، وأحداث مسلية. إنها قصة قطاع طرق كلاسيكية من نوع معروف في جميع أنحاء العالم، سابقاً ولاحقًا، حيث يستخدم المتمردون المشهورون - مثل روبن هود وجيسي جيمس وبانشو فيلا - التبجح والمكر لتحدي القوى الفاسدة والوحشية. لقد نُسيت مآثر بعض قطاع الطرق تدريجيا، لكن حكايات آخرين نمت بشكل مطرد مع مرور الوقت. حيث تتحول الأحداث العادية إلى إنجازات مذهلة؛ وتصل المبالغة بالسمات الشخصية الفريدة إلى مقياس أسطوري. في حالة السرد التوراتي، تندمج حكايات أيام قطاع الطرق المبكرة لداود في التاريخ الوطني لإسرائيل. وعندما مات الملك شاول في ميدان المعركة، أُعلن عن داود ملكًا على يهوذا وشرع في غزو أورشليم وتأسيسها كمقرٍ لسلطته. كان مصيره أن يصبح ملكًا على كل إسرائيل، ومع ذلك تظل أيام قطاع الطرق جزءًا أساسيًا من أسطورة الرجل... كيف يمكننا تقييم الموثوقية التاريخية لهذه القصة عن

صعود قاطع الطرق؟ رأى عديد من العلماء - على أسس أدبية - ان السرد الكامل لصعود داود كمؤلف واحد، إنما كتب أثناء أو بعد مدة وجيزة من عهد داود كنوع من الدعاية الملكية لإضفاء الشرعية والاحتفاء بتأسيس سلالة داود. وبينما يوافق آخرون على أنه تكوين واحد فعلا، لكنهم يضعون تاريخ كتاباته في وقت لاحق، كحكاية شعبية خيالية بدون قيمة تاريخية تقريبًا في مجملها. وبناء على الأدلة الآثارية والقرائن الموجودة في النص، يمكننا الآن القول إنه لا يمكن تدوينه إلا بعد أكثر من مائتي عام من وفاة داود. ومع ذلك، يبدو أن النص يحافظ على بعض الدلالات الدقيقة بشكل خارق للطبيعة في ظروف القرن العاشر قبل الميلاد في تلال يهوذا - وقد يحتوي على الأقل على آثار موثوقة، وأصلية لأحداث سيرة داود التاريخية المبكرة.

الحياة على حافات التلال

ربما تكون الأوصاف التفصيلية لأنماط البيئة والاستيطان أهم دليل على ذلك التقارب بين النصوص التاريخية والتوراة. فيشهد الثقل الهائل للمعلومات الجغرافية والقوائم الطويلة لأسماء الأماكن المتشابكة في قصصها على الإلمام بالمناظر الطبيعية القديمة ليهوذا وإسرائيل. كانت الأوصاف الجغرافية التوراتية العديدة التي تظهر لنا اليوم كقوائم مملة لأسماء القرى الغامضة والسمات الطبيعية التي تقاطع تدفق السرد ذات يوم مكونات أساسية في حكاياتها. كانت مخصصة لجمهور معين يتعرف على أسماء الأماكن المختلفة المذكورة ويثار إعجابه بإنجازات الشخصيات التوراتية المختلفة في بيئة مادية يعرفونها جيدًا. إن الإشارة إلى مكان معروف أنه في قلب البرية من شأنه أن يثير صورًا للتحرر من الروتين الممل لحياة الفلاحين. وإن ذكر مدينة معروفة بأنها مقر القوة الإقليمية - أو الفساد - من شأنه أن يجعل انتصارات البطل أو مراوغاته هناك تبدو أكثر تميزًا. وأيضا فإن ذكر القرى المعروفة بأنها فقيرة بشكل

خاص أو معرضة للخطر من قبل قطاعي الطريق من شأنه أن يزيد من الإعجاب بقصص إنقاذهم أو إغاثتهم؛ وبالتالي فإن الظهور المتكرر لأسماء الأماكن والمصطلحات الجغرافية في حكاية داود في سفر صموئيل الأول لا ينبغي أن ينظر إليه على أنه علامة على إصرار كاتب التوراة على التفاصيل. بل إنهم يتحدثون بلغة مشفرة من الإلمام بالمناظر الطبيعية المعاصرة للسلطة، والتي قد تفقد تفاصيلها، التي كانت حية للغاية، أهميتها تدريجيًا بينما تتعاقب الأجيال وتظهر مجموعات جديدة من المدن والبراري والأراضي الزراعية. ومثل الاحافير المحفوظة المضمنة في صخور التراث التوراتي، يمكن التعرف عليها في أنماطها الفريدة ويمكن وضعها في فترات تاريخية محددة تمامًا. لتقدم لنا مفتاحًا للتعرف على بعض العناصر الرئيسية للقصة.

إن منطقة تلال يهوذا حيث صعد نجم داود من راعٍ إلى مرتبة الزعيم الوطني هي مجموعة تلال معزولة إلى حد كبير عن بقية البلاد، مع وجود هضبة ضيقة في الشمال والجنوب تربط مدنها الرئيسية التقليدية في أورشليم، وبيت لحم، وحبرون. وتضاريسها كما هي اليوم وعرة، والتربة صخرية وفقيرة، ولا يمكن التنبؤ بهطول الأمطار عليها. لقد نجا شعبها من خلال تبني أسلوب حياة صعب، وإن كان قابلًا للتكيف بشكل كبير. في السنوات الاخيرة، أجرى علماء الآثار العاملون في فلسطين مسوحات سطحية واسعة النطاق في جميع أنحاء البلاد لدراسة مجموعة المستوطنات في كل حقبة تاريخية وتحديد المواقع الآثارية مع المواضع المذكورة في التوراة والنصوص القديمة الأخرى. والوصف الجغرافي العام ليهوذا في قصة داود يناسب بالفعل البيئة والتضاريس ونظام الاستيطان في المراحل الأولى من العصر الحديدي، خاصة في القرن العاشر قبل الميلاد.

لقد أثرت العزلة بعمق على تاريخ منطقة يهوذا.(1) فقد شكلت حدودها

(1) في هذا الكتاب سوف نستخدم التضاريس الجغرافية "يهوذا" و" اليهودية" للإشارة إلى الوضع بدءا من الوقت المفترض لظهور داود في أوائل العصر الحديدي (القرن العاشر قبل الميلاد) وتنتهي مع تدمير

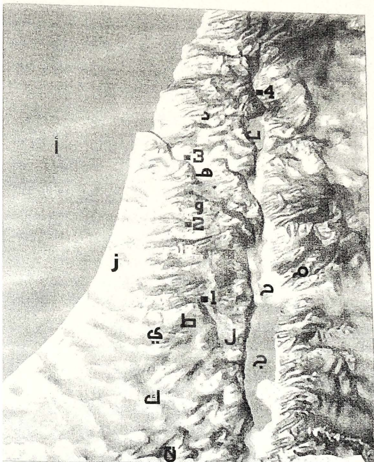
الجغرافية الطبيعية علاقاتها مع العالم الخارجي. فإلى الغرب، تنحدر منطقة التلال بشكل حاد عبر سلسلة من التلال الصخرية الضيقة ذات المنحدرات الشديدة، مفصولة بالوديان العميقة، إلى منطقة سفوح تسمى شفيلة[1]. وكان إلى الشرق من شفيلة تلك المنحدرات التي قيل أن داود وجد فيها مأوى في كهف عدلام (1 صم 22: 1) وحقق أول انتصار كبير له مع فرقته من الرجال الأقوياء في الدفاع عن قرويي (قعيلة) من الهجوم الفلسطي (1 صم 23 -5).

كان التواصل والسفر من منطقة التلال إلى شفيلة الأكثف سكانيًا والسهل الساحلي من ورائها أمر صعب وخطير. فالطرق الرئيسية تنحدر بشكل حاد، إذ تنخفض لأكثر من خمسمائة قدم في الارتفاع على مدى بضعة أميال فقط. وإلى الغرب، تشكل شفيلة منظرًا طبيعيًا مختلفًا تمامًا، معتدلًا وخصبًا ومستقرًا مع كثافة من القرى. لقد حدثت مغامرات داود باعتباره المحسوب البغيض للملك الفلسطي أخيش الجتي على طول هذه الحدود بين منطقة التلال وشفيلة والمدن الفلسطية الساحلية خارجها.

في الشرق، تنحدر منطقة التلال إلى برية يهوذا، وتبدأ المنطقة القاحلة فجأة حيث تُفرغ الغيوم الشتوية القادمة من المتوسط وابلها على الهضبة الوسطى من سلسلة التلال. وعلى بعد أميال قليلة إلى الشرق،

مملكة يهوذا من قبل البابليين في 586 قبل الميلاد. سيتم استخدام المصطلح الأكثر عمومية "تلال يهودا"، المشتق من المصطلحات الجغرافية اليونانية واللاتينية، لوصف هذه الأراضي المرتفعة في جميع الحقب الأخرى.

(1) يريد المؤلفان بذلك؛ منطقة التلال القليلة الارتفاع الواقعة بين سلسلة جبال فلسطين الوسطى وسهول فلسطية الساحلية. ارتفاعها يصل إلى 450 م تقريبا ، حيث ترد *شِفيلاه* في النص العبراني وتُترجَم «منخفَض») مقارنة بسلسلة الجبال الوسطى الاكثر ارتفاعا. يحد «شفيلة» من الجنوب النقب (قض ١:٩)، اما من الشمال فتحدها «جبال اسرائيل» (الواقعة وراء منخفض وادي ايلون). يش ١٦:١١. وأرض شفيلة هي أرض خصبة يسودها مناخ معتدل. في الماضي كانت اشجار الجمّيز والزيتون تميّز هذه المنطقة. كما زودت الأرض الكلأ لرعي قطعان الغنم والبقر. وربما كانت شفيلة التابعة لـ «جبال اسرائيل» (يش ١٦:١١) هي منطقة التلال الواقعة بين جبال السامرة وسهل شارون. وهذه المنطقة اضيق ومعالمها اقل بروزا من شفيلة التي تقع في يهوذا. المترجم



المناطق الجغرافية والمواقع الأثرية الرئيسية في أرض الكتاب المقدس:

(أ) البحر الأبيض المتوسط: (ب) بحيرة طبرية: (ج) البحر الميت: (د) الجليل: (هـ) وادي يزرعيل: (و) المرتفعات الشمالية (مرتفعات السامرة): (ز) السهل الساحلي: (ح) وادي الأردن: (ط) المرتفعات الجنوبية (بلد تل يهودا): (ي) شفيلة: (ك) وادي بئر السبع: (ل) صحراء يهودا: (م) مرتفعات شرق الأردن: (ن) مرتفعات النقب. (1) أورشليم: (2) السامرة: (3) مجدو: (4) حاصور.

تنتشر المناظر الطبيعية بشكل متزايد قاحلة وعرة. وتحمل الوديان الملتوية السيول من الجريان السطحي الشتوي شرقًا إلى البحر الميت وغور الأردن. وفي أماكن قليلة قريبة من البحر الميت، مثل واحة عين جدي، تتشكل وديانًا خشنة وعميقة مليئة بالكهوف في منحدراتها الشديدة. وهنا كان على السرد التوراتي أن يضع هروب داود الدرامي من شاول المُطارِد.

في الجنوب، تنحدر تلال حبرون تدريجيًا إلى وادي بئر السبع؛ والانتقال من الأراضي الصالحة للزراعة إلى المنطقة القاحلة أقل حدة هنا. وهنا، تثير أسماء الأماكن التي ما تزال موجودة ارتباطات بقصص داود؛ تحافظ عديد من القرى والآثار على أسماء المستوطنات التوراتية القديمة. فخربة معين هو الموقع التوراتي (معون)، وخربة الكرمل، على بعد أقل من ميل إلى الشمال، هي موضع الكرمل التوراتي - وكلاهما مذكور في قضية أبيغيل (صم 1: 25)، وخربة زيف هو الموضع التوراتي (زيف)؛ مخبأ داود حين هرب من شاول (صم 1 : 23 : 14-15)، أما (السموع) فهو موقع اشتموع التوراتي، وخربة عتير في جاتير فكلتا القريتان مدرجتان ضمن الأماكن التي حصلت على نصيب من غنائم داود في انتصاره العظيم على العماليق (1 صم 30:26-27).

وهكذا فإن الجغرافيا التوراتية تتطابق بشكل وثيق مع المشهد الفعلي في تلال يهوذا. لكن هذه الحقيقة لا تقدم لنا بالضرورة مساعدة كرونولوجية. لقد كانت الظروف الجغرافية موجودة منذ آلاف السنين وكان هذا المحيط مألوفًا لرواة القصص وصانعي الأساطير في جميع العصور القديمة. ومع ذلك، إذا أردنا أن نعتقد أن قصص داود ليست حكايات خيالية بحتة مفروضة على منظر طبيعي مألوف، فيجب أن ننظر إلى علم الآثار لاكتشاف ما إذا كانت الكوكبة المحددة لأسماء الأماكن والظروف الجغرافية تعكس حالة فريدة من نوعها في القرن العاشر قبل الميلاد والتي لم تكن الأجناس اللاحقة لتعرفها ولا يمكن أن تختلقها.

فكرة تغيير أنماط الاستيطان

في العقود الأخيرة، قدمت التنقيبات الآثارية المكثفة منظورًا جديدًا تمامًا لتطور المجتمع في تلال يهوذا على مدى آلاف السنين. العمل المضني لاستكشاف السطح والفحص الدقيق لجميع آثار الاستيطان القديم على مساحات كبيرة من الأراضي، والمقارنة بينها من خلال مؤشرات أنواع الفخار الشائع، ورسمها على خرائط مرتبة وفقًا لحقب زمنية متتالية - قدم لنا صورة درامية للتوسع والتراجع الديموغرافي الدوري. نحن نعرف متى أنشئت عديد من المواقع القديمة في المنطقة، ونعرف متى أستوطنت مناطق معينة بشكل كثيف ومتى لم تكن كذلك. وهذه المعلومات تقدم لنا أداة مهمة لمزامنة الخلفية التاريخية مع السردية التوراتية.

ونظرًا لعدم وجود دليل على معرفة القراءة والكتابة على نطاق واسع في يهوذا قبل نهاية القرن الثامن قبل الميلاد، فمن غير المرجح أن يتم كتابة "تاريخ صعود داود " قبل أقل من مائتي عام بعد عصر داود. فهل من الممكن أن يكون السرد قد جرى تأليفه في ذلك الوقت؟ وأن أنماط الاستيطان العامة وتوزيع السكان الموصوفة في قصة صعود داود تعكس نشوئها في وقت كتابة هذا التقرير - وليس لها صلة حقيقية بالموقف في القرن العاشر قبل الميلاد؟

الجواب: كلا. فالخلفية الجغرافية وراء أقدم قصص داود ببساطة لا تتناسب مع القرن الثامن قبل الميلاد، عندما كانت يهوذا ملكية متطورة بالكامل مع جهاز الإنتاج الأدبي والحاجة إلى تاريخ وطني. أولًا وقبل كل شيء ان في القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد، فان المناطق الهامشية في يهوذا حيث كان داود فارًا من شاول ويشن غاراته وأنشطته كقاطع طريق قد استوطنت بكثافة؛ فبالكاد كان من الممكن اختيارها كمكان مناسب لحرية الحركة والهروب الجريء. أما المنطقة الواقعة جنوب حبرون فقد كانت مليئة بأشجار كثيفة يسهل الوصول إليها من السلطة

المركزية في أورشليم. وحتى في أقصى الجنوب، في المنطقة القاحلة في النقب ووادي بئر السبع، حيث ورد أن داود شن غارات خاطفة على شعوب البرية المجاورة (صم 1: 27:10)، فقد كانت هناك شبكة كثيفة من البلدات والحصون والقرى المسورة تحمي الحدود الجنوبية للمملكة وتوفر الأمن لتجارة القوافل. وأظهرت التنقيبات الآثارية أيضاً، بداية تطوير هذه المنطقة في وقت مبكر من القرن التاسع قبل الميلاد. لقد أنشئت حصون اليهوذائية - في بئر سبع وعراد - للسيطرة على الطرق من حبرون إلى المناطق الصحراوية إلى الجنوب. في هذه الحقبة، أصبحت شفيلة أيضًا تحت السيطرة الملكية المركزية. وتظهر التنقيبات في موقعين يهوذائيين مهمين في هذه المنطقة - هما لخيش وبيث شمش- أنشطة بناء مهمة في القرن التاسع، عندما أصبحوا أكثر المراكز الإدارية تأثيرًا لحكم يهوذا في الغرب. ومن اللافت للنظر أنه لم تُذكر أي من هذه الأماكن في سلسلة قصص داود، ولا حتى من جانب جغرافي.

وهكذا فإن وصف "الجنوب المتوحش" بالفوضى وقطع الطرق في المناطق الهامشية من يهوذا، وهو أمر مركزي جدًا في قصة داود - لا يتناسب مع الوضع في أقرب حقبة ممكنة عندما دون "تاريخ صعود داود" كتابيًا. فالكاتب الذي عاش في أورشليم في أواخر القرن الثامن قبل الميلاد (أو لاحقًا) لم يكن ليصف مثل هذا الواقع وليس لديه سبب لاختراعه. في الواقع، هناك دليل مهم آخر يعيدنا إلى قرن ونصف آخر، مما يشير إلى أن القصة يجب أن تكون قد نشأت حتى قبل نهاية القرن التاسع قبل الميلاد - فقط بضعة أجيال بعد عصر داود.

هذا الدليل هو بروز مدينة (جت) الفلسطية في قصص داود. فهناك يبحث داود لمرتين عن ملجأ من انتقام شاول؛ وملكها، أخيش، الذي يوصف بأنه حاكم قوي، يسيطر على الأراضي والقرى خارج مدينته. ويشير الدور المركزي الذي يلعبه أخيش في تجمع القوات الفلسطية قبل المعركة الفاصلة مع شاول (1 صم 29) إلى دور بارز لجت في

تحالف أوسع، موصوف في التوراة، من خمس مدن فلسطية امتدت إلى الساحل، والتي شملت أيضًا أشدود وغزة وعسقلان وعقرون. ويظهر هذا التحالف في بعض الروايات الأخرى للفلسطة في التوراة، مثل (يش 13 : 3) و (1 صم 6: 17)، والتي تشير إلى التنظيم السياسي للمدن الفلسطية الخمس. ومن المثير للاهتمام، أن في النصوص الملكية ونصوص السبي المتأخرة (تلك الأجزاء من التوراة المكتوبة في أواخر القرن السابع والسادس قبل الميلاد)، مثل (إرميا 25:20) و(صفنيا 2:4)، ذُكرت أربع مدن فلسطينية فقط، وتركت جت خارج القائمة. وبطريقة مماثلة، تشير السجلات الملكية الآشورية في القرن السابع فقط إلى أشدود وغزة وعسقلان وعقرون في أوصافهم للفلسطة ولم تُذكر جت على الإطلاق.

فما الذي حصل؟ وفقًا لـ(2 مل 12: 17)، ان في عهد الملك يهوآش من يهوذا (حوالي 830 ق.م)، فان حزائيل، ملك دمشق، قام بحملة في شفيلة وغزا مدينة جت[1]. جرى تأكيد هذا التقرير التوراتي الآن من خلال التنقيبات الآثارية في تل الصافي، موقع جت القديم، والتي تظهر أن المدينة عانت من دمار كبير في نهاية القرن التاسع قبل الميلاد. وعلى الرغم من أنها كانت في السابق المدينة الأكثر شهرة في شفيلة وربما الأكبر في البلاد بأكملها، إلا أن جت تلاشت بشكل كبير من حيث الحجم والأهمية في القرون التالية. ونعلم من السجلات الآشورية أنه بعد قرن من الزمان لم تكن تُعد أكبر من بلدة صغيرة تحت سيطرة مدينة أشدود الساحلية. إذن، من غير المحتمل، أن أي شخص يعيش بعد أواخر القرن التاسع قبل الميلاد كان سيختار جت لتكون مكانًا مهمًا في قصص داود إذا لم تكن هناك على الأقل ذكرى أو تقليد شعبي لعظمتها المفقودة. وفي الواقع، عندما نحاول إعادة بناء الظروف الديموغرافية أقرب بكثير إلى عصر داود التاريخي، ينسجم الإطار العام للسرد التوراتي بشكل وثيق مع الأدلة الآثارية. ففي القرن العاشر قبل الميلاد، يبدو أن

(1) يبدو أن هذا الحدث يُذكر، كذكرى حية ودرسا مؤثرا، في نبوءة للنبي عاموس (6:2).

جت الفلسطية كانت أهم قوة إقليمية. وكانت تلال يهوذا، خاصة جنوب حبرون، قليلة الاستيطان، مع وجود عدد قليل من القرى الصغيرة في المنطقة بأكملها. لقد كانت منطقة هامشية برية وغير مروضة، خارج سيطرة الحكومة بشكل فعال. أفيمكن أن يكون هذا مجرد صدفة؟ أم أن هناك مؤشرات إضافية على أن بعض أجزاء قصة صعود داود إلى السلطة على الأقل تعكس ذاكرة مشتركة للأحداث التاريخية الفعلية؟

في مملكة عبدي خيبا

إن توفر القالب المادي لأنماط الاستيطان حسب قد يقدم لنا تاريخًا وتوزيعًا مكانيًا للمواقع في حقبة معينة، لكنه يقدم فقط دليلًا غير مباشر على السياق السياسي والاجتماعي والاقتصادي. وقد حاول علماء الآثار الذين يعملون في أجزاء مختلفة من العالم، ربط أنماط استيطانية معينة بالتكوينات الاجتماعية الجزئية وأنماط الوجود. ففي حالة تلال يهوذا في الحقبة التي سبقت صعود مملكة يهوذا، يمكننا بالفعل التعرف على طريقة حياة مميزة. فبسبب القيود المفروضة على الزراعة، بسبب التضاريس الصخرية، والتضاريس الحرجية، ومحدودية هطول الأمطار، كان عدد المجتمعات المتوطنة صغيرًا نسبيًا. وقد سجُل عدد قليل فقط من المواقع الدائمة، بما في ذلك أورشليم، وفي التنقيبات الآثارية للمنطقة بأكملها في جميع أنحاء العصر البرونزي المتأخر والعصر الحديدي المبكر (حوالي 1500 - 900 ق.م). كان معظم ما وجد هي قرى صغيرة. ولم يكن هناك مركز حضري حقيقي، ولا حتى مدينة واحدة محصنة. وفي الواقع، يمكن ان تكون اعداد السكان الصغيرة المتوطنين في التلال الجنوبية على أساس حجم المستوطنة، لا تزيد عن بضعة آلاف. وهذا يتباين بشكل صارخ مع الأراضي المنخفضة إلى الغرب؛ فهناك، احتوت كل من دويلات المدن الكنعانية الرئيسية ولاحقًا الصغيرة أيضا على عشرات البلدات والقرى، مع عدد كبير من

السكان المستقرين في المراكز الرئيسية والأراضي الزراعية النائية.

ونظرًا لأن المناظر الطبيعية البدائية للتضاريس الصخرية والغطاء الكثيف في تلال يهوذا لا يمكنها أن تستوعب إلا زراعة محدودة فقط، فيبدو أن نسبة المجموعات غير المستقرة - الرعاة ومربي الماشية - من إجمالي عدد السكان كانت مرتفعة نسبيًا. لقد حددت التنقيبات الآثارية المكثفة في التلال الجنوبية أدلة على وجود هذه المجموعة المتنقلة من الرعاة في شكل عديد من مقابر العصر البرونزي المتأخر، التي تقع بعيدًا عن المستوطنات الدائمة، والتي ربما كانت بمثابة أراضي مقابر قبلية.

كان تلال يهوذا مضيافة لهذا المزيج الخاص من المجموعات المستقرة والرعوية بسبب تنوع المناظر الطبيعية والفرص التي توفرها. وكان يمكن استخدام الأراضي الهامشية لبرية يهوذا ووادي بئر سبع للمراعي الشتوية والزراعة الجافة البحرية، بينما توفر التلال المركزية أراض صالحة للحقول والبساتين، والمراعي للقطعان في الصيف عندما كانت المناطق الأخرى جافة.

غالبًا ما انتظمت المجتمعات الريفية قليلة الاستقرار من مزيج من السكان المستقرين والسكان الرعويين فيما يصفه علماء الأنثروبولوجيا بالمشيخات "ثنائية الشكل"، ما يشير إلى مجتمع واحد ينتشر على مساحة كبيرة، حيث يوجد شكلان من المعيشة، الزراعة والرعي، جنبًا إلى جنب. معتمدين بشكل عام على نظام سياسي قائم على القرابة حيث يُحكم القرويون المستقرون والرعاة المتنقلون بشكل فضفاض من قبل زعيم أو رجل قوي، يقيم مع حاشيته الصغيرة في معقل مركزي.

إن توصيف يهوذا المبكر كمشيخة ثنائية الشكل له بعض التأكيد التاريخي المستوحى من عصر ما قبل عدة قرون من زمن داود. فقد جرى اكتشاف مجموعة مما يقرب من أربعمائة لوح مسماري بالصدفة في أواخر القرن التاسع عشر من فلاحين محليين كانوا يحفرون في موقع تل العمارنة في مصر، على بعد حوالي 150ميلًا جنوب القاهرة مكتوبة

باللغة الأكادية وبخط مسماري، وهي اللغة المشتركة للشرق الأدنى القديم، وهي تشكل جزءًا من المراسلات الدبلوماسية بين الملوك أمنحتب الثالث وأمنحتب الرابع (الشهير بأخناتون) من ناحية، وبين حكام الدول الآسيوية ودويلات المدن الكنعانية، من ناحية أخرى، في القرن الرابع عشر قبل الميلاد. وفي هذا العصر، أدار المصريون كل كنعان كمقاطعة وحافظوا على حاميات في عدد قليل من المدن الكبرى، لكنهم تركوا معظم البلاد تحت السيطرة المحلية الاسمية. لقد قُسمت الأراضي المنخفضة بين عدد من الأراضي المستقرة بكثافة نسبيًا والمحكومة من دويلات المدن، بينما كانت التلال تتألف من مناطق أكبر بكثير ولكنها قليلة السكان. وتتوافق المعلومات الواردة في أرشيف العمارنة بشكل وثيق مع الأدلة الآثارية، وتقدم لنا تفاصيلها الشخصية والسياسية لمحة فريدة عن بنية المجتمع وتوتراته الداخلية في المنطقة التي سميت فيما بعد يهوذا - والتي ستصبح بعد عدة قرون مسرحًا لصعود داود.

في زمن أرشيف العمارنة، كانت أورشليم يحكمها شخص يدعى (عبدي خيبا). والرسائل الست التي أرسلها إلى مصر، والرسائل التي بعثها جيرانه تزودنا بمعلومات قيمة عن مدينته وأراضيه ورعاياه. لقد امتدت الأراضي الواقعة تحت سيطرته من منطقة بيت إيل، على بعد حوالي عشرة أميال شمال أورشليم، إلى وادي بئر السبع في الجنوب، ومن برية يهوذا في الشرق إلى الحدود بين منطقة التلال وشفيلة في الغرب – وهو تقدير تقريبي للمنطقة الأساسية التي سيطرت عليها مملكة يهوذا لاحقًا. احتوت هذه المنطقة على عدد صغير من القرى ومجموعات من البدو الرعويين - تسمى شاسو، أو "النُهّاب،" في السجلات المصرية - التي عُثر عليها في جميع أنحاء البلاد - كانوا مهيمنون بشكل خاص على المناطق النائية نسبيًا من السهوب والتلال. وعلى أساس الأدلة الآثارية، يمكننا أن نفترض أنهم شكلوا جزءًا كبيرًا نسبيًا من سكان مملكة عبدي خيبا.

امتدت أنشطة عبدي خيبا ونفوذه على مساحة أكبر بكثير - وصولًا إلى

وادي يزرعيل في الشمال. وكانت ادنى نقطة للتوتر هي الحدود مع دول المدن الأكثر اكتظاظًا بالسكان في الأراضي المنخفضة إلى الغرب. في ضوء المقارنات المحتملة مع زمن داود، فان من الجدير بالملاحظة أن السيطرة على محاصيل وأراضي البلدات الحدودية الواقعة بين منطقة التلال وشفيلة كانت مسألة خلاف دائم بين عبدي خيبا من أورشليم ومنافسه شوارداتا، حاكم الدويلة المدينة: جت.

لا يمكن أن تكون أورشليم، المذكورة في رسائل العمارنة كمقر سلطة عبدي خيبا، أكبر من قرية صغيرة تقع على التلال نفسها التي شغلتها أورشليم في وقت لاحق. فلم تكشف التحقيقات الآثارية الحديثة في أورشليم ولأكثر من قرن عن أي بقايا مهمة من عصر عبدي خيبا. لقد عُثر على مقابر معزولة فقط وعدد قليل من قطع الفخار البرونزية المتأخرة على سلسلة جبال مدينة داود اللاحقة - خاصة بالقرب من المصدر الدائم الوحيد للمياه العذبة في المدينة، نبع جيحون. وربما لم تكن أورشليم في عصر عبدي خيبا أكثر من قرية صغيرة في التلال، مع قصر متواضع ريفي أكبر بكثير من المساكن الأميرية المزخرفة في مدن الأراضي المنخفضة الرئيسية. وربما كان هناك معبد متواضع يقف بجانبه، ربما كان محاطا ببضعة منازل للنخبة الحاكمة، وخاصة عائلة الزعيم الإقليمي. وبالتأكيد لم يكن هناك شي أكثر أهمية من ذلك.

تغطي رسائل العمارنة مدة زمنية قصيرة فقط - بضعة عقود في القرن الرابع عشر قبل الميلاد. هل ينطبق الموقف الذي يصفونه على القرون التي تلت ذلك، أم كان استثناء؟ إذا نظرنا إلى آلاف السنين من الاستيطان البشري في هذه المنطقة، فإن النمط نفسه يظهر مرة تلو أخرى. وبمرور الوقت كانت نسبة أصحاب القطعان والرعاة في التلال الجنوبية الهامشية من إجمالي السكان كبيرة دائمًا. كانت المدن وحتى القرى المستقرة قليلة العدد، حيث كانت موجودة كبؤر استيطانية معزولة في مشهد دائم التغير من الرعي وتربية الماشية في الغابات وفي جميع ارجاء حافة البرية. قد تكون السلالات قد تغيرت؛ وربما جرى

التخلي عن قرية ما، وربما جرى إنشاء قرية جديدة؛ لكن الصورة العامة للتلال الجنوبية ظلت صورة مشيخة ثنائية الشكل قليلة الاستقرار، حُكمت من إحدى قراها الأم كـ"شبكة قرابة فضفاضة من الرعاة والقرويين".

وقد ظلت أنماط الاستيطان الشاملة هذه ثابتة تمامًا حتى ظهور مملكة يهوذا في القرن التاسع قبل الميلاد، أي بعد قرن كامل من زمن داود. ويمكن لهذه الملاحظات الآثارية والأنثروبولوجية أن تزودنا بإعادة بناء المشهد البشري في عصره، وربما تفسيرًا لصعوده إلى السلطة أيضًا.

الخارجون على القانون والملوك

تشير استغاثات عبدي خيبا المتكررة لطلب العون من السلطة المصرية إلى أن الوضع السياسي في التلال كان مضطربًا وغير مستقر. ونظرًا لبيئتها الصعبة وانخفاض عدد سكانها، لم توفر التلال سوى القليل من الفائض الزراعي الذي يمكن للحاكم من خلاله تجنيد قوات مسلحة كبيرة أو الحفاظ على أكثر من مجرد مظهر رمزي للسلطة. فمن خلال عمله من معقل صغير وبجانبه كاتب، لم يكن بإمكان عبدي خيبا أن يفعل أكثر من مجرد تقديم شكوى إلى الفرعون بشأن الغارات التي تشنها دويلات مدن السهول على فلاحيه الذين كانوا يعانون بالفعل من ضغوط شديدة. ولم تكن التهديدات خارجية فقط. بل هناك أدلة على أنه حتى داخل أنظمة التلال مثل نظام عبدي خيبا، كانت الضغوط الاقتصادية والاجتماعية تتزايد بين السكان. وكان هناك شكل خطير محتمل من أشكال المقاومة للنظام القائم آخذ في الارتفاع.

تشير رسائل العمارنة بشكل متكرر إلى مجموعتين تعملان خارج نظام الاستقرار في البلدات والقرى الخاضعة للسيطرة المصرية. وقد ذكرنا بالفعل الشاسو؛ وهم مجتمعات الرعاة المتنقلة في التلال والسهوب. أما المجموعة الثانية، التي تُذكر بشكل متكرر، وهي الأكثر أهمية في

مناقشتنا فهي: العبيرو Apiru. لقد كان يُعتقد سابقًا أن هذا المصطلح، الذي يُترجم أحيانًا باسم خبيرو Habiru، مرتبط بمصطلح "العبرانيين"، لكن النصوص المصرية توضح أنه لا يشير إلى مجموعة عرقية معينة بقدر ما يشير إلى طبقة اجتماعية واقتصادية إشكالية. كان (العبيرو) فلاحون ورعاة مشردون تحولوا في بعض الأحيان إلى قطاع طرق، وفي أحيان أخرى باعوا أنفسهم كمرتزقة لمن يدفع السعر الأعلى، وكانوا في كلتا الحالتين عنصرًا تخريبيًا في أي محاولة - سواء من قبل الحكام المحليين أو من الإدارة المصرية - للحفاظ على استقرار سلطانهم.

في رسائله إلى مصر، يتهم عبدي خيبا - مثل عديد من التابعين المصريين المعاصرين الآخرين - خصومه بالانضمام إلى العبيرو، أو إعطاء أراضيهم لهم، وهم الذين كان يُنظر إليهم على أنهم معادون للمصالح المصرية. وربما كان عديد منهم فلاحين مهجرين أو نازحين أو هاربين من النظام الإقطاعي الوحشي في مدن وقرى الأراضي المنخفضة. فكان الفلاحون هناك، يشكلون المستوى الأدنى من التسلسل الهرمي الاجتماعي الخاضع للضرائب الباهظة، والسخرة، واضطهاد السلطات المحلية. ولم يكن لدى الفلاحون المتزوجون الذين لديهم عائلات كبيرة القدرة ليفعلوا شيئًا سوى محاولة العيش على أراضيهم. ولكن عندما تراكمت الضغوط وانتشر اليأس على نطاق واسع، أصبح بإمكان الفلاحين الشباب، وخاصة أولئك الذين لم ينشئوا أسرًا بعد، أن يبحثوا عن الحرية عن طريق الهروب إلى المناطق التي كانت فيها قوة الحكام المحليين والأجانب ضعيفة. وهناك يمكنهم الانضمام إلى عصابات قطاع الطرق أو العيش بذكائهم كمرتزقة متجولين. لقد وفرت تلال يهوذا موقعًا مثاليًا تقريبًا لنمط العيش هذا.

لقد أظهر المؤرخ الاجتماعي البريطاني إريك هوبسباوم Eric Hobsbawm، في دراسته لظاهرة قطاع الطرق الاجتماعية العالمية، أن قطاع الطرق والمتمردين كانوا دائمًا ينجذبون إلى البيئات الجبلية المنعزلة، وأن القرى الجبلية والمجتمعات الرعوية كانت في كثير من الأحيان مسرحًا

لأشهر مآثرهم. وأظهر هوبسباوم أيضًا أن من المرجح ان تتكون عصابة قطاع الطرق المميزة في منطقة التلال من الرعاة الشباب، والعمال الذين لا يملكون أرضًا، وأحيانًا من جنود سابقين. وبعد تتبّعه هذه الظاهرة في دول البلقان والمكسيك وإيطاليا والبرازيل والمجر والصين، أشار إلى أن المناطق الجبلية هي الأكثر عرضة لهذا النوع من النشاط، حيث أن الحكومات دائمًا مترددة في التحرك في هذه المناطق الوعرة والنائية فيما يمكن لعصابات قطاع الطرق أن تصبح سلطة بحد ذاتها. كان هذا بالتأكيد هو الحال في كنعان، حيث كان العبيرو يعملون خارج النظام، غير راغبين في أن يكونوا فلاحين ورعاة خاضعين. أما بالنسبة للحكام المحليين، فقد كانوا طبقة دنيا متمردة يجب شراؤها أو قتلها أو السيطرة عليها بطريقة ما.

يستمر ذكر العبيرو في وقت متأخر من 1000 ق.م. وهم يساعدون في تفسير صعود داود إلى السلطة بطريقة واقعية تمامًا.

أكان داود من العبيرو؟

ببساطة، يحتوي وصف صعود داود في سفر صموئيل الأول على عديد من أوجه التشابه المميزة مع نشاط زعيم عبيرو نموذجي وعصابته المتمردة. داود "ورجاله الأشداء" يضعون قواعدهم الخاصة ويشكلون بلامبالاة تحالفات سياسية متغيرة من أجل البقاء وحده. إنهم يعيشون ويعملون في قرى نائية وعلى أطراف البرية - في برية يهوذا الوعرة وعبر أراضي السهوب القاحلة في الجنوب - بعيدًا عن متناول السلطة والذين تجبرهم الضرورة على إيجاد مأوى عند حاكم فلسطي مجاور، فيصبحون عملاءه ومرتزقته الجاهزين. ومع ذلك، فهم يدركون دائمًا ان قاعدة دعمهم وحمايتهم هي بين القرويين والرعاة الذين نشأوا منهم - مما يجعلهم يظهرون عروضًا رائعة لتوفير الحماية من الغزاة الخارجيين ومشاركة غنائمهم معهم من أجل الحصول على مزيد من الدعم. كان

يُنظر دائمًا إلى قطاع الطرق المتآلفين هؤلاء بمزيج من الازدراء والإعجاب. فبينما تصور رسائل العمارنة العبيرو على أنهم خونة، سفاحين خطرين، يصور العهد القديم داود على أنه جريء، وشخصية زئبقية في بعض الأحيان تفوز بالتملق لسكان التلال كحامٍ وقائد يمكنهم التواصل معه.

عند المقارنة عن كثب، فإن بعض تفاصيل السرد التوراتي متطابقة تقريبًا مع أوصاف فرق العبيرو في رسائل العمارنة. وواحد من أكثر ما يكشف ذلك هو الوصف، المقتبس في بداية هذا الفصل، لكيفية توافد مجموعة واسعة من العناصر الهامشية في مجتمع يهوذا على عصبة داود:

"وهرب داود مِنْ جت ولَجأ إلى مغارَةِ عَدلاَّمَ. فلمَّا سَمِعَ إخوتُهُ وجميعُ بَيتِ أبيهِ بالأمرِ نزَلوا إلى هُناكَ. وانضَمَّ إليهِ كُلُّ مَنْ ضاقَت بهِ الحالُ، أو كانَ علَيهِ دَينٌ، أو شعرَ بِمَرارةِ نفْسٍ، فتولَّى قيادَتَهُم وصارَ معَهُ نحوَ أربعِ مئةِ رجُلٍ". (2 صم 22: 1-2).

وينطبق الشيء نفسه على وصف تكتيكات داود؛ فهو ينقذ سكان قرية قعيلة من أيدي الفلسطة. وداود وجيشه الخاص - سريع، ومناور، وفتاك - سحق تهديدًا خارجيًا لسكان الريف، والتي كانت الإدارة المركزية إما خائفة جدًا أو ضعيفة جدًا بحيث لا يمكنها مواجهته فيأخذ داود الأمور على عاتقه ويظهر كمنقذ محلي. وبمجرد تحقيق الانتصار الخاطف وحمل الغنائم، تنسحب عصابة قاطعي الطرق إلى مخابئها البرية بأمان مرة أخرى.

"فسارَ داود ورجالُهُ إلى قعيلَةَ، وحارَبَ الفِلسطيِّينَ، وأنزلَ بِهِم هزيمةً عظيمةً وساقَ مواشيَهُم، وخلَّصَ أهلَ المدينةِ مِنهُم.." (1 صم 23 : 5)

"فقامَ داود ورِجالُه، وهُم نحوَ سِتُّ مئةِ رجُلٍ، وخرَجوا مِنْ قَعيلَةَ، ولمَّا علِمَ شاول بذلِكَ امتنَعَ عَنِ الخُروجِ لِمُحارَبَتِهِ..." (1 صم 23 : 13)

"وأقامَ داود في برِّيَّةِ زيفَ، في مَغاوِرِ الجَبلِ هُناكَ..." (1 صم 23 : 14).

في الواقع، لدينا تطابق جغرافي مباشر مع هذا الموقف من مراسلات تل العمارنة. فقرية (قعيلة) التي طوبقت مع موقع (خربة قعيلة)، تقع في أقصى الحافة الشرقية من شفيلة العليا - معزولة وعرضة للهجمات من حكام شفيلة السفلى والسهل الساحلي المجاور. وكان الفلسطة قد سيطروا على هذه المنطقة بعد انسحاب النظام المصري من كنعان. لذلك كان من الممكن توقع هجمات من قبل دويلات المدن الصغيرة القوية على حدود منطقة التلال - لنهب المحاصيل أو ترويع سكان الريف المتناثرين - في هذه الحقبة. لكن يبدو أن قصة قعيلة التوراتية تعكس أيضًا نمطًا طويلًا من الغارات والهجمات المضادة التي كانت مستمرة في هذه المنطقة منذ أواخر العصر البرونزي على الأقل.

في الواقع، ان من المهم أن تكون قعيلة مذكورة صراحة في أرشيف العمارنة كمدينة كانت حيازتها محل نزاع ساخن، وفي هذه الحالة كان بين شوارداتا الجتي وعبدي خيبا من أورشليم. فقد هاجم شوارداتا القرية (المسماة كيلتو Qilt أو كايلتو Qeltu في رسائل العمارنة)، والتي اعتبرها ملكًا له. وقد تشير جملة في إحدى رسائل شوارداتا، تنص على أنه "يجب أن أذهب إلى كيلتو الـ [خائنة] [مرة أخرى] "، تلميحًا إلى أن قوات العبيرو المحلية كانت متورطة أيضًا، هذه المرة إلى جانب عبدي خيبا. وقصة داود، تجري في المنطقة نفسها في ظل الظروف نفسها بعد حوالي أربعمائة عام، وجرى التطرق لها في العهد القديم بطريقة مماثلة: يتم الدفاع عن قعيلة من قبل عصابة من الرجال المسلحين الذين يصدون الغزاة، وهذه العصابة تعمل بشكل مستقل نيابة من حكومة مركزية عاجزة.

وأكد الاستخدام المتكرر للعبيرو كمرتزقة رفضهم للولاء السياسي التقليدي. وفي حالة داود، لا يمكن أن تكون أكثر وضوحًا. لقد كانت مدينة جت الفلسطية تهديدًا عدوانيًا قاس لأهل التلال؛ فقد كان

حاكمها أخيش عدوًا قاتلًا. ومع ذلك، في مناسبتين وُصِف داود بأنه يحتمي في الأراضي الفلسطية. ففي المرة الأولى (1 صم 21 : 10-15)، ظهر وحيدًا في جت وطلب اللجوء دون جدوى. لكن في المرة الثانية، أصبح داود حليف فلسطية وأُعطي إقطاعية إقليمية، و كان حرًا في مهاجمة الأراضي غير الفلسطية:

وعبرَ داود هوَ والستُّ مئةِ رجلٍ الّذينَ معَهُ، إلى أخيش بنِ معوكَ مَلكِ جَتٍّ. وأقامَ داود عِندَ أخيش بِجَتٍّ هوَ ورجالُهُ، كُلُّ واحدٍ معَ أهلِ بَيتِهِ، وداود معَ امرأتَيهِ أخينوعمَ الّتي مِنْ يزرعيل وأبيجايلَ الّتي كانت زوجَةَ نابالَ في الكَرمَلِ. وقيلَ لشاول إنَّ داود هرَبَ إلى جتٍّ، فتوقَّفَ عَنْ مُطاردَتِه. وقالَ داود لأخيش: «إنْ كنتُ أنعَمُ بِرضاكَ، فأعطِني مكانًا في إحدى قُرى البَرِّيَّةِ لأسكنَ فيهِ. فلِماذا أسكنُ يا سيِّدي المَلِكُ في المدينةِ معَكَ؟» فأعطاهُ أخيش في ذلِكَ اليومِ صقلغ الّتي صارت لمُلوكِ يهوذا إلى هذا اليومِ. وسكنَ داود في بلادِ الفِلسطيِّينَ سنَةً وأربعَةَ أشهرٍ. وكانَ داود يخرُجُ هوَ ورجالُهُ ويَغزونَ الجَشوريِّينَ والجَرْزِّيِّينَ والعماليقيِّين، وهُم قبائلُ سكنتِ الأرضَ في قديمِ الزَّمانِ مِنْ حُدودِ شورَ إلى أرضِ مصر. وكانَ داود يَغزو البلادَ فلا يُبقي على رَجلٍ ولا امرأةٍ، ويأخذُ الغنَمَ والبقَرَ والحميرَ والجِمالَ والثِّيابَ ويرجعُ إلى أخيش. (1 صم 27: 2-9)

وفي ظروف أخرى، لا يتورع داود وعصابته من محاولة عرضية لابتزاز من هو من بين صفوف شعبه. فيرسل داود عشرة من رجاله إلى نابال، وهو صاحب أغنام يهودي ثري في قرية الكرمل، "لتذكيره" بالحماية التي وفرها رجاله لرعاة نابال وجزاريهم، والمطالبة في المقابل "فابعَثْ معَهُم لابنِكَ داود ورِجالِه ممَّا تَيسَّر" ويرد نابال الغاضب على داود برد لم يكن من الممكن أن يكون أكثر استخفافًا أو أكثر كشفًا عن التماثل مع ظاهرة العبيرو.

فأجابَهُم نابالُ: «مَنْ هوَ داود؟ مَنْ هوَ ابنُ يَسّى؟ كثُرَ اليومَ العبيدُ الّذينَ هرَبوا مِنْ عِندِ أسيادِهِم. كيفَ لي أنْ آخُذَ خُبزي ومائي وذبيحَتي الّتي

ذَبحتُ للّذينَ يَجُزُّونَ غنَمي وأُعطيها لقومٍ لا أعرِفُ مِنْ أينَ هُم؟» (1 صم 25 : 10-11)

د تكون إجابة نابال صادقة، لكنها بالتأكيد لم تكن فعالة:

" فقالَ داود لِرجالِهِ: «تَقلَّدوا سُيوفَكُم». فقَعَلوا وتَقلَّدَ داود سيفَهُ أيضًا، وصعِدَ على رأسِ أربعِ مئةِ رَجُلٍ، وبَقِيَ مِئَتا رَجُلٍ يَحرسونَ الأمتعةَ" (1 صم 25: 15)

فقًا للعهد القديم، تلقى داود جزيته، وسقط نابال ميتا، وضم داود أرملته -ابيغيل الجميلة - كزوجة جديدة له. وقد تكون هذه الأحداث قد حدثت بالفعل كما هو موضح في العهد القديم، أو قد تعبر بطريقة حية ومعبرة عن وضع مألوف في التلال الجنوبية بين نبلاء القرية وقطاع الطرق. وفي كلا الحالتين، فالأمر قد اتضح. وكذلك التلميح إلى أن داود كان لديه استراتيجية أكبر من مجرد أعمال عنف ونهب معزولة. فبعد قعيلة، جرى الاعتراف به والترحيب من قبل السكان المحليين كحامٍ وطالب ثأر. فبعد انتصاره العظيم على العماليق، قدم نصيبًا سخيًا من غنائمه لجميع شيوخ تلال يهوذا المحليين الذين دعموه أو آووه (1 صم 30: 26-31).[1] فإذن ليس من المستغرب أن يُعلن الشيوخ نفسهم بعد مدة قصيرة داود "ملكا" على يهوذا في تجمعهم في حبرون. فمن قاطع من قطاع الطرق، ارتقى داود ليُعترف به كزعيم شعبي على التلال الجنوبية ذات الكثافة السكانية المنخفضة. لكن حبرون كانت دائمًا ثاني أهم مدينة في يهوذا. فلا عجب أن السرد التوراتي يصف داود وقد وضع نصب عينيه بعد مدة قصيرة على أورشليم - مفتاح السيطرة على التلال الجنوبية بأكملها.

---

(1) يبدو أن النص الأصلي هو صموئيل الأول 30:26. كما سنرى في فصل لاحق، تمت إضافة قائمة المدن التالية على ما يبدو في وقت لاحق، لخدمة أهداف مملكة يهوذا الإقليمية الموسعة.

من قطع الطريق إلى الزعامة القبلية

لم يكن صعود زعيم من العبيرو إلى السلطة السياسية أمرًا غير مسبوق. فان رسائل العمارنة تقدم عديدًا من المؤشرات على أن الحكام المحليين - خاصة في التلال - ربما جاءوا من خلفيات العبيرو نفسها. وعلى الرغم من أن رسائل عبدي خيبا استخدمت مصطلح "عبيرو" باستهجان غاضب، فمن المحتمل أنه هو نفسه تعاون مع هذه الجماعات ضد مدن السهول عندما خدمت مصالحه. وليس من المستبعد أن يكون عبدي خيبا قد صعد إلى السلطة هو أيضًا من خلفية عيبرو.

وهذا بالتأكيد ما حدث في المناطق المجاورة. ففي الجزء الشمالي من جبل لبنان، بالقرب من الحدود الحالية بين لبنان وسوريا، قام زعيمان، يدعى احدهما عبدي عشيرتا Abdi-ashirta والآخر عزيرو Aziru – وهما أب وابنه - بتوسيع نفوذهما من قريتهما المرتفعة الصغيرة والنائية وصولًا إلى المنطقة الجبلية عند سفح الجبال ثم إلى السهل الساحلي بالقرب من مدينة طرابلس الحالية في شمال لبنان. فقاموا أولًا بمهاجمة دويلة مدينة محلية ثم استولوا على مركز إداري مصري. وأسسوا دولة عموري Amurru المؤثرة، والتي امتدت على مساحة كبيرة، بما في ذلك المناطق الساحلية والجبل. وبعد بضعة أجيال، في القرن الثالث عشر قبل الميلاد، كانت هذه الدولة قوية بما يكفي لتغيير ميزان القوى بين الإمبراطوريتين المصرية والحيتية.

مثال آخر - أقرب إلى يهوذا - هو لابايو Labayu، حاكم مدينة شكيم في التلال الشمالية. فقد توسعت مؤامرات ومناورات لابايو هذا، التي نشأت في منطقة التلال، في النهاية لتشمل أجزاء كبيرة من البلاد - من جازر وأورشليم في الجنوب إلى وادي يزرعيل وما بعده في الشمال - وتصف رسائل العمارنة محاولاته للتوسع - ربما بالتعاون مع مجموعات من العبيرو - في وادي يزرعيل والحصول على أراضي من دويلات المدن

في تلك المنطقة، بما في ذلك مجدو. ثم فشلت استراتيجيته. وأدين كمجرم، وقُتل على يد جيرانه، الذين انخرطوا في خدمة السلطات المصرية.

لسوء الحظ، لا يمكننا أن نتابع عن كثب الوضع السياسي في التلال الجنوبية على مدى أربعمائة عام، بين زمن عبدي خيبا في القرن الرابع عشر قبل الميلاد وأنشطة داود المفترضة في القرن العاشر قبل الميلاد. فالنصوص المصرية قليلة ومفككة للغاية. وتشير الرواية التوراتية إلى أن شعبًا يدعى اليبوسيين كانوا حكام أورشليم في وقت غزو داود. وليس لدينا أي معلومات عنهم وعن عصرهم، أو كيف وصلوا إلى السلطة، ولكن من خلال المؤشرات الآثارية، يبدو أن أنماط الاستيطان العامة في عصر العمارنة قد استمرت.

تعتبر البقايا في أورشليم من أوائل العصر الحديدي (أواخر القرن الثاني عشر إلى حوالي 900 ق.م)، أكبر قليلًا من تلك الموجودة في أواخر العصر البرونزي، مما يشير على الأرجح إلى أن قرية عبدي خيبا الصغيرة نمت تدريجيًا في الحجم. فقد كشفت التنقيبات على المنحدر الشرقي لمدينة داود، فوق نبع جيحون، عن نظام من المدرجات الحجرية التي ربما بُنيت لدعم حصن أو حتى قصر محصن، لكن لا يمكننا معرفة ما إذا كان هذا قد حدث في ظل حكم سلالة عبدي خيبا، أو فيما إذا ظهر قادة جدد لانتزاع السلطة من ورثته. كما أننا لا نعرف ما وجه العلاقة بين حكام أورشليم الأوائل في العصر الحديدي والأوصاف التوراتية لليبوسيين.

أما في خارج أورشليم، فلم يتغير شيء يذكر على أي حال. فقد كانت منطقة التلال إلى الجنوب ما تزال قليلة السكان، وعلى الرغم من أن عدد المواقع المستقرة نما بشكل متواضع. لكن بشكل عام، سجلت الدراسات الاستقصائية بقايا حوالي عشرين مستوطنة دائمة في وقت مبكر من العصر الحديدي في التلال الجنوبية. يمكن تقدير عدد سكانها

ببضعة آلاف من الناس، والتي يجب أن تضاف إليها مجموعات قاطعي الطريق المتجولة ومجتمعات الرعي الكبيرة.

ماذا يمكننا أن نقول عن دور داود في كل هذا؟

كان نظام قطع الطرق التقليدي طريقة مؤقتة للحياة، يتعامل بطريقة عشوائية ووحشية مع الضغوط الداخلية وعدم المساواة في المجتمع. لكن في بعض الأحيان، أدت القوة المتزايدة والدعم لقادة العبيرو إلى تغيير دائم للنظام - مع تولي بعض زعماء العصابات المؤثرين أو الناجحين زمام حكم التلال بأنفسهم. وسواء استطعنا إدراك نواة تاريخية في الرواية التوراتية لغزو داود لأورشليم اليبوسية من خلال هجوم جريء أم لا، فيمكن لنا التعرف على نمط مألوف لتغيير النظام القديم. فعلى مر القرون، لم تكن أورشليم مجرد المعقل الأبرز للتلال الجنوبية؛ بل كانت البؤرة المركزية والمرساة السياسية للشكل التقليدي لمشيخة ثنائية الشكل التي اجتاحت منطقة التلال الجنوبية بأكملها.

إن من الصعب للغاية ربط التوسع المتواضع لأنشطة البناء في أوائل العصر الحديدي في أورشليم بأحداث العهد القديم. وفيما إذا كانت المدرجات والهياكل الأخرى على المنحدر الشرقي لمدينة داود كانت تهدف إلى دعم قلعة، فذلك مما لا يمكننا الجزم به.[1] ونحن لا نعرف حتى متى، بالضبط، في غضون القرون القليلة الأولى من العصر الحديدي وقعت أعمال البناء تلك. نحن نعلم فقط أنه في مرحلة ما، اعترف أتباع داود وأحفاده بأورشليم عاصمة لهم. كانت البروتوكولات الرسمية لنظام داود الجديد بسيطة. وكان من الممكن إدارة الأعمال مع عشائر التلال من خلال اللقاءات وجهًا لوجه والتفاعل الاجتماعي. وكان من الممكن أن يكون سرد القصص مفتاحًا للحفاظ على للدعم المستمر من سكان الأراضي الجنوبية المرتفعة، الآن بعد أن تحول من حاميهم العرضي إلى رئيسهم الدائم.

---

(1) للحصول على وصف أكثر تفصيلا للنقاش حول بقايا العصر الحديدي المبكر في أورشليم، انظر الملحق 2.

على الرغم من أن الحقائق الديموغرافية والاجتماعية والسياسية وراء قصص داود كفرد من العبيرو تبدو جميعها وكأنها تعكس ذكريات حقبة مبكرة - ربما ذكريات الحقائق الفعلية إن لم تكن الأحداث في القرن العاشر قبل الميلاد - فمن الواضح أن هذه القصص لم يتم تدوينها كتابيًا في ذلك الوقت. فربما نقلت سلسلة قصص داود العبيرو شفهيا، تلك التي تحتوي على بعض الذكريات الموثوقة إلى حد ما حول الظروف في التلال في بداية سيرة حياته، لنحو قرنين من الزمان، حتى القرن الثامن قبل الميلاد، عندما ظهرت العلامات الأولى لمحو الأمية على نطاق واسع في يهوذا. ولمدة مائتي عام، كان داود هو بطل الحكايات الطويلة والحكايات الشعبية التي احتفلت بسيرته غير العادية. ومع ذلك، فإن الانتقال عن طريق الشفاهي سلس تمامًا. لا يمكن أن يكون هناك شك في أن الشكل الذي بحوزتنا من هذه القصص اليوم - والذي دُمج أولًا في "صعود داود" المتماسك ثم في التاريخ التثنوي الأكبر - يختلف تمامًا عن شكل الحكايات الأصلية. فلقد غيرت قرون من المبالغة وسرد القصص بالتأكيد من بعض العناصر، وحُذف بعضها الآخر، وأُضيفت طبقات متتالية من التوليد السياسي واللاهوتي الذي عكس اهتمامات وواقع الرواة.

فكيف يمكننا أن نبدأ في فصل الطبقات؟ يقترح الباحث الأمريكي التوراتي كال ستانلي إيسر Stanley Isser أن ننظر إلى عملية تأليف الحكاية الشعبية نفسها. لقد فحص سرد "صعود داود إلى السلطة" وحدد الموضوعات الأسطورية الشائعة التي تتشاركها مع حكايات قطاع الطرق وأساطير الأبطال في فترات تاريخية مختلفة وفي مختلف أجزاء العالم. ومما يثير الاهتمام بشكل خاص هي "الأحافير" الأدبية التي تتخلل نص قصة داود. فيبدو أن مقتطفات من الحكايات البطولية القديمة قد جرى قصها ولصقها في السرد في أماكن مختلفة. وأدت هذه الرغبة الواضحة في جمع ودمج جميع التراث المعروف إلى اثنين من

أكثر المقاطع المحرجة في نص مكتوب بشكل جيد.

فقبل وبعد خطاب وداع داود المحتضر - الذي وُضع بشكل غريب في خضم سرد السنوات الأخيرة من حكم الملك - تأتي سلسلة من الملخصات النابضة بالحياة ولكنها خاطفة تقريبًا للأعمال البطولية (2 صم 21 : 15-22؛ 23 : 8-39) لأتباع داود في بداية سيرة حياته، وخاصة في الحروب ضد الفلسطة. وعلى ما يبدو، قام المحرر أو المحررون الذين قاموا بتجميع هذه المقاطع معًا بجمع معلومات إضافية حول مآثر بعض أهم أتباع داود لكنهم فشلوا في دمج هذه الحلقات في السرد المتدفق بسلاسة. لذلك وُضعت كنوع من الملاحق الذي يحتوي على ملخصات موجزة لبعض القصص التي يجب أن تكون حكايات شعبية معروفة بحد ذاتها.

«وهَمَّ يِشبي بَنوبُ أحدُ الجبابِرةِ الفِلسطيِّين1 أنْ يَقتُلَهُ، وكانَ وزنُ رُمحِه ثَلاثَ مئةِ مِثقالٍ مِنْ نحاس وسَيفُهُ حديدا. فأنجَدَهُ أبيشايُ بنُ صَروئيَّةَ وضرَبَ الفِلسطيَّ فقتَلَهُ. فما كانَ مِنْ رجالِ داود إلا أنِ استَحلفوهُ وقالوا: «لا تَخرُجْ معَنا إلى الحربِ لِئلاَّ تموتَ وينطفِئَ سِراجُ إسرائيل» (2 صم 21: 16-17).

«ونشبَت أيضًا معركةٌ في جَتَّ، شاركَ فيها رجُلٌ مَديدُ القامةِ، في كُلِّ مِنْ يَديهِ ورِجلَيهِ سِتُّ أصابِعَ، وهوَ أيضًا أحدُ الجبابِرةِ. فلمَّا أخذَ يتَحدَّى رجالَ إسرائيل قتلَهُ يوناثانُ بنُ شِمعي أخي داود. » (2 صم 20:21-21).

«وهذِهِ أسماءُ أبطالِ داود: يوشيبُ بَشَّبَتُ التَّحكمونيُّ رئيسُ الأبطالِ

---

(1) قام محررو النسخة العربية المشتركة بنقل النص حرفيا من نسخة الملك جيمس اسم Philistines في حين يرد في نسخة "كتاب الحياة" ونسخة فان دايك على الترتيب:

(1) وَهَمَّ يِشْبِي بْنُ بَنُوبَ، أَحَدُ أَبْنَاءِ رَافَا، أَنْ يَقْتُلَ داود، وَكَانَ وَزْنُ رُمْحِهِ النحاسي ثَلاثُ مِئَةِ شَاقِلٍ (نَحْوَ ثَلاثَةِ كِيلو جِرَامَاتٍ وَنِصْفٍ)، وَقَدْ تَقَلَّدَ سَيْفاً جَدِيداً..

(2) وَيِشْبِي بَنُوبُ الَّذِي مِنْ أَوْلاَدِ رَافَا، وَوَزْنُ رُمْحِهِ ثَلاَثُ مِئَةِ شَاقِلِ نحاس وَقَدْ تَقَلَّدَ جَدِيداً، افْتَكَرَ أَنْ يَقْتُلَ داود.

وهما يطابقان بذلك النص العبري الذي يورد بصيغة הרפה . المترجم

الثّلاثةِ الّذي هَزَّ الرُّمحَ على ثماني مئةٍ فَقتلَهُم بِمَرّةٍ واحدةٍ» (2 صم 23 :8).

«وبَعدَهُ ألعازارُ بنُ دودو بنِ أخوخي، وهوَ أحدُ الأبطالِ الثّلاثةِ. كانَ معَ داود يومَ تحدَّيا الفِلسطيّينَ الّذينَ اجتَمعوا مرّةً للقتالِ وانهزَمَ رجالُ إسرائيل. أمّا هوَ فقامَ وقاتَلَ الفِلسطيّينَ حتّى كَلَّتْ يَدُهُ ولصِقَت بالسَّيفِ، فمنحَ الرّبُّ نَصرا عظيما لإسرائيل في ذلِكَ اليومِ». (2 صم 23: 9-10).

«وبَعدَهُ شَمَّةُ بنُ أجي الهَراريُّ، وكانَ أنْ حشدَ الفِلسطيُّون جيشَهُم للقتالِ في حَقلٍ مَملوءٍ بالعَدَسِ، فانهزَمَ رجالُ إسرائيل أمامَهُم. ولكِنَّ شمَّةَ بنَ أجي الهَراريَّ وقَفَ وسَطَ الحَقلِ فأنقَذَهُم، وقاتَلَ الفِلسطيّينَ، فمنحَ الرّبُّ نَصرًا عظيمًا لإسرائيل». (2 صم 23 :11-12).

«وفي أوانِ الحَصادِ نزَلَ ثَلاثَةٌ مِنَ الثّلاثينَ بَطلًا إلى داود في مغارَةِ عَدُلاَّمَ. وكانَ جيشُ الفِلسطيّينَ مُخيِّمًا في وادي الجبابِرةِ، وداود في الحِصنِ ومُعسكَرُ الفِلسطيّينَ في بيت لحم. فتنهَّدَ داود وقالَ: «مَنْ يَسقيني ماءً مِنْ بئرِ بيت لحم الّتي عِندَ بابِ المدينةِ». فاخترَقَ هؤلاءِ الأبطالُ الثّلاثَةُ مُعسكَرَ الفِلسطيّينَ وجاؤُوا بماءٍ منَ البئرِ إلى داود. فما شاءَ أنْ يشربَ مِنهُ، بل سكَبَهُ تقدمةً للرّبِّ وقالَ: «يا ربُّ حَرامٌ عليَّ أنْ أفعَلَ هذا، لِئلاَّ أكونَ كمَنْ يشربُ دمَ رجالٍ خاطَروا بأنفُسِهم»؟» (2 صم 23: 13-17).

«ثُمَّ أبيشايُ أخو يوآبَ وابنُ صرويَّةَ وهوَ قائِدُ الثّلاثينَ بَطلًا. وهذا سَدَّدَ رُمحَهُ على ثَلاثِ مئةٍ وقتَلَهُم، وكانَ لَه اسمٌ بينَ الثّلاثَةِ..» (2 صم 23: 18).

«ثُمَّ بنايا بنُ يوياداعَ المُقاتِلُ المِغوارُ، العظيمُ الفِعالِ في قَبصِئيلَ، وهوَ الّذي قتلَ جَبارَينِ مِنْ جبابِرةِ موآبَ، وقتَلَ أسدا في وسَطِ جُبٍّ في يومٍ مُثلِجٍ. وقاتَلَ رجُلا مصريًّا ضَخمَ الجُثَّةِ في يَدِهِ رُمحٌ، فنازَلَهُ بالعصا وخطَفَ الرُّمحَ مِنْ يَدِهِ وقتَلَه بِهِ» (2 صم 23: 20-21)

لم تُذكر أي من أعمال البطولة هذه في قلب قصة داود. ومن الجدير

بالذكر أنها تحدث في منطقة أعماله المسجلة نفسها؛ في تلال يهوذا والمناطق المجاورة لها مباشرة. ومع ذلك، ففي الشكل الذي تُقدّم به، يقومون بتجريد كل القصص من الدراما الخاصة بها ويطرحون عديد من الأسئلة دون جواب عليها. فلماذا اضطر (يوشيبُ بَشَّبَتُ) إلى محاربة ثمانمائة محارب بمفرده؟ وأين كانت المعركة التي التصقت فيها يد (ألعازارُ بنُ دودو بنِ أخوخي) بسيفه؟ ولماذا كان (شَمَّةُ بنُ أجي) في حقل العدس؟ وما هي ظروف (والمغزى) من ذبح (بنايا بنُ يوياداعَ) "جَبارَينِ مِنْ جبابِرةِ موآبَ" وقتل " أسدا في وسَطِ جُبٍّ في يومِ مُثلِجٍ"، ومصري برمحه الخاص؟

المحتوى في هذه الملخصات غير عادي (مثل بعض تفاصيلها، من مثل وصف المحارب باثني عشر إصبع قدم واثني عشر إصبع يد)، لكن يبدو أنها تهدف بشكل أكبر لتذكير القارئ بالحكايات المعروفة، التي كانت تفاصيلها مألوفة، بدلًا من تقديم سرد تاريخي موثوق. ويشير (إيسر) إلى أن هذه الآثار الادبية هي شظايا واضحة من تأليف مبكر من القصص الملحمية التي احتفلت بمآثر داود ورجاله. وكانت هذه الحكايات شائعة بين شعب يهوذا، لكنها لم تُدمج بالكامل في الرواية التوراتية. وبِعدِّها مجرد ملخصات، فإنها توفر لنا اعترافًا واضحًا بأن جامعي السرد التوراتي كانت لديهم وتحت تصرفهم مجموعة كبيرة من التراثيات لإدراجها في عملهم. فجرى اختيار بعض الحكايات، وأُختصر بعضها الآخر، ومع ذلك ربما رُفض بعضها الآخر نهائيًا. كانت مهمتهم مهمة جمع وتحرير متعب، لكنها بالتأكيد ليست تسجيلًا دقيقًا للتاريخ.

لم نناقش بعد ما هو بالتأكيد الحكاية الشعبية الأكثر شهرة في كل ما خص داود: حكاية انتصاره المعجز على العملاق الفلسطي جالوت الجتي، الذي كانت رمحه "غليظَةٌ كَنولِ النُّساجِ" (1 صم 17 :7). والذي لا يمكن للمرء حتى حين يفكر في الشاب داود اليوم ألا يتذكرها. إنه الفعل الذي ربما يجري استذكاره على نطاق واسع، ويفترض عديد من قراء العهد القديم أنه حدث تاريخي. ولكن من بين الملخصات

القصيرة التي ذكرناها للتو، تقرير مفاجئ:

"ثُمَّ نشبَت معرَكةٌ أُخرى في جُوبَ معَ الفِلسطيِّينَ، فقتلَ ألحانانُ بنُ يائيرَ الّذي مِنْ بيت لحم جِليات الجتيّ[1] ، وكانت قناةُ رُمحهِ سميكةً كنولِ النُّسّاجِ.." (2 صم 21: 19).

فمن الذي قتل جالوت؟

كما سنوضح في فصل لاحق، فإن قصة داود وجالوت مثلما هي لدينا الآن تُظهر التأثير الواضح لحقب لاحقة. ولكن هنا، في إحدى الحكايات الشعبية المختصرة، التي يفترض أنها طبقة مبكرة من الأسطورة، نسمع عن إنجاز (الحنان). فهل يمكن أن تمثل هذه نسخة مبكرة من واحدة من أشهر الحكايات التوراتية في العالم؟ وهل كان (الحنان) هو الاسم الحقيقي للبطل الذي أطاح بعملاق فلسطي، أم كما يقول بعض العلماء، أن (الحنان) كان الاسم الأصلي لملك يهوذا المستقبلي؟

حكايات ليالي الشتاء الباردة

كانت الحكايات القديمة للبطل قاطع الطريق ورجاله الأقوياء، التي تُحكى حول نيران المخيمات وفي الاحتفالات العامة، تهدف إلى إقناع أتباعه بمآثره غير العادية، وبالتالي غرس احترام قوة البطل. لقد كان رجلًا من الناس، متمردًا شجاعًا قاتل بشراسة ضد الأعداء والظلم. لقد كان رجل ذو رغبات قوية وتصميم قوي – بالقدر نفسه - على مقاومة الأسياد، ومقاومة الظلم الذي تعلم كثير من معاصريه قبوله. وفي كل قصة انتصاراته الساحقة وأعمال الشجاعة المذهلة حتى لأقرب رفاقه، اكتسب المستمعون رضًا غير مباشر وشعورًا معززًا بالأمان. ومثلما

(1) النص الذي أورده المؤلفان يذكر ان الحنان قتل جليات الجتي، كما أوردته نسخة فان دايك وكتاب الحياة، اما الترجمة العربية المشتركة فقد تخلصت من الاشكال بوضع لفظة (أخ) (ثُمَّ نشبَت معرَكةٌ أخرى في جُوبَ معَ الفِلسطيِّينَ، فقتلَ ألحانانُ بنُ يائيرَ الّذي مِنْ بَيتَ لحمَ أخا جِلياتِ الجتيّ)! فهي تسير على خطا نسخة الملك جيمس (slew the brother of Goliath the Gittite). المترجم

انتشرت الحكايات النابضة بالحيوية من فم إلى فم ومن قرية إلى قرية، أصبحت تفاصيلها أكثر إمتاعًا بشكل عجيب و (بلا شك) أقل دقة.

السيناريو التاريخي الأكثر منطقية الذي يمكن أن نقترحه - بناء على مقاطع سفر صموئيل الأول التي تتطابق مع الظروف الآثارية والأنثروبولوجية للقرن العاشر قبل الميلاد. هو أن زعيمًا يشبه العبيرو في تلال يهوذا يعرف باسم داود ظهر كرجل قوي محلي في وقت الفوضى السياسية. حتى أنه حصل في النهاية على دعم كاف من شعوب التلال الجنوبية تقريبًا إلى درجة أن شيوخ المنطقة المبجلين أعلنوه زعيمًا للقبائل في المركز القبلي القديم في حبرون. ولم يمض وقت طويل حتى أسس مقرًا لسلطته في أورشليم وحكم المزارعين والرعاة في المنطقة، مثلما فعل (عبدي خيبا) قبل عدة قرون. ونظرًا لأن منطقة التلال الجنوبية كانت بعيدة عن طرق التجارة الرئيسية ومراكز قوى الأراضي المنخفضة، فإن صعود داود التاريخي كان سيكون مسألة محلية، ربما كانت مصدر قلق في البداية فقط لتلك المدن الصغيرة التي واجهت الجناح الغربي ليهوذا. وفي هذا الصدد، فإن القصص المحلية للغاية عن أيام قطاع الطرق لداود في مغارة (عدلام)، ومجيئه لإنقاذ أهل (قعيلة)، وحمايته لـ(صقلغ)، وتعامله مع رعاة الأغنام المتعجرفين كان من شأنه أن يربط المستمعين بين قرى التلال الجنوبية وشفيلة الشرقية في مجتمع من التعاطف والدعم.

سيكون من الخطأ افتراض أن سكان منطقة التلال الجنوبي كان لديهم هوية وطنية واحدة محددة بشكل موحد في عصر داود، فقد كانت المنطقة مجزأة بين المزارعين والرعاة، وبين عديد من العشائر المتشابكة. وفي وقت لاحق فقط سوف ينظر شعب يهوذا إلى الوراء ويفترض أن تعريفهم كشعب واحد كان دائمًا واضحًا جدًا وكان ذلك يرجع إلى حد كبير إلى النقل والتفصيل المستمر للقصص القديمة عن مؤسس سلالتهم، التي تكمن قيمتها في الشعور بالتضامن المجتمعي المحلي الذي ساعدوا في إنشائه. في الفصول التالية سوف نتتبع طبقات

صناعة الأساطير التي اضيفت تدريجيًا إلى الطبقة الأولى من حكايات قطاعي الطرق الداودية وإعادة تفسيرها التاريخي. وليس كل شيء في حكايات قُطّاع الطرق قابل للتأرخة بوضوح، بل ستظل هناك عديد من الأسئلة. لكننا سنقدم أدلة آثارية يمكن أن تُظهر خطوة بخطوة، وعصر بعد عصر، كيف تشكلت أسطورة داود التوراتية، وفي وقت لاحق، تشكيل ابنه سليمان لتحالف أوسع من المجتمعات من أي وقت مضى - وفي النهاية تشكيل الحضارة الغربية ككل. لقد كان داود مؤسسًا لشيء جديد في تلال يهوذا في فجر عصر - ما نسميه الآن - بالعصر الحديدي. ربما كان هناك - ولعله كان بالفعل - أبطال محليين آخرين في تلال كنعان. لكن داود كان مختلفًا عن الآخرين. لم تكن سيرة حياته مجرد لحظة انتصار خاطفة محكوم عليها بالعيش فقط في الحكايات الشعبية لملك قطاع الطرق المحلي الشهير والتي سرعان ما تُنسى. وسواء كان ذلك عن طريق المكر، أو الذكاء، أو الظروف التاريخية غير العادية، فهو وحده، من بين جميع الأشرار المنسيين الآن والمتحررين الذين جابوا البلد الوعر بين البحر الميت وسفوح يهوذا، أسس سلالة حكمت لأربعمائة عام قادمة. وحتى بعد أن فقدت قوتها السياسية، جرى تذكُرها وتبجيلها لآلاف السنين. لكن السؤال الذي يجب أن نتناوله الآن هو؛ كيف تجاوزت جاذبية وتأثير هذا الزعيم الجنوبي، الذي نهض من حظائر الأغنام وكهوف قطّاع الطرق، دورها المحلي الأصلي. وكيف أصبحت ذكرى داود متشابكة مع أعمق الآمال والتراث الوطني للاتحاد الشاسع لقرى التلال الواقعة شمال يهوذا والتي سيتم تعريفها لاحقًا على أنها إسرائيل؟

مراحل	المواد التوراتية	الخلفية التاريخية	الاكتشافات الآثارية
القرن العاشر قبل الميلاد الفصل الثاني	ذكريات مبكرة لشاول كزعيم لكونفدرالية قبلية مبكرة من شمال إسرائيل؛ جرى تطويره من خلال التراث الشفوي إلى ملحمة مأساوية من قبل القرويين من شمال إسرائيل بعد وفاة شاول.	ظهور" إسرائيل"، أول إقليم من العصر الحديدي " كيان في الأراضي المرتفعة. بات يهدد مصالح مصر التي لنبعث مجددا، ويضعفها حملة الملك شيشق	زيادة كبيرة في عدد المستوطنات في التلال الشمالية. موجة لاحقة من المهاجرين حول جبعون.

الفصل الثاني

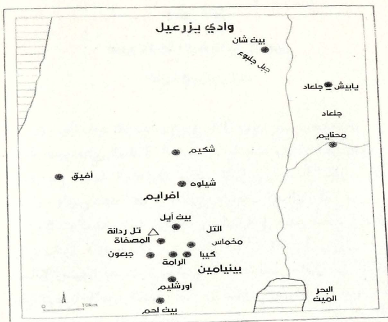
جنون شاول

مصر والفلسطة والسقوط المبكر لإسرائيل

القرن العاشر قبل الميلاد

إن سيرة داود كقاطع طريق في تلال يهوذا ليست سوى جزء من قصة صعوده إلى السلطة. فسيرته الذاتية تتشابك، في السرد التوراتي، بعمق مع القصة المأساوية للبطل الإسرائيلي الشمالي شاول. ولأن شاول - وليس داود - هو من مُسح كأول ملك لإسرائيل. فان شاول هو الذي كانت تُسلط عليه الأضواء في البداية في سفر صموئيل الأول. ويأتي دخول داود إلى المسرح فقط بعد أن يتضح أن شاول معيب إنسانيًا ومتهورًا بحيث لا يستطيع إنقاذ شعب إسرائيل من أعدائهم وقيادتهم بإخلاص. ففضّل الله ان تنتقل - ملوكية إسرائيل - من الشمالي شاول إلى داود الجنوبي.

كان شاول، على كل المستويات، أعظم أبناء جيله. كان مهيبًا وجذابًا وشجاعا؛ "ولم يَكُنْ في بَني إسرائيل رَجُلٌ أبهى مِنهُ" (1 صم 9 :2). ولد في سبط بنيامين، وظهر على مسرح تاريخ إسرائيل في وقت عصيب. ففي معركة ابن عازر، هزمت الجيوش الفلسطية الجبارة القوات الإسرائيلية واستولت على تركة الإسرائيليين المقدسة؛ تابوت العهد (1 صم 4). وفي أعقاب هذه الكارثة الوطنية، يسافر شيوخ إسرائيل إلى الرامة، منزل الزعيم الروحي لإسرائيل، النبي صموئيل المسن، للمطالبة بتنصيب ملك لهم، "ونكونُ نحنُ أيضًا كسائِرِ الشُّعوبِ، فيَقضي بَينَنا ويكونُ قائِدَنا ويُحارِبُ حُروبَنا" (1 صم 8: 20). وعلى الرغم من هواجسه، يتبع صموئيل التعليمات الإلهية ويصب طقسيًا قارورة من الزيت على رأس شاول، ويُعلن: أَلَيْسَ لأَنَّ الرَّبَّ قَدْ مَسَحَكَ عَلَى مِيرَاثِهِ



زعامة شاول وايشبوشت

رَئِيسًا؟ وَسَتَحْكُمُ شَعْبَهُ. وَسَتُخَلِّصُهُمْ مِنَ الأَعْدَاءِ المُحِيطِينَ بِهِ. (1 صم 10: 1)[1].

بذلك أعلن أن شاول هو أول ملك لـ "إسرائيل" وهو "المسيح" - بالمعنى الأصلي للكلمة العبرية والتي تعني (الممسوح).

ما الخطأ الذي حدث في هذا الاختيار الأصلي؟ كيف ولماذا أتى داود، الراعي المتواضع من بيت لحم، ليرث دور ملك إسرائيل؟ هذه هي الأسئلة المركزية التي يجيب عليها السرد التوراتي، وكما سنرى، فهي مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بصراع أساسي في تاريخ إسرائيل اللاحق - على التقوى النسبية وقوة الجنوب مقابل الشمال. ففي حين أن داود كان الرجل البارز في يهوذا ومنطقة التلال الجنوبي، فإن شاول هو تجسيد للغضب الصالح في التلال الإسرائيلية الشمالية. بمجرد مسحه، أصبح شاول أعظم المحاربين المقدسين، مما أوصل الإسرائيليين إلى انتصارات مذهلة على العمونيين والعماليق والفلسطة. ومع ذلك، وعلى الرغم من أن شاول وابنه يوناثان هزموا الغزاة الفلسطة واستمروا في محاربة أعداء إسرائيل "المُحيطينَ بِها"، مما أدى إلى عتق إسرائيل "مِنْ أيدي ناهبيهم" (1 صم 14: 47، 48)[2]، تفاقمت عثرات شاول وجنونه الديني، مما أدى في النهاية إلى استبعاده من دوره كمخلص حقيقي لإسرائيل. وعندما اكتسب داود شهرة في جميع أنحاء إسرائيل لهزيمته البطولية لجالوت وحين غنت نساء إسرائيل مدائحه "قَتَلَ شاول الألوفَ، وداود عشَراتِ الأُلوفِ" (1 صم 18: 7)، فان غضب شاول على داود أصبح قاتلا، فلم يعد لداود خيار سوى الفرار للنجاة بحياته.

---

(1) تختفي الفقرة الثانية من بعض التراجم العربية للكتاب المقدس كالترجمة العربية المشتركة ومن كتاب الحياة ، لكنها تظهر في نسخ أخرى مثل الترجمة العربية المبسطة

(2) "وحارَبَ شاول أعداءَهُ المُحيطينَ بِهِ بَعدَ أنْ تَولَّى المُلْكَ على إسرائيل، فحارَبَ المُوآبيِّينَ وبَني عَمُّونَ والأدوميِّينَ ومُلوكَ صوبَةَ والفِلسطيِّينَ مُنتَصرا حيثُما اتَّجَهَ. وقاتَلَ بِشَجاعةٍ وضرَبَ بَني عَماليقَ وأنقَذَ بَني إسرائيل مِنْ أيدي ناهبيهِم. وكانَ لِشاول بَنونَ هُم يوناثانُ وبِشويُ ومَلكيشوعُ، وابنَتانِ هُما: ميرَبُ الكُبرى، وميكالُ الصُغرى. وكانَ اسمُ زَوجَتِهِ أخينوعَمَ بِنتَ أخيمَعَصَ، واسمُ رئيسِ جُندِهِ أبنيرَ بنَ نيرَ عَمُّ شاول. وكانَ قَيسُ أبو شاول، ونيرُ أبو أبنيرَ كانا ابنَي أبيئيلَ."

لقد وصفنا بالفعل أيام داود في قطع الطرق في البرية، وشهرته المتزايدة في جميع أنحاء إسرائيل، وهروبه القريب من انتقام الملك الإسرائيلي غير المستقر بشكل متزايد. ومع ذلك، فإن النهاية المفاجئة لعهد شاول المأساوي لا تأتي من مواجهة عنيفة مع داود، ولكن من مواجهة مع قوة فلسطية هائلة في أقصى الشمال. فمع تزايد جنونه بشكل مطرد وانتصار الفلسطة عليه، ينتحر من اليأس في واقعة مأساوية وسط ساحة المعركة (1 صم 31 :4).

وبالتالي، فإن سقوط شاول المأساوي وصعود داود لا ينفكان في رواية العهد القديم. ولكن هل هناك أي طريقة لفصل التاريخ عن الأسطورة؟ وما الذي يمكن لعلم الآثار أن يخبرنا عن بدايات الملكية في إسرائيل القديمة؟

من، ومتى، وأين؟

تثير القصة التوراتية للملك شاول بعض الأسئلة الصعبة. فهل كان شاول شخصية تاريخية؟ ولو كان كذلك، أفيمكن لعلم الآثار أن يساعدنا في تحديد مكان وزمان حكمه بالضبط؟ وما يزال الأمر الأكثر تعقيدًا هو فهم تصوير العهد القديم المتناقض لشاول كبطل، خاطئ، ومأساوي، وشخصية معذبة اختارها الله كمخلص لإسرائيل ثم ادانه بشكل لا يغتفر. وبالنظر إلى أن كلًا من شاول وداود كانا في بعض الأحيان يرتكبان الخطايا، فلماذا أُقصي شاول الخاطئ وأبطلت ملوكيته تمامًا بينما أعطي داود وعدًا إلهيًا غير مشروط بالحكم الأبدي؟

أولًا: عن وجوده التاريخي. لم يُذكر شاول في أي مصدر خارج التوراة، أي في أي من النقوش القديمة أو السجلات التاريخية في البلدان المجاورة. وهذا الغياب للأدلة المعاصرة ليس مفاجئا، ولا ينبغي أن يقودنا إلى استنتاج أن قصة حياة شاول خيالية تمامًا. فكما ذكرنا سابقا، كانت الكتابة نادرة للغاية في مملكتي يهوذا وإسرائيل وجيرانهما حتى العصر

الحديدي المتأخر، ومن غير المرجح أن يتم تسجيل مآثر حاكم التلال المحلي المبكر في النقوش العامة أو في سجلات مصر أو بلاد ما بين النهرين، والتي كانت محدودة ومفككة خلال القرون الحاسمة بين نهاية العصر البرونزي المتأخر والقرن التاسع قبل الميلاد. وبالتالي، فإن غياب التأكيد المعاصر خارج التوراة ليس سببًا لإنكار وجود زعيم إسرائيلي مبكر يدعى شاول. وفي الواقع، كما سنرى قريبا، فهناك مؤشرات آثارية وتاريخية مثيرة للاهتمام تتوازى مع النقاط الرئيسية في سيرة شاول التوراتية.

أما السؤال عن متى حكم شاول، فكما مر بنا، فانه سؤال تصعب الإجابة عليه. إنها معلقة على فقرة توراتية واحدة مشوهة تصف عمر شاول في وقت مسّحه وطول مدة حكمه: "وكانَ شاوُلُ آبنَ... حينَ صارَ مَلِكًا، ومَلَكَ... سَنَتَين على إسْرائيل" (1 صم 13 : 1).[1] فتوصل معظم علماء التوراة إلى استنتاج معقول مفاده أن النص قد جرى التلاعب به، ويجب أن يكون قد حكم بالتأكيد لأكثر من مجرد بضع سنوات؛ بالنظر إلى التسلسل الطويل للأحداث المنسوبة إلى عهد شاول، ولا سيما مآثره العسكرية في جميع أنحاء الأردن، ضد الفلسطة، وضد العماليق - ومع الأخذ بالاعتبار الرقم الثاني، الذي يظهر في النص - تكهن العلماء بأن الرقم الأصلي ربما كان اثنان وعشرون سنة. وبالحساب القهقرائي لتسلسل الملوك اللاحقين، الذين لدينا بعض التأكيد الزمني الخارجي لعصورهم - وقبول الشهادة التوراتية لحكم دام أربعين عامًا لكل من سليمان (1 مل 11 :42) وداود (2 صم 5: 4) - وضع معظم المؤرخين

---

(1) بعض الترجمات العربية كتبت النص كالآتي:
"كانَ شاول ابْنَ سَنَةٍ فِي مُلْكِهِ، وَمَلَكَ سَنَتَيْنِ عَلَى إسرائيل." المشتركة
"كانَ شَاوُلُ ابْنَ (ثَلاثِينَ) سَنَةٍ حِينَ مَلَكَ، وَفِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنْ مُلْكِهِ .." الحياة
"كانَ شَاوُلُ ابْنَ 30 سَنَةً لَمَّا مَلَكَ، وَمَلَكَ 40 سَنَةً عَلى إسْرَائِيلَ." الانجيل الشريف
"وكانَ شاوُلُ آبنَ... حينَ صارَ مَلِكًا، ومَلَكَ... سَنَةً على إسْرائيل" الكاثوليكية
وبالإنجليزية: Saul reigned one year; and when he had reigned two years over Israel. المترجم

التوراتيين عهد شاول تقليديًا في أواخر القرن الحادي عشر، حوالي 1010-1030 ق.م.

لكننا لاحظنا بالفعل أن هذه التواريخ ليست دقيقة كما تبدو. لقد اعتادت أجيال من المؤرخين وعلماء التوراة على قبولها حرفياً؛ لكنها في أحسن الأحوال ينبغي أن تؤخذ على أنها مجرد تقدير تقريبي للغاية. ان تاريخ شاول، داود، وسليمان مبني على التسلسل الزمني للكتاب المقدس، ويبدو ان عدد السنوات المعطاة لعصري داود وسليمان – هي مدة "جيل" من أربعين سنة لكل منهما - مستديرة بشكل مثير للريبة. والمعلومات التاريخية المشوهة المقدمة عن شاول تزيد من تعقيد المشكلة. فإذا كانت عهود داود وسليمان أقصر (أقرب إلى حكم معظم ملوك إسرائيل ويهوذا اللاحقين) وكان حكم شاول أقل من عشرين أو الاثنين وعشرين عامًا المفترضة، فإن مدة القرن التي نتجت من حساب أربعين زائدًا أربعين زائدًا عشرين يمكن تقليصها بشكل كبير. ومن الممكن أيضًا أن تتداخل عهود شاول وداود. فإذا اتبعنا هذا الخط من التفكير، لكان شاول وداود وسليمان قد عاشوا جميعا في وقت ما في القرن العاشر قبل الميلاد. ولا يمكننا الثقة بأكثر من ذلك. وقد لا يبدو هذا التغيير الزمني مهمًا جدا، ولكن كما سنرى لاحقًا في هذا الفصل، فان القبول الحرفي للتواريخ التوراتية أدى إلى قيام أجيال من علماء الآثار والمؤرخين بتفسير الأدلة حول التاريخ المبكر ليهوذا وإسرائيل على ضوء ذلك.

كم كان حجم مملكة شاول؟ على الرغم من الادعاء التوراتي بأن شاول كان ملكًا على كل إسرائيل، إلا أن النص ليس دقيقًا تمامًا فيما يتعلق بمساحة المنطقة التي حكمها. وبالطبع يجب أن نكون حذرين للغاية عندما نستخدم مصطلحات "الملك" و "المملكة". لأنه مثلما رسم رامبرانت شاول على أنه مستبد شرقي ورسم فنانو العصور الوسطى داود وسليمان على أنهما حاكمان أوروبيان معاصران، فإن مؤلفي التوراة، الذين عاشوا قرونًا بعد زمن شاول وداود وسليمان، وصفوهم بعبارات

ملكية مناسبة لعصورهم. ومع ذلك، فاذا اجلنا في الوقت الحالي الحديث عن مسألة طبيعة ملكية شاول، فإن النص التوراتي يحدد بوضوح التراث المتعلق به.

لقد قيل لنا أن شاول كان بنياميني بالولادة، وان كثيراً من النشاط الموصوف لحكمه يحدث في أراضيه القبلية والمنطقة الواقعة إلى الشمال مباشرة. والأماكن الأكثر بروزًا في قصص شاول - الرامة، والمصفاة، وجبع، ومخماس، وجبعون- كلها تقع في تلال بنيامين مباشرة إلى الشمال من أورشليم. ان بحث شاول المصيري عن اتان والده المفقودة (1 صم 9) يأخذه إلى أقصى الشمال قليلًا - من بنيامين، إلى أرض (شليشة)، وإلى أرض (شعليم)، وإلى أرض (زوف) في منطقة تلال أفرايم. إنها منطقة معزولة من قرى التلال، تمتد شمالًا من يهوذا إلى التلال الأكثر ثراء وخصوبة غرب الأردن.

وبعد مسّحه من النبي صموئيل، يتمدد نشاط شاول إلى منطقة التلال شرق الأردن، مع إنقاذه لسكان (يابيش جلعاد). والتي يبدو أن هذه المنطقة أصبحت جزءًا لا يتجزأ من الأراضي المرتبطة بشاول وعائلته. وبعد وفاة شاول وأبنائه على يد الفلسطة، جاء شعب يابيش لإنقاذ جثثهم ودفنهم "تَحتَ شجرَةِ الأَثْلَةِ الّتي في يابيشَ" (1 صم 31 :11-13). والأهم من ذلك هو حقيقة أن وريث شاول، إيشبوشث، أحضر إلى بلدة (محنايم) في المنطقة نفسها وأعلن "مَلِكًا على بَني جلعادَ وأشيرَ ويزرعيل وأفرايمَ وبنيامينَ، وعلى جميعِ بَني إسرائيل. " (2 صم 2:9). تشير كلمة (جلعاد) إلى الجزء الشمالي من هضبة شرق الأردن، حيث توجد مدن محنايم ويابيش جلعاد. وتشير جميع المصطلحات الأخرى إلى منطقة التلال الوسطى غرب الأردن، وصولًا إلى وادي يزرعيل في الشمال. وهذا الخليط من الشعوب والمناطق على جانبي نهر الأردن لا يتوافق مع أي وحدة إقليمية لاحقة في تاريخ إسرائيل. وفي الواقع، لا ينطبق الوصف التوراتي لإرث شاول الإقليمي على المصطلحات الجغرافية المستخدمة لهذه المناطق في العصور الملكية المتأخرة.

فكيف يمكننا تلخيص الأدلة التوراتية؟ على الرغم من أن النص يعلن أن شاول كان ملك "كل إسرائيل"، إلا أن أنشطته اقتصرت على التلال الشمالية إلى الغرب من الأردن، مع امتدادها عبر الأردن إلى جلعاد إلى الشرق. أن من المهم أن نلاحظ أن السرد التوراتي لا يسجل أي إجراءات مستقلة اتخذها شاول في أي مكان في تلال يهوذا. وجميع الأوصاف التفصيلية للمجموعات في جنوب وجنوب غرب أورشليم واردة حصريًا في القصص المرتبطة بمطاردة شاول لداود أو في مآثر داود وحده. فشاول، إذن، على ما يبدو لم يحكم "كل إسرائيل". ويبدو أن الذكريات المضمنة في التوراة تشير إلى أنه كان زعيم التلال الشمالية في القرن العاشر قبل الميلاد الذي أدعى مساحة كبيرة على جانبي الأردن، مع نواة خاصة في منطقة تلال بنيامين، شمال أورشليم. وبالتالي، فأي نوع من "الممالك" كانت إسرائيل؟

صعود التلال الشمالية

إذا كانت يهوذا في القرن العاشر قبل الميلاد مجرد مشيخة نائية ومعزولة، فأن التلال في الشمال كانت مختلفة تمامًا. ومن التنقيبات الآثارية واسعة النطاق التي أجريت في منطقة التلال إلى الشمال من أورشليم ومن التنقيبات في بعض مواقع العصر الحديدي المهمة في تلك المنطقة نحصل على صورة رائعة للغاية. فنحن نعلم الآن أنه في المرحلة اللاحقة من العصر الحديدي الأول - أواخر القرن الحادي عشر والعاشر قبل الميلاد - كانت المنطقة التي تُحدد فيها التوراة أراضي شاول مأهولة نسبيًا، نتيجة لنزوح مجموعة غفيرة لها، ويتجلى التوسع الديموغرافي الدراماتيكي في توزيع مواقع الاستيطان وانتشارها، وفي حجمها المتزايد؛ فمن حوالي خمسة وعشرين موقعًا مسجلًا فقط كانت في المنطقة الواقعة بين أورشليم ووادي يزرعيل في العصر البرونزي المتأخر السالف، ارتفع العدد إلى أكثر من 230 موقعًا في أواخر العصر الحديدي الأول، بلغ عدد سكانها المُقدر فيها ما يزيد قليلًا عن أربعين

ألفا، مقارنة بأقل من خمسة آلاف في منطقة يهوذا بأكملها.

ومن الواضح أن البيئة لعبت دورًا رئيسيًا في التفاوت الاقتصادي في هذه المنطقة عن منطقة يهوذا الوعرة وشبه القاحلة، فأجزاء واسعة من التلال شمال أورشليم مناسبة تمامًا للزراعة المكثفة. وقدمت هضبة بنيامين، والوديان الخصبة الصغيرة إلى الجنوب من شكيم، من بين تلك المدن، مع ووادي يزرعيل في الشمال، فضلًا عن الجناح الشرقي الأقل جفافًا في الأراضي المرتفعة، قدمت لسكانها المساحات الواسعة الأكبر لزراعة الحبوب، بل حتى الأجزاء الأكثر وعورة من الجانب الغربي من مناطق التلال الشمالية كانت مُدرَّجة على نطاق واسع لغرس كروم العنب وزراعة بساتين الزيتون. وفي الواقع، كشفت التنقيبات في بعض التلال الأكثر أهمية في هذه المنطقة عن أدلة على ابنية عمومية وأدلة على نشاط إداري مهم: منشأة تخزين متقنة في شيلوه (ورد ذكرها في التوراة كمزار مركزي في الأيام الأخيرة من عصر القضاة) واستمرارية محتسلة للنشاط في معبد شكيم الضخم القديم.

لقد حدث توسع استيطاني كبير مماثل في عبر الأردن، في الجزء الشمالي من هضبة شرق الأردن. وهناك، أيضا توسع عدد المواقع التي جرى مسحها بشكل كبير، من حوالي ثلاثين في أواخر العصر البرونزي إلى حوالي 220 في أوائل العصر الحديدي. ففي جلعاد، بهضبتها الخصبة، حيث كانت الإمكانات الزراعية عالية، حددت التنقيبات أكبر مجموعة فردية من المجموعات في هذه الحقبة، مما يشير إلى وجود عدد كبير من السكان المستقرين هناك.

ومن ثم، ففي حين كان عدد مستوطنات القرن العاشر في تلال يهوذا محدودًا للغاية - ربما لا تزيد اعدادها على عشرين - وكانت القرى صغيرة نسبيًا (معظمها لا يتجاوز مساحتها فدانًا ويسكنها ما لا يزيد عن مائة شخص)، وأحتلت التلال الشمالية من قِبل عديد من المستوطنات الأخرى التي كان كثير منها أكبر من تلك التي في يهوذا، ما مثّل ظاهرة

ديموغرافية أكثر أهمية وقوة.

في الفصل السابق استخلصنا بعض المعلومات المهمة من رسائل تل العمارنة حول مجتمع واقتصاد التلال في أواخر العصر البرونزي. وإن التقسيم بين الجنوب والشمال ضمني في تقاريرهم عن الوضع المعاصر، حيث أنه في ذلك الوقت، قام مركزان رئيسيان - أورشليم وشكيم - بتقسيم التلال بينهما، حيث حكم كل منهما مناطق واسعة تبلغ مساحتها حوالي ستمائة ميل مربع. ومع ذلك، بينما كانت منطقة (عبدي خيبا) الجنوبية تعاني من الصراع على حدودها الغربية ونقص القوى العاملة اللازمة للتوسع الإقليمي، كانت المنطقة الشمالية (التي يحكمها أمير محلي من شكيم يدعى لابايو Labayu في حالة غزو وشاركت في محاولات متكررة لتوسيع أراضيها. وفي الواقع، يبدو أن لابايو كان عازمًا على التوسع من عاصمته المرتفعة إلى الأراضي المنخفضة من أجل إنشاء كيان سياسي أكبر. لقد كانت تحركات لابايو العدوانية واسعة النطاق، فقد هدد جازر وأورشليم في الجنوب وحاول مدّ سلطانه إلى وادي يزرعيل والاستحواذ على أراضي دويلات المدن في تلك المنطقة، بما في ذلك مجدو. ومع ذلك، هُزم في النهاية من قبل تابعين كنعانيين آخرين أسروه وقتلوه بناء على أوامر من السلطات المصرية. ومع ذلك، فإن قدرته على محاولة التوسع الإقليمي خارج الأراضي المرتفعة تقدم شهادة مثيرة للاهتمام على الإمكانات العسكرية والاقتصادية لنظام حكم التلال الشمالية.

وتشير الأدلة الآثارية إلى أن مركز القوة في التلال الشمالية تحول جنوبًا خلال القرون التي أعقبت حقبة العمارنة. كان مركز لابايو مدينة شكيم، ولكن بحلول القرن العاشر قبل الميلاد، كانت نسبة كبيرة من سكان التلال تعيش في الهضبة الواقعة شمال أورشليم. وهذه المنطقة الصغيرة نسبيًا التي تزيد مساحتها قليلًا عن ستين ميلًا مربعًا - والتي، كما رأينا، تُذكر في التراث التوراتي باعتبارها قلب مملكة شاول - كانت مليئة بما يقرب من خمسين مستوطنة، بما في ذلك بعض المواقع المتقنة،

مثل خربة سيلون (التي عُدّت على أنها مركز الثقافي الإسرائيلي شيلوه)، والجِب (التي عُدّت على أنها جبعون التوراتية)، وتل النصبة (موقع المصفاة التوراتي). وعلى الرغم من أن هذه الظاهرة الاستيطانية يجب أن ينظر إليها على أنها جزء من موجة الاستيطان الأوسع التي اجتاحت التلال غرب وشرق الأردن، فهناك شيء فريد في مجموعة معينة من المواقع في هضبة بنيامين، حول جبعون.

هجر غامض

مع أن الغالبية العظمى من المواقع الحديدية الأولى في الأراضي المرتفعة -أكثر من 90 في المائة من حوالي 250 التي وثقت في جميع أنحاء منطقة التلال الوسطى بأكملها - استمرت مأهولة بالسكان دون انقطاع حتى أواخر العصر الحديدي الثاني (القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد)، فقد مرت منطقة استيطان شمال أورشليم بأزمة أدت إلى التخلي عن عدد كبير من المساكن. والتأرخة الحديثة بالكربون المشع وإعادة تحليل مجموعات الفخار المستخرج تشير إلى أن (شيلوه) دُمرت حرقًا في أواخر القرن الحادي عشر قبل الميلاد ثم هُجرت. وهُجرت (التل) (عاي التوراتية)، و(خربة الردانة) بالقرب من رام الله، و(خربة الدوارة) إلى الشمال الشرقي من أورشليم في أواخر القرن العاشر قبل الميلاد ولم يُعاد استيطانها. وربما هُجرت جبعون، لكن أُعيد سكناها بعد فترة طويلة من شُغرانها.

يشير هذا إلى وجود علاقة مثيرة للاهتمام: فالمنطقة ذات النظام الكثيف من مواقع العصر الحديدي الأولى، والتي دُمر بعضها أو جرى التخلي عنها في أوائل العصر الحديدي، تتوافق مع صميم "مملكة" شاول إلى الشمال من أورشليم. فيبدو أن شيئًا مهمًا بالفعل قد تطور هناك، ربما ظهور نظام حكم جديد في التلال، يختلف تمامًا عن مشيخة قُطّاع الطرق المعزولة في يهوذا. ولكن على عكس موجة الاستيطان في

بقية التلال، فقد انتهت حقبة نموها الديموغرافي الكبير في القرون من الثاني عشر إلى العاشر قبل الميلاد.

أن قراءة التخلي عن هذه المواقع في قلب المستوطنة، ووضعه في أواخر القرن العاشر - وهو وقت السلام والازدهار المفترضين في ظل حكم الملك سليمان- يحتاج إلى مراجعة التسلسل الزمني التوراتي. وإلا فكيف تتناسب هذه القراءة مع الصورة الأكبر لما كان يحدث في المنطقة في هذه الحقبة؟ ما الذي أدى إلى هجران المواقع في قلب مستوطنة التلال في هضبة بنيامين؟ هل يمكن لإجابة محتملة عن هذا السؤال أن تلقي ضوءًا جديدًا على الأحداث والتطورات التاريخية التي تكمن وراء التراث التوراتي حول صعود وسقوط شاول؟ أن المثير للدهشة أن الإجابات على هذه الأسئلة قد أتت من مصدر غير متوقع تمامًا.

عودة الفرعون.

إذا ذُكر اسم (شيشق) في قراءة فاحصة للعهد القديم، فإن مقطعًا مشهورًا في سفر الملوك الأول سيتبادر إلى الذهن على الفور. وهذا النص لا علاقة له بشاول أو داود، لكنه يأتي من عصر حفيد داود رحبعام، الذي - وفقًا للتسلسل الزمني التقليدي لملوك يهوذا وإسرائيل - قد حكم في نهاية القرن العاشر قبل الميلاد. ووفقًا للكتاب المقدس، فقد كان عهد رحبعام واحدًا من عصور عبادة الأصنام المتفشية، عندما بنى رعاياه في يهوذا "لأَنْفُسِهِم مذابِحَ وأنصابًا ورُموزًا لأشيرةٍ على كُلِّ تَلَّةٍ عاليةٍ وتَحتَ كُلِّ شجَرةٍ خضراءَ. كذلِكَ في أرضِهِم كانَ رِجالٌ ونِساءٌ يُمارِسونَ البَغاءَ المُكَرَّسَ" (1 مل 14 :23). ولم يمض وقتًا طويلًا قبل أن تأتيهم البلية.

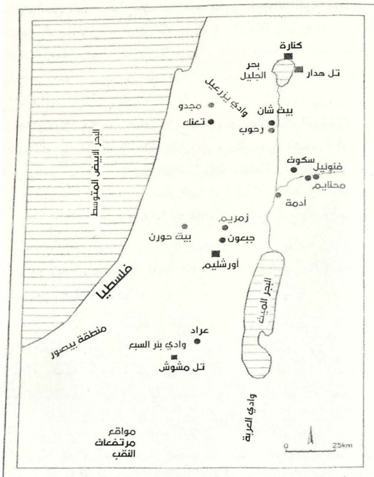
"وفي السَّنةِ الخامِسةِ لِلمَلِكِ رحبعام صَعِدَ شيشَقُ مَلِكُ مصر لِمُحاربَةِ أورشليم، فنَهَبَ كُلَّ ما في خزائِنِ هَيكلِ الرّبِّ وقصرِ المَلِكِ، وأخذَ تُروسَ الذَّهبِ الّتي صنَعَها سليمان." (1 مل 14: 25 -26).

إن وضع تسلسل زمني موثوق لهذه المرحلة المبكرة من تاريخ إسرائيل أمر صعب للغاية، كما رأينا. فمع عدم وجود نقوش قابلة للتأرخة (من المفترض أن يكون ذلك بسبب تراجع مصر والقوى الرئيسية الأخرى المتعلمة في هذا العصر)، فإن إمكانية تأكيد الأحداث التوراتية أو تأرختها بدقة تكاد تكون معدومة. لكن المقطع التوراتي الذي يشير إلى شيشق يحمل مفتاح مرساة زمنية فريدة - أو على الأقل أنه قُبل على هذا النحو لعقود عديدة. ففي وقت مبكر من الاستكشاف الحديث لمصر، توصل العلماء إلى جدارية ثلاثية ضخمة نُقشت بتكليف من شيشنق الأول، من ملوك الأسرة الثانية والعشرين، الذي حكم في القرن العاشر قبل الميلاد، واحيا البلاد بعد قرنين من التدهور، حيث فقدت مصر دورها الريادي كقوة عالمية عظيمة، فعندما شرع شيشنق الأول بحملة عسكرية إلى الشمال - في أرض كنعان - دوّن اخبارها على السور الخارجي لقاعة الأعمدة في معبد أميني العظيم في الكرنك. واهمية ذلك، أن ثمة إجماع بين علماء المصريات وعلماء التوراة منذ مدة طويلة أن شيشنق الأول المصري وشيشق التوراتي هما الشخصية التاريخية نفسها.

في جدارية الكرنك، تظهر صورة عملاقة لشيشنق وهو يضرب أعدائه ويقود مجموعة كبيرة من أسرى الحرب. وتحدد كل شخصية باسم المكان الذي ادعى الفرعون أنه غزاه. وتقدم قائمة أسماء الأماكن هذه دليلًا واضحًا على المسار المحتمل لغزو شيشنق، وعلى الرغم من عدم وجود ترتيب جغرافي واضح لها. والأماكن المذكورة تنظم في ثلاث مجموعات في مناطق منفصلة على نطاق واسع. تضم المجموعة الأولى قرى أو بلدات في السهل الساحلي، وفي منطقة التلال الوسطى شمال أورشليم، وفي قطاع عبر الأردن على طول نهر يبوق، وفي وادي يزرعيل. أما المجموعة الثانية فتشمل أماكن في الجنوب، بما في ذلك وادي بير سبع، وربما تلال النقب. والثالث، على الجزء المتضرر من الجدارية، يبدو أنها شملت أماكن على طول الساحل الجنوبي. وكما سنرى، فمن

المهم للغاية أن أورشليم وتلال يهوذا - في الواقع أرض يهوذا بأكملها - التي كانت الهدف الرئيسي لفرعون في القصة التوراتية، غائبة بشكل واضح عن قائمة الكرنك.

فيما يضع النص التوراتي حملة شيشق في السنة الخامسة من مُلك رحبعام، سنة 926 ق.م وفقًا للتسلسل الزمني المقبول على نطاق واسع لحكام يهوذا. ومع ذلك، فإن هذا التاريخ بعيد كل البعد عن الموثوقية، بسبب حالة أخرى من التفكير الدائري. فبسبب من الطبيعة المفككة للغاية للسجلات المصرية في هذه الحقبة، فمن الصعب منح الفراعنة من السلالات الحادية والعشرين والثانية والعشرين تواريخ دقيقة. فلطالما جرت تأرخة عهد شيشنق الأول من خلال مطابقته مع شيشق، وفقًا للتسلسل الزمني التوراتي التقليدي لعصور ملوك يهوذا. ولجعل الأمور أكثر مشكوكية فيها، فان العلماء الذين يسعون لتأكيد الدقة التاريخية للكتاب المقدس فعلوا ذلك من خلال إثبات الأدلة من جدارية شيشنق. ولا يثبت أحدهما الآخر. فلا يقدم أي منهما أي دليل تزامن مستقل. لذلك على الرغم من أنه من الآمن أن نقول إن شيشنق وشيشق هما، في الحقيقة، الشخص نفسه، وأنهما حكما في القرن العاشر قبل الميلاد، إلا أننا لا نملك قدرًا كبيرًا من اليقين بشأن متى حدثت حملته الشمالية الشهيرة.



● المواقع المذكورة في قائمة شيشنق

■ مواقع أخرى

حملة شيشق (شيشنق الأول)

علاوة على ذلك، من غير الواضح ما إذا كان قد نفذ حملته في سنواته الأولى على العرش أم في أيامه الأخيرة. حتى أن هناك نقاشًا جادًا بين علماء المصريات حول ما إذا كان شيشنق الأول قد نفذ حملة شمالية واحدة أو أكثر. فإذا أخذنا في الاعتبار كل هذه العوامل، كان من الممكن أن تتم حملة شيشنق في أي وقت تقريبًا في منتصف إلى أواخر القرن العاشر قبل الميلاد، وليس بالضرورة في عهد رحبعام.[1]

ما هو الغرض من هذه الحملة؟ وصف عديد من علماء التوراة تقليديًا الغزو المصري بأنه غارة - أكثر بقليل من غزوة مدمرة، مصممة لإحداث أقصى قدر من الضرر ولكن لا تترك أي وجود دائم[2]، لكن إعادة فحص الادلة تشير إلى أنه يجب أن ينظر إليها على أنها إحياء لطموح دام قرونًا من قبل فراعنة مصر لاستعادة ممتلكاتها الكنعانية السابقة والسيطرة عليها.

استراتيجية شيشنق الخفية

لعدة قرون وضع الفراعنة الكبار من المملكة المصرية الحديثة (أواخر العصر البرونزي في القرن الخامس عشر إلى القرن الثاني عشر قبل الميلاد) أهمية كبيرة لإمبراطوريتهم في كنعان لطرقها العسكرية والتجارية الاستراتيجية وثروتها الزراعية. وفي أوقات الهيمنة المصرية، كانت دويلات مدن كنعان تدار من قبل الفراعنة، إما بشكل مباشر، من

(1) السبب وراء ارتباط غزوة شيشنق في تاريخ التثنية بعهد رحبعام قد تكون أكثر لاهوتية من كونها تاريخية. إنه مثال حي على مبدأ التثنية للخطيئة والعقاب الإلهي، حيث سمح رحبعام بعبادة الأصنام وعوقب بهجوم أجنبي على أرضه. كان بإمكان مؤلف التوراة الذي عاش في أواخر القرن السابع قبل الميلاد أن يعرف عن هذا الحدث البعيد من عدة مصادر محتملة، مثل شاهدة هيروغليفية منقوشة لا تزال قائمة في مكان ما شمال أورشليم (مثل تلك الموجودة في مجدو)؛ من التراث الشفوي المحلي؛ أو من يهوذا المهاجرين الذين عاشوا في أواخر القرن السابع في الدلتا، طانيس، عاصمة شيشنق الأول، حيث لا تزال آثاره وإنجازاته التاريخية في الذاكرة.

(2) يشير المؤلفان إلى ما قاله (Na"aman 1992: 84-85) "ومع ذلك ، لا بد من القول إنه لا يوجد دليل على أن شيشنق حاول فرض سيطرة دائمة على المنطقة ، ناهيك عن ملائمة الوساطة في التجارة العربية. بدلا من ذلك، كان العمل العسكري غارة واسعة النطاق أكثر من كونه غزوا". المترجم

خلال بناء الحاميات المصرية والمراكز الحكومية، أو بشكل غير مباشر، من قبل الأمراء التابعين لها. ومع ذلك، فقد انهارت الهيمنة المصرية على كنعان في زمن الاضطرابات الكبيرة في نهاية أواخر العصر البرونزي، حوالي منتصف القرن الثاني عشر قبل الميلاد. وأدى تدمير الثقافة (القصرية)[1] القديمة للمدن الكنعانية ووصول شعوب البحر واستيطانها- مع وجود الفلسطة البارزين بينهم - إلى خلق مشهد سياسي جديد تمامًا. في الحقبة التي تلت ذلك، عندما شهدت التلال الشمالية توسعًا ديموغرافيًا دراماتيكيًا، يبدو أن بعض المدن الكنعانية القديمة في الوديان الخصبة والمهمة استراتيجيًا قد شهدت إحياء الحياة الحضرية.

في وادي يزرعيل، سمقت مدينة مجدو التي كانت ذات يوم عظيمة ببطء من أنقاض العصر البرونزي المتأخر المدمر. وظهرت علامات النهضة الكنعانية الجديدة في مدينة تعنك القريبة أيضًا، وفي رحوف في وادي بيت شان، وكذلك في تلّي كنروت وهدار بجانب بحيرة طبرية. وعلى أساس الأواني الفخارية المنتجة في هذه المراكز، وكذلك اللُقى المعدنية والحجرية، والبقايا الثقافية، والهندسة المعمارية، فمن الواضح أن التراث الكنعاني القديم قد استمر. والاكثر اهمية، ان نتائج فحوصات كربون 14 الحديثة من مجدو ومواقع أخرى من البعث الكنعاني المستقل المفترض تضع هذه الحقبة بشكل مباشر في القرن العاشر قبل الميلاد. وقد انتهى هذا النظام الكنعاني الجديد في الوديان الشمالية إلى نهاية عنيفة، حيث وُثق الدمار حرقًا في كل موقع نُقب فيه.

في أقصى الجنوب، في المناطق الصحراوية في وادي بئر السبع وتلال النقب، كانت هناك ظاهرة مختلفة تمامًا، قد تحدت السيطرة المصرية بطريقة أخرى. فقد نشأت شبكة واسعة من المستوطنات الصحراوية،

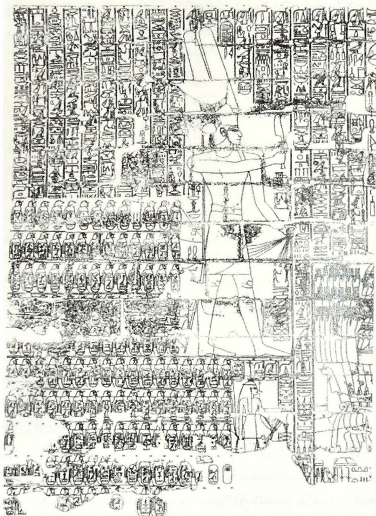
---

(1) المجتمعات القائمة على تمركز حول قصر ملكي. المترجم

كان أكثرها تأثيرًا تل مشوش، الذي يقع في قلب وادي بير سبع على طريق القوافل القديم بين الشرق والغرب، بالقرب من مجموعة من آبار المياه العذبة. فقد كشفت التنقيبات هناك أدلة على الاتصالات الثقافية مع الساحل الفلسطيني والفينيقي في الغرب والشمال الغربي ومع مراكز إنتاج النحاس في عربة وجنوب شرق الأردن في الجنوب الشرقي. ونشأت مستوطنة صغيرة أيضًا لأول مرة في عراد، وهو مكان مذكور على وجه التحديد في قائمة شيشنق الأول الطبوغرافية.

ومن الناحية الآثارية، يبدو أن تل مشوش والمواقع الأخرى في هذه المنطقة تمثل ظهور مشيخة صحراوية، أنشئت عندما أدت الظروف الاقتصادية المواتية المرتبطة بالتجارة إلى توطين البدو الرعويين في هذه المنطقة. وتتوسط تل مشوش الطرق التجارية التي تربط بين عربة والبحر الميت والبحر الأبيض المتوسط، ويبدو أنها كانت بمثابة محطة طريق للنقل البري للنحاس من وادي عربة - وربما أيضًا البضائع من شبه الجزيرة العربية - إلى المراكز التجارية على ساحل البحر الأبيض المتوسط. لذلك من السهل إلى حد ما رؤية الدوافع المحتملة لهدفين رئيسيين لحملة شيشنق الأول. وعلى الرغم من أن عديد من علماء التوراة وصفوها تقليديًا بأنها غارة لمرة واحدة (خاصة لأن التسلسل الزمني التقليدي وضعها بعد إنشاء المملكة الشاسعة والقوية الموصوفة توراتيًا من قبل داود وسليمان)، فإن إعادة تحليل الأدلة الآثارية تشير إلى أنه يجب أن ينظر إليها على أنها محاولة من قبل مصر لإحياء إمبراطوريتها في كنعان.

كان الهدف الواضح في الوديان الشمالية هو السيطرة على المدن الرئيسية. أما في الجنوب، فقد كان هدف شيشنق هو الاستيلاء على نظام الحكم الصحراوي الناشئ في تل مشوش وفرض السيطرة على التجارة الجنوبية. وتتضح حقيقة أن هذه الأهداف المصرية قد تحققت جزئيًا على الأقل من خلال اكتشاف جزء من شاهدة انتصار كبيرة أقامها شيشنق في مجدو، وهو مكان مذكور في نقش الكرنك.



نقش شيشنق الأول من معبد آمون في الكرنك في صعيد مصر

إن موجة الهجران الواضحة من تل مشوش في وادي بير سبع وفي مجموعة من المواقع إلى الجنوب في تلال النقب، تشير إلى أن استقلال المشيخة التجارية الصحراوية الصاعدة قد تحطم أيضًا في هذا الوقت.

ولكن ماذا عن قائمة أسماء الأماكن في الأراضي المرتفعة الوسطى والشمالية وعلى هضبة شرق الأردن التي تظهر أيضًا على جدارية الكرنك منذ عهد الدولة الحديثة في أواخر العصر البرونزي؟ لقد امتنع الفراعنة المصريون عمومًا عن إرسال قوات إلى منطقة التلال الوعرة قليلة الاستقرار والغابات، حيث ستكون المركبات عبئًا عسكريًا أكثر من كونه ميزة، ويمكن توقع العداء من السكان الجوالين و المعزولين. ومع ذلك، تذكر جدارية الكرنك أسماء أماكن مثل آدمة وسكوث وفنوئيل ومحنايم، وتقع جميعها على امتداد نهر يبوق، وهي منطقة في شرق الأردن لم تكن ذات أهمية كبيرة للفراعنة المصريين. كما يذكر أماكن في منطقة محددة للغاية من الأراضي المرتفعة الواقعة شمال أورشليم مباشرة، بما في ذلك جبعون وبيت حورون وزماريم (بالقرب من رام الله الحالية).

هل يمكن أن يكون مجرد مصادفة أن هاتين المنطقتين من الاستيطان المكثف في وقت مبكر من العصر الحديدي - والتي لم تكن ذات أهمية خاصة للمصريين من قبل- كانت مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بأنشطة شاول في التراث التوراتي؟ هل يمكن أن يكون من قبيل المصادفة أن قائمة شيشنق تذكر جبعون، التي يعدها عديد من العلماء مركزًا لآل شاول وإقليمه؟ أيمكن أن يكون من قبيل الصدفة أن المنطقة الواقعة شمال أورشليم هي بالضبط المنطقة التي نجد فيها (في تناقض حاد مع الوضع في أماكن أخرى في التلال) مجموعة من المواقع التي هُجرت في القرن العاشر؟

إن شيئًا ما جذب انتباه الفرعون المصري إلى هذه المناطق النائية ذات الأهمية الجيوسياسية القليلة نسبيًا. والاحتمال المنطقي هو أن

المنطقة المحيطة بجبعون والادعاءات الاستيطانية على طول نهر يبوق في شرق الأردن؛ كانت المراكز الرئيسية لكيان إقليمي سياسي ناشئ قوي بما يكفي لإنهاء المصالح المصرية المتجددة بطريقة مباشرة.

لماذا لم يذكر أورشليم؟

التوراة، من جانبها، يعرف هدفًا واحدًا فقط لحملة شيشق. ففي التقرير المقتضب لسفر الملوك الأول 14 :25-26، كان هدف الفرعون الوحيد المذكور هو مهاجمة أورشليم، عاصمة سلالة داود. في هذه المرحلة من تاريخ التثنية كانت أورشليم عاصمة قوية ومزدهرة منذ حوالي ثمانين عاما. وكان داود قد حكم هناك كملك على كل إسرائيل وأنشأ إمبراطورية عظيمة. وخلّفه ابنه سليمان فبهرج العاصمة بشكل كبير، وقام ببناء قصر معقد ومجمع معبد. ونظرًا لأن ثروة سليمان كانت أسطورية، فمن المدهش أن التوراة حكى عن غنيمة الهيكل العظيمة لشيشق من هجومه على أورشليم، بما في ذلك "تُروسَ الذَّهبِ الّتِي صنَعَها سليمان."

ولطالما عدّ علماء التوراة أن غزو شيشنق المذكور في سفر الملوك الأول هم أول حدث موصوف في التوراة مدعوم بنص من خارجه. ومع ذلك، فإن أورشليم - هدف مسيرة الفرعون إلى التلال - لا تظهر على قائمة الكرنك لشيشنق.

وبالنسبة لبعض العلماء، فان السبب بسيط. فببساطة لم يُحفظ اسم أورشليم على جدارية الكرنك بسبب التجوية، ولكن ذلك مستبعد جدًا، لأن صفوف الأرقام المرتبطة التي تُعيّن الأماكن التي جرى الاستيلاء عليها في التلال فقط إلى الشمال من أورشليم هي في حالة جيدة نسبيًا من الحفظ، وبما انه لا توجد أي بلدة أخرى في يهوذا - سواءا في التلال أو في شفيلة - تظهر في القائمة. ففي هذه الحالة فأنها ليست مجرد حالة اسم واحد مفقود؛ فيبدو أن أرض يهوذا بأكملها غير مذكورة على

الإطلاق. ومع ذلك، فإن الرغبة في موائمة التوراة مع نقش الكرنك كانت مستمرة ودفعت بعض العلماء إلى اقتراح، أنه ونظرًا لأن أورشليم قد أُنقذت من الدمار بواسطة فدية باهظة وتُركت قائمة (وفقًا للكتاب المقدس)، فلم يجرِ تضمينها في القائمة الرسمية للمدن المحتلة.

ومع ذلك، إذا كان الرواية التوراتية موثوقًا بها بشأن عظمة أورشليم في القرن العاشر قبل الميلاد وحول الحجم الهائل للغنيمة التي نهبها شيشنق من الهيكل، فهل كان هو ونحاتو نقشه متواضعون لدرجة عدم ذكر هذا الإذلال لحكام هذه المدينة البارزة والدولة الهائلة؟ ان مثل هذا التواضع سيكون بعيدًا عن طابع قرون من التراث المصري في تقديم فتوحات الفراعنة بطرق منمقة وغريبة للثناء على النفس.

والواقع، إن المشكلة تتجاوز الحفظ الانتقائي للبيانات أو الأساليب البلاغية. فكما رأينا، أظهرت التحليلات الجديدة للبيانات الآثارية من أورشليم أن مستوطنة القرن العاشر قبل الميلاد لم تكن أكثر من صغيرة فقيرة على التلال، مع عدم وجود دليل على البناء الضخم من أي نوع. وكما لاحظنا في دراسة صعود داود، كشفت الدراسات الآثارية أنه في ذلك الوقت كانت تلال يهوذا جنوب أورشليم مأهولة بعدد المستوطنات الصغيرة قليلة السكان نسبيًا، ولم تك بها مدن كبيرة محصنة.

في وقت حملة شيشنق، كانت يهوذا ما تزال مشيخة هامشية ومعزولة في التلال الجنوبية. لا تترك ثقافتها المادية الفقيرة مجالًا لتخيل ثروة كبيرة في المعبد - وبالتأكيد ليست ثروة كبيرة بما يكفي لإرضاء شهية فرعون مصري. ومن المعلومات الآثارية، يجب أن نصل إلى استنتاج يقوض المصداقية التاريخية لهذه الرواية التوراتية بعينها. ان السبب في عدم ظهور أورشليم (أو أي مدينة أخرى في يهوذا أو حتى قرية) على نقش الكرنك هو بالتأكيد لأن التلال الجنوبية لم تكن ذات صلة بأهداف شيشنق. فمواقع التلال الوسطى التي تظهر في القائمة تتجمع

معًا بشكل وثيق في المنطقة الواقعة شمال أورشليم مباشرة، وعلى وجه التحديد حيث كانت مستوطنات العصر الحديدي المبكرة أكثر كثافة - وبالتحديد حيث تضع التوراة منطقة شاول الأصلية. وهنا يمكننا أن نرى دليلًا على كيان إسرائيلي شمالي كان مختلفًا تمامًا في طبيعته عن مشيخة قطّاع الطرق ثنائية الشكل في الجنوب. كان مركز هذا الكيان الشمالي- الموصوف في التوراة باسم "مملكة" شاول - يقع حول جبعون، التي ربما كانت مركزًا لمشيخة التلال ذات القوة الكبيرة. ومن مثال لابايو في رسائل العمارنة (وأيضًا، في الواقع، مما نعرفه عن العلاقات بين التلال والسهول في أوقات لاحقة) يمكننا قراءة الأدلة الآثارية والتاريخية على أنها تدل على ان نظام حكم أراضي المرتفعة كان ذو نية توسعية.

يصف السرد التوراتي حماية شاول العسكرية لمستوطنات جلعاد، وحملاته ضد الفلسطة، وغاراته المذهلة ضد العماليق الذين يعيشون في البرية، ومعركته المصيرية الأخيرة في وادي يزرعيل. وإذا تذكرنا وصف الإقليم الموروث لوريث شاول، إيشبوشث، فإننا نرى أنه يتطابق بشكل وثيق مع قائمة شيشنق في ربط مجموعة من الأماكن في منطقة التلال شمال أورشليم بمنطقة نهر يبوق عبر الأردن - وهي ظاهرة لم تكن معروفة في فترات أخرى. وهذا لا يمكن أن يكون مصادفة. ما لدينا هنا هو لمحة فريدة عن صراع دراماتيكي - وغير معترف به حتى الآن - بين مصر الصاعدة وكيان التلال العدواني الذي تربطه التراث التوراتي بشاول. - وربما كان هذا النظام السياسي في التلال الشمالية - ما يزال لا مركزيا وغير رسمي للغاية بحيث لا يمكن تسميته بمملكة، وربما يكون قد عرّض أمن طرق التجارة للخطر في السهل الساحلي وعبر وادي يزرعيل. ومن الواضح أن مصر أدركت التهديد. فمع مئات القرى وعدد سكانها الكبير نسبيا، فقد كان على شيشنق أن يسيطر على هذه منطقة، على الرغم من إحجام القوات المصرية منذ عهد بعيد عن المغامرة في التلال الوعرة والحرجية.

وتشير الأدلة الآثارية إلى أن هذا قد حدث بالفعل: فالأماكن الواقعة شمال أورشليم والتي تظهر في قائمة الكرنك (والتي يصفها التراث التوراتي بأنها لب نشاط شاول) كانت مسرحًا لموجة كبيرة من الهجر في القرن العاشر قبل الميلاد.

يبدو الاستنتاج واضحًا: سار شيشنق وقواته إلى منطقة التلال وهاجموا الكيان الإسرائيلي الشمالي المبكر، وغزا أيضًا أهم مدن الأراضي المنخفضة مثل مجدو واستعاد السيطرة على طرق التجارة الجنوبية. لكن نقشه المنتصر لم يذكر ولن يذكر أورشليم أو يهوذا، وهي مشيخة منعزلة لم تشكل أي تهديد مباشر - أو كانت قد استسلمت بالفعل لواقع الحاكمية المصرية.

الخيانة المنسية

لا يمكننا إلا أن نفترض نوع العلاقة التي ربما كانت بين مشيخات التلال الشمالية والجنوبية في القرن العاشر قبل الميلاد، وعلينا أن نتذكر أنه على الأرجح لم يكن هناك شعور بالهوية الإسرائيلية المشتركة حتى الآن. كانت هناك اختلافات مهمة بين المنطقتين. ومن المؤكد أن عدد السكان والقوة المحتملة للتلال الشمالية تفوقت بكثير على موارد الرعاة المتناثرين والقرى القليلة في الجنوب. تبدو الهيمنة الشمالية - أو ربما المحاولات الشمالية العرضية للسيطرة على الأراضي الجنوبية - معقولة. ومع ذلك، ففي التوراة، لم يُصور داود وشاول كمنافسين إقليميين، ولكن كشخصيات في دراما واحدة، حيث تتشابك قصصهما الفردية بشكل وثيق. كان داود المنشد الشاب لشاول، ومحاربه الذي يحظى بشعبية كبيرة، وصهره، وفي النهاية خليفته على عرش كل إسرائيل. وكانت أنشطة داود في يهوذا وعمله كتابع فلسطي لم تحدث إلا عندما أجبر على الفرار من أجل حياته من جنون شاول المتزايد.

لقد افترضنا بالفعل - في حالة داود - أن الحكايات الشعبية المبكرة

المدمجة في السرد التوراتي تحافظ على ذكريات صعود رئيس قُطّاع الطرق إلى حكم يهوذا، وهو ما يتطابق في حد ذاته مع نمط القيادة السياسية في التلال التي استمرت لقرون. وبالمثل، فإن ظهور تحالف شمال الأراضي المرتفعة - المرتبط بشاول في التراث التوراتي - يتوافق أيضًا مع الأدلة النصية الآثارية والمصرية. ولكن يجب ان نأخذ في الاعتبار عنصرًا أخيرًا قبل أن نتمكن من محاولة إعادة بناء تاريخية للتفاعلات بين الزعيمين الشمالي والجنوبي، شاول وداود. فلا يوجد في أي مكان في القصة التوراتية للمملكة الإسرائيلية المبكرة تلميح إلى أي تهديد خطير من مصر.[1] كان الفلسطة هم العدو الأبرز. غاراتهم ضد مدن يهوذا دفعت داود إلى اتخاذ قرارته التحررية؛ وتوفر محاولاتهم للسيطرة على التلال الشمالية تمهيد السياق لبعض أكثر مآثر شاول العسكرية التي لا تنسى. كان الفلسطة هم الذين احرزوا النصر النهائي العظيم على شاول في جبل جلبوع، وكانوا هم الذين علقوا جثث شاول مقطوعة الرأس وأبنائه على سور مدينة بيت شان العظيمة المحصنة القريبة (1 صم 31: 10). فماذا كان الفلسطة يفعلون حتى الآن بعيدًا عن جيبهم الساحلي؟ وماذا كانوا يفعلون في قلب التلال؟ فلا يوجد دليل خارجي - آثاري أو تاريخي - على أن الفلسطة شكلوا جيشًا موحدًا يمكنه التوغل بعيدًا عن أراضيهم الأصلية. وماذا كانوا يفعلون في معقل بيت شان الشمالي؟ في هذا الموقع الشاهق، الذي يقع على مفترق طرق استراتيجي لطرق التجارة البرية جنوب بحيرة طبرية، جرى التنقيب مرارًا وتكرارًا فيه وجرى الاعتراف به كواحد من أهم القلاع والمراكز الإدارية المصرية في كنعان في أواخر العصر البرونزي، مع ما يحتويه من مساكن وأضرحة على الطراز المصري. وفي القرن العاشر، كانت بيت شان قد تراجعت كثيرًا عن روعتها السابقة، لكن في ظاهرها بقيت نقطة قوة قوية للحكم المصري المتجدد. وقد يكون سبب الإشارة التوراتية إلى

---

(1) هناك ذكرى واحدة محتملة وغامضة في الحكايات البطولية لـ 2 صم : 23، 2 اذكر بشكل عابر أن بنياه بن يهويادا "قتل مصريا".

الوجود الفلسطيني في بيت شان والتلال في هذه الحقبة هو في علاقة الفلسطة بمصر ، وقد يلقي ذلك ضوءًا جديدًا على الحقائق التاريخية لسيرتي داود وشاول.

من المهم أن نلاحظ أولًا وقبل كل شيء أنه لم تُذكر أية مدن فلسطية في قائمة النصر لشيشنق. وربما يرجع هذا الإغفال إلى الحالة المتضررة لنقش الكرنك، ولكن قد يكون له تفسير استراتيجي أيضًا. فعلى الرغم انه من المحتمل أن جيبهم الساحلي كان يحاول منع مرور القوات المصرية شمالا، إلا أنه على ما يبدو لم يحدث قتال هناك. أن الاستيلاء على طرق التجارة الصحراوية الجنوبية لم يكن في مصلحة المدن الساحلية الصغيرة، مع وصولها إلى التجارة البحرية المتوسطية. وكان من شأن إضعاف المشيخة الشمالية العدوانية أن سيسمح لهم بأمن إقليمي أوسع. لقد كانت شعوب البحر الساحلية، بما في ذلك الفلسطة، قد خدمت منذ مدة طويلة كقوات مرتزقة مصرية، ويبدو دورهم كحلفاء لمصر في هذه الحملة وتداعياتها معقولًا تمامًا.

ولكن لماذا نُسي المصريون في هذا الجزء من التراث التوراتي؟ على مرِّ القرون، بينما كانت القصص البطولية لهذه الحقبة تُحكى ويعاد سردها بين شعب يهوذا، انزلقت مصر مرة أخرى في حقبة كسوف تاريخي، بينما بقي الفلسطيون حاضرين ونموا بقوة. وبحلول عصر توليف هذه القصص، عندما جُمع التراث المحلي المتناثر ونُسج في سرد واحد، كان العداء للفلسطة قويًا كما كان دائمًا. لذلك صوّروا على أنهم الأشرار الرئيسيون في ذلك الجزء. ومن الممكن أن إشارة التوراة إلى الفلسطة الذين يهاجمون منطقة التلال ويقيمون حاميات في جبعة (1 صم 13: 3) وبيت لحم (2 صم 23 :14)، وإلى المعركة الفلسطية الإسرائيلية العظيمة في بيت شان، قد، يكون في الواقع، هي للحفاظ على ذكرى التحالف المصري الفلسطيني.

يحتوي التراث التوراتي على سرٍّ آخر لا يحاول إخفاءه إلا الأحمق. فقد قاوم داود الهجمات الفلسطية على حدود يهوذا الغربية، لكنه عمل

أيضًا تابعًا لأخيش، ملك مدينة جت الفلسطية. حشدّ رجاله مع الجمع الكبير لقوات الفلسطة في أفيق وهم يستعدون للانطلاق وتوجيه ضربة قاضية لقوات شاول. وبصفته تابعًا سابقًا للفلسطة وزعيمًا لمنطقة لم تتعرض للهجوم في حملة شيشنق، كان لدى داود الكثير ليكسبه من انتكاس قوة التلال الشمالية. كان من شأن توجيه ضربة إلى مجموعة المستوطنات في هضبة بنيامين أن يمنح المشيخة الجنوبية فرصة مناسبة لتوسيع سيطرتها الإقليمية شمالًا بالتنسيق مع المصريين، أو بمجرد انسحاب المصريين.

باختصار، كان من الممكن أن تكون المشيخة الجنوبية شريكًا سلبيًا في التحالف المصري الفلسطي. وهذا قد يكون السبب في أنه - مثل المدن الفلسطية - لم يرد ذكرها في قائمة شيشنق الأول في الكرنك. ومن الممكن أيضًا أن يكون هذا هو أصل الاتهام الشمالي لداود بأن تعاون مع الفلسطة وكان على الأقل مسؤولًا ولو بشكل غير مباشر، عن وفاة شاول. قد يكون داود ويهوذا قد استفادوا من سقوط نظام الحكم الشمالي فتوسعوا للسيطرة على بعض الأراضي المرتفعة التي حكمها شاول ذات مرة. إن الذكرى عن أنه في الأيام الأولى للسلالة الداودية حكمت أورشليم مناطق التلال الشمالية خارج الحدود التقليدية يهوذا كان من الممكن أن يكون النواة التاريخية وراء فكرة "المملكة الموحدة" التي حكمها داود من أورشليم.

لا نعرف كم من الوقت بقيَّ المصريون في المنطقة أو ما إذا كانوا قد تمكنوا من فرض سلطانهم المباشر - ولو لمدة وجيزة - على كنعان/إسرائيل. لكن عاجلًا أم آجلا، تلاشى الوجود المصري الفلسطي، وكان من الممكن أن يستمر داود وورثته في السيطرة على جزء من التلال الشمالية على الأقل. وهكذا في أعقاب هجوم شيشنق مباشرة على المشيخة الشمالية، ربما لم يأت الخطر الأكبر لداود من الأعداء الخارجيين ولكن من العداء والاتهامات من سكان التلال الشمالية بأنه خان أو على الأقل استغل هزيمة زعيمهم، شاول.

صُوّر شاول، على انه أول ملك لإسرائيل، وفي التوراة صوّر على أنه شخصية معذبة، بل ومتناقضة بشكل مأساوي. فمن جهة، يُصوّر على أنه "حسَنُ الطَّلعةِ في زَهوَةِ العُمرِ" خجول ومتواضع (1 صم 9: 2)، وبطل ينقذ شعب إسرائيل من كل أعدائهم؛

وحارَبَ شاول أعداءَهُ المُحيطينَ بِهِ بَعدَ أنْ تَولّى المُلْكَ على إسرائيل، فحارَبَ المُوآبِيِّينَ وبَني عَمُّونَ والأدوميِّينَ ومُلوكَ صوبَةَ والفلِسطيِّينَ مُنتَصِرًا حيثُما اتَّجَهَ. وقاتلَ بِشَجاعةٍ وضَرَبَ بَني عَماليقَ وأنقَذَ بَني إسرائيل مِنْ أيدي ناهبيهِم.. (1 صم 14 : 47-48).

ومن ناحية أخرى، يُوصف بأنه متهور، عرضة لنوبات من الغضب العنيف، تعذبه الأرواح الشريرة. وحاول مرتين أن يقتل خادمه الأمين داود وطارده بلا هوادة. وبخرقه للشريعة، فقد أسقط نفسه من صحيفة الحكام الأبرار، فيضع سفر صموئيل الأول الأمر على هذا النحو: " ونَدِمَ الرَّبُّ لأنَّه أقامَ شاول مَلِكًا على بَني إسرائيل." (1 صم 15: 35) - فكيف تُفسر هذه التناقضات؟

رأى عديد من علماء التوراة أنها دليل على وجود مصدرين مختلفين في النص. عُدّت القصص التي تنظر إلى شاول بشكل إيجابي بشكل عام أنها نشأت في مملكة إسرائيل الشمالية وحافظت على ذكريات حقيقية، وإن كانت غامضة، عن زمن أول ملك للشمال. ومثل قصص داود قاطع الطريق في التلال الجنوبية، فإنها تحتوي على تفاصيل جغرافية محددة تتضمن ما قد يكون ذكريات لأحداث في القرن العاشر قبل الميلاد. كانت شجاعة شاول وبسالته ووفاته المأساوية على يد اعدائه قد تكررت منذ مدة طويلة وجرى تفصيلها كدعاية لظهور أول مشيخة قوية في التلال واستبطان تاكل على حلم إسرائيل الموحدة التي حكمت من الشمال والتي وصلت إلى نهاية مفاجئة وعنيفة بشكل غير متوقع.

تعكس العناصر المناهضة لشاول والمؤيدة لداود في السرد منظورًا

مختلفًا تمامًا. إنهم يذكروننا باستمرار لماذا كان شاول محكومًا عليه بالفشل، ولماذا أصبح داود ملك إسرائيل الممسوح بالحق. يمثل الصوتان جانبين من حجة صامتة[1] الآن، جرى نسجها في السرد التوراتي الشامل. في الواقع، اقترح بعض العلماء أن قصة صعود داود بأكملها - هي تفصيل لاستبدال شاول الممسوح من الله - قد صيغت بشكل تبريري، وهو نوع أدبي معروف جيدًا في الشرق الأدنى القديم، يستخدمه المغتصبون الذين يضطرون لإضفاء الشرعية على اعتلائهم العرش. ومع ذلك، فإن هذه النظرية منطقية فقط فيما إذا كانت النصوص مكتوبة في القرن العاشر. لكن هذا أمر غير مرجح للغاية: ليس لأنه لا يوجد دليل على وجود إدارة ملكية كفؤة (من النوع الذي كان من المتوقع أن يمتلكه الكتبة الأدبيين وشعراء البلاط) في قرية معزولة على قمة تل في أورشليم؛ فحسب، بل لأنه لا توجد علامة على معرفة واسعة النطاق بالقراءة والكتابة في يهوذا حتى نهاية القرن الثامن قبل الميلاد.

ما لدينا في هذه المرحلة المبكرة، بدلًا من ذلك، هو صراع بين التراثات المحلية والشفاهية التي لن يتم دمجهما إلا بعد ذلك بمدة طويلة في عمل مكتوب واحد. تتناقض اقوال أحداها مع الأخرى. وتُرد اتهامات إحداها على الأخرى بتهم جديدة مفصلة وموضحة.

لقد كان أنصار شاول- الذين لا يمكن العثور على صوتهم إلا في خلفية القصص- قد شوهوا صورة داود بالقول انه لم يكن أكثر من قطاع طرق، نكرة، قُبل في حاشيته ثم خانه، وهو مغتصب غير شرعي قوض عرش شاول وعائلته. بالنسبة لهم، كان داود خائنا، وعميلًا للفلسطة، شارك - بفاعلية أو بشكل سلبي - في الحملة العسكرية التي أسفرت عن وفاة أول ملك عظيم للشمال. وكان على أنصار داود الرد على هذه

(1) الحجة بالصمت Argument from silence : تعبير عن استنتاج يستند إلى عدم وجود بيانات في الوثائق التاريخية بدلاً من وجودها . في مجال الدراسات الكلاسيكية، يشير غالباً إلى التأكيد إلى أن المؤلف يجهل موضوعاً ما، استناداً إلى عدم وجود إشارات إليه في كتابات المؤلف المتاحة. المترجم

الاتهامات. لم يكن داود ليعيش حياة قطّاع الطرق لولا غضب شاول المغتاظ. علاوة على ذلك، ففي كل فرصة اتيحت لداود أن يقتل مطارده، امتنع عن ذلك، من أجل خير إسرائيل الأكبر. ففي إحدى الحوادث، ورد أن داود قال:

«لا تقتُلْه. فمَنِ الّذي يَرفعُ يدَهُ على المَلكِ، الّذي مسحَهُ الرّبُّ، ويكونُ بريئا؟ ... حَيٌّ هوَ الرّبُّ، لا أحدَ يَضرِبُهُ غيرُ الرّبِّ، إمَّا أنْ يَحينَ يومُهُ فيموتَ، وإمَّا أنْ يَنزِلَ إلى حربٍ فيَهلِكَ. حَرامٌ عليَّ منَ الرّبِّ أنْ أرفَعَ يَدي على مَنْ مسحَهُ الرّبُّ. والآنَ فلنأخُذِ الرُّمحَ الّذي عِندَ رأسِهِ وكوزَ الماءِ ونَنْصرِفْ». (1 صم 26: 9-11).

وهي لا تقل أهمية عن الكلمات التي وضعت في فم شاول نفسه بخصوص داود:

«أنتَ أحسَنُ منّي، أنتَ جازيتَني خَيرًا وأنا جازيتُكَ شرًّا .... والآنَ تأكَّدتُ أنَّكَ ستَصيرُ مَلِكا، وأنَّ مملكةَ إسرائيل تثبُتُ في يَدِكَ.. (1 صم 24: 17 ، 20)

يشرح السرد التوراتي لماذا كان تحالف داود مع ملك الفلسطة فاترا، ولم يكن أكثر بقليل من مجرد حيلة لحماية بني شعبه. فعندما حُشّد وقواته مع الفلسطة للسير ضد قوات شاول، أعفي بسهولة من الخدمة الفلسطية على أساس الولاء المزدوج المحتمل (1 صم 29: 3-10). ولا يقل أهمية عن ذلك حين يسمع داود خبر وفاة شاول وأبنائه في جبل جلبوع، فيرثيهم بأجمل رثاء:

مَجدُكَ يا إسرائيل قتيلٌ على روابيك. فيا لَسُقوطِ الجبابِرة! لا تَحكوا عَنْ ذلِكَ في جت وفي ساحاتِ أشقَلونَ لا تُعلِنوهُ، لِئلاً تفرحَ بَناتُ الفِلسطيّينَ، لِئلاً تطرَبَ بَناتُ غيرِ المَختونينَ. يا جِبالَ جلبوع، لا يكُنْ فيكِ ندًى ولا مَطرٌ ومَهجورةً حُقولُكِ تَبقى لأنَّ أبطالَنا سقطوا هُناكَ، تُرسُ شاول سقطَ في التُّرابِ، ولم يُمسَحْ بزيتٍ. عنْ دمِ القتلى وشَحْمِ الجبابِرةِ قوسُ يوناثانَ لم ترتَدَّ إلى الوراءِ وسَيفُ شاول لم يَرجِعْ خائِبًا.

شاول ويوناثانُ مَحبوبانِ مُحَبَّبانِ، معا في الحياةِ، معا في الموتِ، أسرَعُ مِنَ النُّسورِ هُما وأقوى منَ الأُسودِ. يا بَناتِ إسرائيل ابكينَ على شاول. كانَ يكسوكُنَّ الحُلَلَ القِرمزيَّةَ ويُرَصِّعُ ثيابَكُنَّ بِحُلي الذَّهبِ. يا لَسُقوطِ الجبابِرةِ في القِتالِ. يوناثانُ قتيلٌ على روابيكِ. يا أخي يوناثانُ يا أعزَّ صديقٍ مَليئا بالألَمِ والحُزنِ أبكيكَ لأنَّ صداقَتَكَ لي أولى مِنْ حُبِّ النِّساءِ. كيفَ سقطَ الجبابِرةُ، إلى الأبدِ سقطوا. (2 صم 1 : 19-25)

الأهم من ذلك كله، ان التراث التوراتي يؤكد أن الأحداث كانت كلها بتدبير إلهي وبالتالي فهي شرعية تمامًا. فالله بذاته رفض شاول واصطفى داود ليحل محله. وكان هو الذي نقل العرش من شاول لداود. وما تزال كل هذه الاتهامات والاتهامات المضادة تحمل الذكريات المؤلمة لأحداث القرن العاشر قبل الميلاد. ومع ذلك، فهي ليست تاريخًا محايدًا تمامًا ولا حتى الجدل العفوي ذهابًا وإيابًا بين المؤيدين الحزانى على الزعيم الذي سقط وأنصار زعيم التلال الصاعد، بل إنها نتيجة حقبة استثنائية من الإبداع - في هذه المرحلة ما تزال شفهية، غير مكتوبة - وبالتالي تمثل طبقة أخرى من المواد الفولكلورية التي من شأنها أن تساهم في بناء الحكاية التوراتية.

بحلول نهاية القرن العاشر قبل الميلاد، لم يعد يكفي مجرد الاعتزاز والاحتفال بأساطير وإنجازات الأبطال المحليين. فبعد وفاة شاول وتأسيس داود لسلالة في أورشليم، ربما تكون هوية التلال الأوسع قد بدأت تلوح في الأفق وظهرت الشخصيات الأسطورية لكل من شاول وداود. فقد بدأت دورة جديدة من القصص تنتشر بين القرى - على الأقل في منطقة يهوذا وفي التلال الواقعة إلى الشمال منها مباشرة - حيث دُمجت الحكايات البطولية المبكرة

في دراما نفسية عن حق سلالة معينة في الحكم. وفي هذه الأيام الأولى، ومثلما سنرى أكثر من ذلك في القرون اللاحقة حيث يجب أن نأخذ في الاعتبار: موجة اللاجئين الشماليين المتجهين إلى الجنوب ، ان يتجاهلوا

الحكايات الملهمة عن انتخاب شاول والنطاق الهائل لمحاولته توحيد التلال الشمالية وجرأتها. وبالمثل، لم يكن من المتصور إلا يكون اهل الشمال على دراية بأساطير داود ورجاله الأقوياء. فكان ما نتج عن ذلك هو تقليد وطني جنيني كان من شأنه ان سيتوسع بشكل كبير في كل حقبة شعر فيها حكام يهوذا أنه من الضروري مواجهة الاتهامات الشمالية بالخيانة والتناقض مع أي تحد للشرعية التاريخية لمطالبة يهوذا بالأراضي الشمالية.

لطالما شوهدت هذه التطورات التاريخية من خلال عدسة التراث التوراتي - وفي الأعمال الفنية التي لا تعد ولا تحصى، التي تصور الملك الإسرائيلي المُشوه والصبي الراعي البريء من يهوذا - بسبب عظمة داود وعيوب شاول المأساوية. ومع ذلك، يظهر السياق الآثاري والتاريخي أن مصير داود لم يكن واضحًا لا لبس فيه في حقبة فوضوية من الصراع الإقليمي في أوائل العصر الحديدي. كان العنف والهيمنة والخيانة ذكريات لا تمحى عن نضال المصريين والفلسطة وزعماء التلال المتنافسين لتشكيل عالم جديد في القرن العاشر قبل الميلاد. وفهم تلك الدراما التي تتكشف ليس مجرد اهتمام آثاري. ففي الصراع من أجل البقاء من قبل سكان تلال كنعان الشمالية والجنوبية، كان مفهوم الهوية المشتركة - شعب إسرائيل - قد ولد.

مراحل	المواد التوراتية	الخلفية التاريخية	الاكتشافات الآثارية
القرن التاسع قبل الميلاد الفصل الثالث	قصص عن فتح داود لأورشليم تحولت إلى القصص في القرن التاسع تُتلى في بلاط خلفاء داود؛ وضعت الأساطير الشفوية لفتوحات داود لتتناسب مع مدى الإقليمي للإسرائيلي الشمالي، دولة عمري.	تتطور يهوذا ببطء من مشيخة التلال إلى مملكة، في ظل بقاء صعود دمشق وسقوط سلالة عمري.	أورشليم تتوسع، لكن ما تزال محدودة - إلى مدينة داود. المراكز الإدارية الأولى في لخيش، بيت شمش، بئر سبع، وعراد.، جت المدينة الفلسطية المهيمنة حتى تدميرها من قبل آرام دمشق

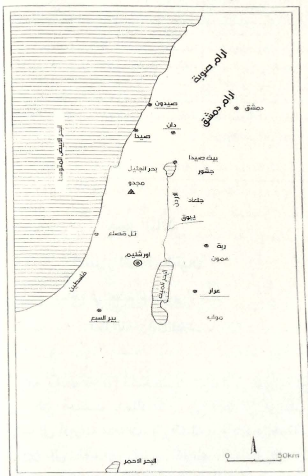
الفصل الثالث

القتل والشهوة والخيانة

أساطير في البلاط الداودي في أورشليم

القرن التاسع قبل الميلاد

ربما لا توجد مجموعة من الشخصيات الرائعة في التوراة أكثر من الدائرة القريبة التي أحاطت بالملك داود في بلاطه في أورشليم من زوجات ناشزات إلى أميرات مفتنات، إلى القتلة بدم بارد والخونة؛ ومن العشاق السريين إلى المقربين الذين تعرضوا للخيانة إلى الأوغاد السافرين. إن السرد التوراتي المعروف لدى العلماء باسم "تاريخ الخلافة" أو "تاريخ البلاط" (الممتد من سفر صموئيل الثاني 9 - 20 إلى سفر الملوك الأول 1 - 2) يختلف في لهجته عن رواية "صعود داود إلى السلطة". إنها دراما الشهوات القوية وقمعها الموجع، إنها قصة البلاط الملكي الذي يقع باستمرار فريسة لأحط إغراءات السلطة، مع ملك؛ نبيل بما فيه الكفاية ليتوب عن أفعاله الآثمة، وبالتالي ينال التكفير عن خطاياه.



الأماكن المذكورة في احصاء يوآب
اعمال التدمير التي ارتبطت بداوود
مدن أخرى

حروب داود وامتداد دولته حسب إحصاء يوآب

يبدأ هذا الجزء من القصة التوراتية في أعقاب وفاة شاول في جبل جلبوع، عندما توّج داود ملكًا في حبرون من قبل شعب يهوذا؛ فيطلق أتباعه حملة وطنية من الاغتيالات لتصفية بيت شاول. فقد قُتل كل من إيشبوشث، ووريث شاول الباقي، وأبنير، القائد العسكري المخلص لشاول، على يد مُساعدي داود، ما سمح لداود بالتنصل شخصيًا من أي عتب. وحين يأتي ممثلو جميع قبائل إسرائيل لرؤية داود في حبرون ويمسحونه ملكًا على أمة إسرائيل بأكملها ومع مجموعته الجريئة من المحاربين، يشرع داود بعد ذلك في السير نحو أورشليم والاستيلاء عليها. ويقيم المُلك في الحصن الذي يسمى الآن مدينة داود، ويقوي تحصينات أورشليم. ويرسل حيرام الصوري، الحاكم الفينيقي القوي، الذي تعرّف على عظمة داود، عوارض الأرز الثمينة والنجارين والبنائين المهرة لبناء قصر ملكي مناسب لداود في عاصمته الجديدة. ووسط البذخ المكتشف حديثًا، يجمع داود حاشية متألقة من الكتبة، وضباط الجيش، والحراس الشخصيين المرتزقة، والكهنة، والخدم، والزوجات، والمحظيات كدائرة داخلية له، لقد أصبحوا طاقم الشخصيات في "تاريخ البلاط".

قَبِل عديد من علماء التوراة "تاريخ البلاط" بعَدّه سجلًا تاريخيًا موثوقًا ودقيقًا إلى حد كبير حتى وقت قريب جدًا، وكان من المفترض أن السرد التوراتي قد كُتب في بلاط داود أو سليمان - في وقت قريب من الأحداث التي وصفها، وكانت أحد الأسباب الرئيسية لذلك القبول هو ثرائه غير العادي بالتفاصيل؛ ذلك أن الملك داود لم يُصوَّر على أنه إله ملك مصري أو آشوري نموذجي - كامل ومتعال وفوق بقية البشر - كما هو الحال في معظم السير الذاتية الملكية في الشرق الأدنى القديم، بل هو رجل ذو دوافع قوية ونقاط ضعف مؤلمة، لا يحاول النص إخفاءها، فهو يستفيد من إعدام ألد منافسيه، ويسرق زوجة رجل آخر ويقتل زوجها، ثم يبكي منهارًا على نبأ وفاة ابنه المتمرد أبشالوم الذي حاول قتله، ويتلاشى في حالة من البرد، والشيخوخة وحيدًا، بينما يتجادل

عديد من حاشيته وورثته حول من سيخلفه على العرش. ومثل هذه التفاصيل - إلى جانب الوصف الجغرافي المحدد تمامًا - في غزوات داود الكاسحة[1] - يخلقان قصة واقعية للغاية - وهكذا، يعتقد الباحثون أنه في وقت كتابة هذا التقرير، لا بد أن ذكريات حكم داود ما تزال حاضرة تمامًا. وكان هناك منطق سياسي واضح في تكوينه: كان "تاريخ البلاط" الرسمي بمثابة عمل من أعمال السيطرة الملكية، وكان المقصود منه شرح (وتسليط أفضل ضوء ممكن على) تصرفات داود واختيار سليمان - الذي لم يكن الأول في ترتيب ولاية العهد - كخليفة شرعي لداود. بالنظر إلى القوائم التوراتية لموظفي بلاط داود في ظاهرها، افترض العلماء أن ذكر مكاتب "المُسجِل" (2 صم 8: 16) و"السكرتير" (סופר في النص العبري لـ 2 صم 8: 17) أثبت أن السجلات المكتوبة جرى جمعها والحفاظ عليها في أورشليم في القرن العاشر قبل الميلاد. وهذه حالة أخرى من الجدل الدائري، حيث يكون النص التوراتي بمثابة الدليل الأساسي على صحة تقريره التاريخي. لقد ذكرنا مراراً وتكرارًا عدم وجود أي دليل أثري على انتشار القراءة والكتابة في يهوذا حتى أواخر القرن الثامن قبل الميلاد. والآن يجب أن نطرح سؤالاً آخر: فعلى أساس ما نعرفه عن الوضع الآثاري العام في أورشليم، هل يتكلم "تاريخ البلاط" بصوت القرن العاشر؟ وهل تتطابق أوصاف حروب داود ومشاريع البناء مع الواقع الآثاري لذلك العصر؟ وهل أن المؤامرات الأسرية التي تلعب مثل هذا الدور الرئيسي في "تاريخ البلاط" يمكن تصورها في زمن داود؟

(1) على الرغم من أن الإصحاح الثامن من سفر صموئيل الثاني، الذي يصف بعض حروب داود، لا يعد عادةً جزءًا من "تاريخ البلاط"، إلا أنه بما أن الانتصارات العسكرية هي عنصر مهم في صورة داود التوراتية، فإننا ندرجها في مناقشتنا للتراث الملكي لسلالة داود.

إن الجواب سلبي بالتأكيد. فأولاً، فيما يتعلق بالخلفية المادية، فهناك القليل من الأدلة في أورشليم على وجود أي بناء ملكي مثير للإعجاب من القرن العاشر قبل الميلاد، بل عدم وجود عدد كبير من المباني من أي نوع كانت. فعلى الرغم من أن من الممكن أن تكون بعض مباني أورشليم الداودية أو السليمانية قد دُمرت أو دُفنت تحت المنصة الضخمة لمعبد هيرود، إلا أن الدليل على التوسع الملكي الكبير في أماكن أخرى في منطقة مدينة داود غير موجود. واما الآثار الثلاثة الرئيسية التي رُبطت بأحداث عصر داود وهي: (بئر وارن العمودي) (الذي حدّده بعضهم بأنه قناة المياه المذكورة فيما يتعلق بغزو داود لأورشليم في 2 صم 5 : 8)؛ والهيكل الحجري المدرج (أقترح كما ذكر ميلو Millo فيما يتعلق بإعادة بناء داود لأورشليم في 2 صم 5: 9)؛ ومقابر ملوك يهوذا (النقوش الصخرية التي حدّدها بعضهم على أنها بقايا مقابر ملكية من سلالة داود) فلا علاقة لها بالسرد التوراتي للقرن العاشر قبل الميلاد.[1]

إن افتراض بعض العلماء من أن "غياب الدليل ليس دليلاً على الغياب" يُمكن نقّضه بسهولة عندما ننظر إلى الصورة العامة. فعلى مدى قرن من التنقيبات في مدينة داود، عُثر على بقايا هزيلة بشكل مدهش من أواخر القرن السادس عشر إلى منتصف القرن الثامن قبل الميلاد. وهي لا تمثل أكثر من بضعة أسوار وكمية متواضعة من شقف الفخار، وجد معظمها في حطام التعرية. وقد تبين ان الوضع نفسه في كل موقع جرى التنقيب فيه في أورشليم. أما الافتراض القائل بأن بقايا المباني الكبيرة التي تعود إلى القرن العاشر قبل الميلاد والتي كانت موجودة بالفعل في أورشليم قد طُمست بسبب التعرية أو بسبب انشطة البناء الضخمة في الأجيال اللاحقة، هو ببساطة أمر لا يمكن الدفاع عنه، لأن الهياكل الرائعة في كل من العصر البرونزي الأوسط المبكر (حوالي 2000-1550

(1) لمزيد من التفاصيل حول البحث الأثري عن آثار أورشليم داود، أنظر الملحق (2)

ق.م) والعصر البرونزي الأوسط (حوالي 2000-1550 ق.م) والعصر الحديدي الثاني اللاحق (حوالي 750–586 ق.م) قد نجت.

تُشير الأدلة بوضوح إلى أن أورشليم في القرن العاشر كانت قرية صغيرة في التلال تسيطر على مناطق نائية قليلة السكان. ولو كانت عاصمة لمملكة عظيمة لديها ما يكفي من المال لحشد عشرات الآلاف من الجنود، وجمع الجزية من التابعين، وتحتفظ بحاميات في آرام دمشق وأدوم (مثلما تخبرنا الرواية التوراتية)، فعلى المرء ان يتوقع وجود مبان إدارية ومخازن، حتى خارج المجمع الملكي عند قمة التلال. ويمكن للمرء أن يتوقع أيضًا رؤية تغييرات في قرى يهوذا - التي من المفترض أن يحُشد جزء كبير من جيوش داود منها، والتي من شأنها أن تستفيد على الأقل بشكل غير مباشر من ثروة المملكة العظيمة. ومع ذلك، فلا يوجد أدنى دليل على أي تغيير في مشهد يهوذا حتى القرن التالي؛ فقد ظل عدد السكان منخفضًا والقرى متواضعة وقليلة العدد طوال القرن العاشر قبل الميلاد.

فماذا عن فتوحات داود الكاسحة الموصوفة بتفصيل كبير في سفر صموئيل الثاني من الإصحاح 8 إلى الإصحاح 12: 26-29؟ إذا كانت أوصاف هذه الحروب والفتوحات موثوقة، فيجب أن يكون هناك دليل على الدمار العسكري العنيف في منطقة مملكته الموسعة. وفي الواقع، في الأيام الأولى لعلم الآثار التوراتي، كان هذا هو بالضبط ما يعتقد عديد من العلماء أنهم وجدوه. ففي مواقع في جميع أنحاء مناطق التوسع العسكري المفترض لداود - أولاً وقبل كل شيء على طول الساحل وفي الوديان الشمالية - كان كل مستوى من الدمار يمكن تأرخته بشكل غامض إلى عصر داود يُعزى إلى فتوحاته، خاصة وأن طبقات الدمار هذه عادة ما تميز الانتقال من مدينة فلسطينية أو كنعانية إلى ثقافة مادية جديدة يُنظر اليها على إنها "إسرائيلية".

وهكذا، ففي موقع (تل قصيلة) المنخفض وهي مستوطنة فلسطينية

تقع داخل حدود تل أبيب الحديثة، أعلن المنقب عميحاي مزار Amihai Mazar أن "التدمير العنيف للطبقة X المزدهرة ... في بداية القرن العاشر قبل الميلاد، كان جزءًا من "سلسلة من الدمار في أجزاء مختلفة من البلاد"، على الأرجح بسبب "الغزو الإسرائيلي في عهد الملك داود". وبالمثل، يُعتقد أن مدينة مجدو الكنعانية، في وادي يزرعيل في الشمال، تقدم مثالاً آخر للفتوحات الداودية الكاسحة. فالمدينة الحديدية الأولى، التي ما تزال تتميز بالثقافة المادية الكنعانية، يرجع تاريخها تقليديًا إلى القرن الحادي عشر قبل الميلاد. انتهى الأمر بها في حريق هائل لدرجة أنه فَخَرَ لِبِن مبانيها المختلفة وغُطيت الأرضيات بطبقة سميكة من عوارض الطابق العلوي المنهارة والتُحف المحطمة والرماد. وقد فسر عالم الآثار ييغال يادين Yigael Yadin، الذي قام بالتنقيب في مجدو في الستينيات، ذلك بأنه دليل على وجود مدينة كنعانية "دُمرت بالكامل، ربما على يد داود"، ثم حلت محلها مدينة إسرائيلية في زمن سليمان.

لكن كل هذه الصور كانت نتيجة لهذا النوع المألوف من التفكير الدائري؛ استخدام السرد التوراتي كأساس للتفسير الآثاري، ثم استخدام البقايا المفسرة كدليل على الدقة التاريخية للكتاب المقدس. فبدا دليل الدمار في تل قصيلة ومجدو ومواقع أخرى، في ذلك الوقت، متناسبًا مع القصة التوراتية، لكن من الواضح اليوم أن الدليل الآثاري على غزوات داود كان وهميًا. فنحن نعلم الآن من خلال عمليات التنقيب الجديدة وإعادة التحليل لمجموعات الفخار والملاحظات المعمارية والتأريخ بالكربون المشع أن الحياة الفلسطية في السهل الساحلي الجنوبي والحياة الكنعانية في الوديان الشمالية استمرت دون انقطاع حتى القرن العاشر قبل الميلاد. وان موجة الدمار التي أرجع تاريخها في السابق إلى حوالي 1000 ق.م والتي تُعزى إلى توسع المملكة الموحدة في أيام الملك داود، جاءت في الواقع في وقت لاحق، بحوالي قرن من الزمان.

لذا، إذا أخذنا كل الأدلة معًا وسألنا مرة أخرى ما إذا كان "تاريخ البلاط"

التوراتي لداود مناسبًا تاريخيًا للقرن العاشر قبل الميلاد، فإن الإجابة ستكون كلا. فلا يوجد دليل أثري واضح على ظهور أورشليم في ذلك الوقت كعاصمة لإمبراطورية قوية ذات مؤسسات إدارية متقنة وتراث كتابي قادر على تأليف مثل هذا التسلسل التفصيلي للأحداث .

أن الدمار الذي يُنسب منذ مدة طويلة إلى حروب داود الغزوية لا يشكل أساسًا آمنًا لإعادة البناء التاريخي أيضًا. وربما لا يستطيع بضعة آلاف من المزارعين والرعاة في يهوذا - وعدد منهم نساء وأطفال وشيوخ - أن يقدموا ما لا يزيد عن بضع مئات من الرجال المقاتلين الأصحاء، وهو ما لا يكاد يكفي لأية مغامرة عسكرية تتجاوز الغارة المحلية. ان تحولًا اجتماعيًا وسياسيًا كبيرًا - ظهور الدولة بدواوينها المختلفة ومؤسساتها - يجب أن يحصل قبل أن تصبح أحداث " تاريخ البلاط" حقيقية. ويمكن بالفعل تتبع مثل هذا التحول في السجل الآثاري، ولكن كما سنقترح، فقد حدث أولاً في التلال الشمالية وليس في يهوذا - وفقط مع مرور عدة أجيال بعد فترات الحكم المفترضة لكل من داود وسليمان.

البلاط الملكي الإسرائيلي الأول

حتى مع استمرار حياة القرية في تلال يهوذا دون تغيير كبير خلال القرن العاشر وأوائل القرن التاسع قبل الميلاد كانت التحولات الكبرى جارية في التلال إلى الشمال. وعلى الرغم من هجران مجموعة المستوطنات في تلال بنيامين (وبشكل ملحوظ، المواقع المرتبطة بمنطقة قصص شاول التوراتية)، يُشير علم الآثار إلى نمو مُطرد في السكان والقدرة الزراعية لمئات القرى المنتشرة في أنحاء التلال الشمالية، وهو ما من شأنه أن تؤثر بشكل عميق على مسار التطورات السياسية .

وعلى النقيض من الوضع في التلال اليهودية، شهد الشمال توسعًا مطردًا في منطقة الاستيطان، سواء في الوديان الصغيرة الخصبة في قلب

التلال أو في المناطق الهامشية شرقًا وغربًا. وتشير المستوطنات الجديدة على أطراف البرية الشرقية إلى نمو الرعي في القرى؛ وإن إنشاء القرى على المنحدرات الصخرية الغربية المواجهة للبحر الأبيض المتوسط يوحي بتجدد زراعة المُدّرجات لكروم العنب وبساتين الزيتون بعد توقف دام مئات السنين. وظهرت قرى أكبر كمراكز إقليمية وانتعشت التجارة مع الساحل الفينيقي .

ثم، فجأة، ظهرت مراكز إدارية أكثر تفصيلاً في مواقع مهمة في جميع أنحاء المنطقة، وأكبرها هو المجمع الضخم الذي بُني في السامرة في التلال الشمالية الغربية. فقد بُنيت منصة ضخمة، تطلبت عمليات تسوية وملء ضخمة، فوق موقع قرية سابقة. كانت المنصة مُحاطة بسور مدهش، مع غرف ربما كانت تستخدم للتخزين. وشُيدت هياكل متخصصة ومتقنة أخرى داخل المنطقة الكبيرة المحاطة بالأسوار كان أبرزها هو القصر المبني بشكل جميل من كتل الحجارة، وهو أكبر مبنى أكتشف على الإطلاق في العصر الحديدي في فلسطين. كان هذا المجمع المهيب - وغيره من المجمعات المشابهة التي بُنيت في مواقع مختارة في جميع أنحاء الوديان الشمالية - خَدم على حد سواء كمراكز إدارية ونُصب مدهشة تهدف إلى استعراض قوة من يسكنها.

من الناحية الأنثروبولوجية، فما كان يحدث واضح: كان مجتمع التلال الشمالية يمر بتحول من ثقافة القرية المشتتة إلى النظام المركزي لدولة تامة النضج.

وعندما نقول "دولة تامة النضج"، يجب أن نكون محددين؛ ففي وقت سابق، وصفنا يهوذا القرن العاشر قبل الميلاد بأنها "مشيخة"، أي شبكة فضفاضة من المجتمعات المتساوية إلى حد ما (سواء المستقرة أو الرعوية) المرتبطة بتحالف شعائري إلى حد كبير من رجل قوي أو زعيم وعائلته. واقتصرت سلطة الزعيم على التعامل مع الشعوب المجاورة، وحشد القوات المحلية لمواجهة التهديدات والتوغلات

المحلية، وتنمية تحالفات القرابة في المشيخة نفسها والحفاظ عليها. وكانت القدرة الاقتصادية والعسكرية للمشيخة محدودة للغاية؛ وكان مفتاح بقائها هو الاستقرار. ويبدو أن هذا كان هو الوضع البدائي مع إنشاء أقدم قرى العصر الحديدي في الشمال أيضًا. ولكن عندما نما عدد السكان وتوسع في مناطق جديدة - متخصصة في بعض المحاصيل والمنتجات الحيوانية - أصبحت التبادلات معقدة بشكل متزايد.

كانت مقايضة الحبوب بالزيتون، والصوف بالحبوب والنبيذ، يتطلب منشئات دائمة للإدارة والتخزين؛ وهكذا ظهرت المراكز الإقليمية. وكانت المرحلة الأخيرة في هذا التحول هي إنشاء دولة - أو "مملكة" - لفرض نظام مركزي للسيطرة. وفقط على هذا المستوى من التنظيم تكون الجيوش المحترفة الكبيرة، والفتوحات الأجنبية، ومشاريع البناء واسعة النطاق ممكنة، وذلك بسبب وجود نواة متخصصة من مسؤولي الدولة والعمال، الذين يُعيلهم فائض ثروات المنطقة الزراعي والتجاري، وهو نظام ذو قوة كبيرة وعليه التزامات كثيرة من سكانه.

هذه هي بالضبط التطورات التي يمكننا رؤيتها في الأدلة الآثارية التي تشير إلى ظهور مركز في السامرة في أوائل القرن التاسع قبل الميلاد. ولأول مرة، يمكننا ربط الأدلة الآثارية بشخصيات كتابية يمكن تحديدها: سلالة بيت عمري في مملكة إسرائيل، التي حكمت، وفقًا للتسلسل الزمني التوراتي والشرق الأدنى القديم، ما بين عامي 884 و842 ق.م، بعد عدة أجيال من العصر المحدد لداود وسليمان.

ووفقاً لما جاء في سفر الملوك الأول: 16: 15-24، وصل عمري، مؤسس السلالة، إلى السلطة في انقلاب عسكري وأنشأ عاصمته على تل السامرة، والتي حكم منها هو وابنه اخآب مملكة واسعة. ولدينا شهادات داعمة من مصادر خارجية مستقلة تؤكد الخطوط العريضة الرئيسية لهذه الرواية التوراتية. دُعم هذا التقرير من خلال عدد من النقوش المعاصرة - وهي أقدم السجلات خارج التوراة التي تم اكتشافها

على الإطلاق لتوثيق وجود الشخصيات التوراتية بشكل مباشر.

فيشير الآشوريون بالفعل إلى المملكة الشمالية باسم "بيت عمري"، مما يؤكد شهادة التوراة بأنه مؤسس السلالة والعاصمة. وفي النقش الحجري للملك الآشوري شلمانصر الثالث، نقرأ عن تحالف كبير من الممالك التي واجهت الجيوش الآشورية في معركة قرقر على نهر العاصي في سوريا عام 853 ق.م. وكان أحد أقوى المشاركين في هذا التحالف حاكمًا يُشار إليه باسم "اخآب الإسرائيلي"، الذي ساهم بألفي عربة وعشرة آلاف جندي راجل في القوة المناهضة للآشوريين. وحتى لو كان هذا النص الملكي مبالغًا فيه كالعادة، فإنه ما يزال يقترح نطاقًا جديدًا تمامًا من القوة العسكرية التي تمتلكها مملكة إسرائيل. ويبدو أن بيت عمري، في ذروة قوتهم، قد وسعوا انتشارهم شرقًا إلى شرق الأردن وشمالًا إلى سوريا أيضًا.

لقد اكتشف نقش ميشع الشهير، المنقوش على نصب حجري أسود، في القرن التاسع عشر في دبون (ذيبان)، عاصمة موآب القديمة (جنوب شرق الأردن). ويسجل النص أن "عمري ملك إسرائيل أذل موآب أيامًا كثيرة". ويذكر أن الاحتلال الإسرائيلي للمنطقة استمر حتى عهد ابن عمري، وشمل بناء معقلين جديدين في الأراضي الموآبية. علاوة على ذلك، أشير إلى توسع بيت عمري في سوريا في نقش تل دان، حيث يذكر حزائيل، ملك آرام دمشق، أن إسرائيل احتلت سابقًا أجزاء من أرضه.(1) وبالتالي يمكننا التعرف، من المنظورين الآثاري والتاريخي، على ظهور أول مملكة حقيقية لإسرائيل في أوائل القرن التاسع قبل الميلاد. فهل من قبيل المصادفة أن النضال (الآل عمري) من أجل السلطة المركزية، ومشاريع البناء الفخمة، وبلاطه الملكي، وجيشه المحترف المتقدم، وغزواته الأجنبية الكاسحة في شرق الأردن وسوريا، كلها أمور تذكرنا بالمشهد المسرحي الذي لا يُنسى في كتاب داود "تاريخ البلاط"؟

---

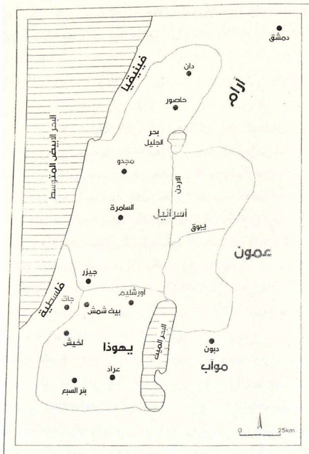
(1) تمت مناقشة أهمية نقش تل دان وذكره لـ "بيت داود" في الملحق الأول.

بزوغ يهوذا

في النصف الأول من القرن التاسع قبل الميلاد، كانت إسرائيل واحدة من أقوى الدول في المنطقة. والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن على الفور هو: إذا كان بيت عمري استخدموا قوتهم العسكرية للتوسع في الشمال الشرقي والشرق، فلماذا لم يتوسعوا نحو الجنوب، في اتجاه يهوذا؟ إن السرد التوراتي، مع وصفه لقوة وهيبة مملكة داود وسليمان العظيمة، يُصور الصراع اللاحق بين الشمال والجنوب باعتبارهما ندين.

ولكن كما رأينا، فإن الأدلة على وجود أي إمبراطورية عظيمة في عهد داود غير متوفرة على الإطلاق، كل ما يمكننا قوله هو أن الحياة المادية استمرت كما كانت من قبل، واستمرت السلالة الحاكمة في أورشليم دون انقطاع بعد وفاة داود. لقد أدرج سليمان ورحبعام وأبيام وآسا في سفر الملوك كخلفاء لداود وليس لدينا أي دليل مستقل يؤكد هذا التسلسل أو يدحضه. ولكن كان هناك شيء آخر يحدث - يشير إليه التوراة ضمنًا، وتقترحه الأدلة الآثارية بوضوح - فبحلول زمن حفيد حفيد داود يهوشافاط (الذي حكم وفق التسلسل الزمني التوراتي من سنة 870 إلى سنة 846 ق. م)، يبدو أن يهوذا أصبحت تابعة فعليًا لمملكة إسرائيل.

وتخبرنا التوراة أن يهوشافاط، الذي كان معاصرا لاخآب، قدم القوة البشرية والخيول لحروب المملكة الشمالية ضد الآراميين. وقد عزز علاقته مع المملكة الشمالية من خلال ترتيب زواج دبلوماسي: فتزوجت الأميرة الإسرائيلية عثليا، أخت أو بنت الملك اخآب، من يهورام بن يهوشافاط (2 مل 8: 18). فأصبح بيت داود في أورشليم الآن مرتبطًا بشكل مباشر (ويسيطر عليهم على ما يبدو) مع ملوك السامرة الإسرائيليين. وفي الواقع، قد نفترض أن هذا يُمثل استيلاء الشمال على يهوذا عن طريق المصاهرة. وهكذا، ففي القرن التاسع قبل الميلاد - ما يقرب من قرن بعد العصر المفترض لداود - يمكننا أخيرًا أن نشير إلى الوجود التاريخي لمملكة إسرائيل



إسرائيل ويهوذا في القرن التاسع قبل الميلاد

الموحدة العظيمة، الممتدة من دان في الشمال إلى بئر السبع في الجنوب، مع وجود عدد كبير من الأراضي المحتلة في سوريا وشرق الأردن. لكن هذه المملكة الموحدة - مملكة موحدة حقيقية - كانت تحكمها مملكة بيت عمري، وليس آل داود، وكانت عاصمتها السامرة، وليست أورشليم.

في هذا الوقت بالتحديد ظهرت العلامات الآثارية الأولى لتشكيل الدولة في يهوذا. كشفت التنقيبات الآثارية أن عدد القرى الزراعية المتفرقة (رغم أنها ما تزال ضئيلة) كان يتزايد باطراد. ففي السهول اليهوذائية، أنشئت لأول مرة في القرن التاسع قبل الميلاد مراكز دائمة للإدارة، تسيطر على مناطق محددة أو جوانب متخصصة من الاقتصاد، في أراضي شفيلة الغنية بزراعة الحبوب في الغرب - سلة الخبز التقليدية ليهوذا - وبُنيت قلعتان مدهشتان، ما تطلب قدر كبير من تنظيم العمل، وكانتا أكثر روعة في المظهر من أي مستوطنات سابقة في تلك المنطقة في العصر الحديدي المبكر. وفي لخيش، كشفت التنقيبات التي أجراها علماء الآثار البريطانيون في الثلاثينيات والبعثة اللاحقة التي أدارها ديفيد أوسيشكين David Ussishkin عن منصة ضخمة تدعم مُجمّعًا مُحصنًا يحتوي على مخازن وقصر؛ وفي بيت شمش، أبعد قليلًا إلى الشمال، أكتشف مؤخراً دليل على جهود بناء ضخمة أخرى بواسطة فريق جامعة تل أبيب برئاسة شلومو بونيموفيتز Shlomo Eunimovitz وزفي ليدرمان Zvi Lederman. يتضمن نظامًا من التحصينات الضخمة ونظامًا متقنًا للمياه الجوفية من شأنه أن يمكّن سكان هذا الموقع المهم - في وادي سورك (الصرار) الغني - من الصمود في وجه الحصار الطويل.

والأكثر دلالة من ذلك هو الظهور المفاجئ للأدلة على الإدارة المركزية في وادي بئر السبع، الذي كان لقرون عديدة الطريق النشط للتجارة البرية بين شرق الأردن وساحل البحر الأبيض المتوسط. ففي كل من عراد، على الطرف الشرقي من الوادي وتل بئر السبع في الغرب، بُنيت حصون دائمة في القرن التاسع قبل الميلاد. ويبدو أنها كانت تمثل

محاولة للسيطرة على طرق التجارة التي تمر عبر وادي بئر السبع ولحماية المناطق الحدودية الجنوبية للمملكة. فهل حقق ذلك ملوك يهوذا تحت رعاية العمريين؟ إن القصة (في 1 مل 22: 48-49) عن محاولة يهوشافاط الانخراط في التجارة الجنوبية بمساعدة المملكة الشمالية، حتى لو كانت مبالغ فيها إلى حد كبير وجرى الخلط بينها وبين الجهود التجارية اللاحقة في البحر الأحمر، قد تمثل صدى غامضًا لهذه الحقبة.

ماذا عن أورشليم؟ هنا أيضًا، يبدو أن العلامات الأولى للبناء المتقن ظهرت في القرن التاسع قبل الميلاد. فعلى الرغم من أن تاريخ الهيكل الحجري المدرج الشهير كان موضع خلاف منذ مدة طويلة، فمن الواضح أنه كان الداعم للهيكل الذي كان يجب أن يكون أكثر تفصيلاً وإبهارًا من المباني السابقة على الحافة الجنوبية للمدينة. لقد تضمن الفحص الدقيق الذي أجرته عالمة الآثار الهولندية مارغريت شتاينر Margreet Steiner للقطع الفخارية القابلة للتأرخة التي التقطت من غطاء الهيكل الحجري المدرج أنواعًا حمراء ملساء ومصقولة تعود إلى القرن التاسع قبل الميلاد.

وربما عُثر على دليل مهم لطبيعة المبنى الذي كان يقف في الأصل على قمة الهيكل الحجري المدرج - وطُمس بسبب الاشغالات اللاحقة - في مكان قريب إلى الشمال. وفي خمسينيات القرن الماضي، كشفت عالمة الآثار البريطانية كاثلين كينيون Kathleen Kenyon عن كومة من كتل الحجارة هناك، بما في ذلك تاج جميل مما قبل الأيولكية proto Aeolic، وهو سمة من سمات الديكور المعماري المميز في المجمع الملكي في السامرة، عاصمة المملكة الشمالية. وعُثر على هذه الكتل عند سفح الهيكل الحجري المدرج، فربما انهارت من مبنى كان يقف على المنصة في أعلى المنحدر. وفي الواقع، اقترح ديفيد أوسيشكين أن مجمعًا حكوميًا يشبه ما في السامرة، والذي يضم قصرًا ومعبدًا، قد بُني على جبل الهيكل في أورشليم في القرن التاسع قبل الميلاد. وعلى غرار

السامرة، لا بد أنه شهدت عمليات تمهيد واسعة النطاق وخاصة بالردم من أجل إنشاء منصة مسطحة للحي الملكي، محاطة بسور مُزغل.[1]

لسوء الحظ، لا يمكن تأكيد هذه الفرضية من الناحية الآثارية، حيث أن المنصة الهيرودية الضخمة للهيكل الثاني التي بنيت في الحقبة الرومانية قد قضت بالكامل أو طمست أي علامة على الهياكل السابقة على جبل الهيكل. ومع ذلك، يبقى ثمة احتمال مثير للاهتمام يقول بأن سيطرة المملكة الشمالية على بيت يهوذا الملكي قد عُبّر عنها في أورشليم من خلال التقليد المعماري - مع بناء مجمع ملكي متقن على جبل الهيكل، على نموذج أكروبوليس السامرة.

وهكذا، ومن خلال الأدلة الآثارية والتاريخية، فمن المرجح أن الهياكل والمؤسسات الأولى للدولة ظهرت في يهوذا في القرن التاسع، على الأرجح تحت تأثير المؤسسات الملكية الأكثر تطورًا في الشمال. ووفقًا للكتاب المقدس، فإن زواج الملك الداودي يهورام من الأميرة عثليا أنتج وريثًا ملكيًا يُدعى أخزيا، كان نتاج السلالتين الملكيتين. ومع ارتقاء أخزيا على العرش - بل والأكثر من ذلك بعد وفاته، عندما قضت عثليا على ورثة داود الباقين على قيد الحياة وحكمت في أورشليم وحدها كملكة أم (2 مل 11) - كان النبلاء الإسرائيليون أكثر ترابطًا من أي وقت مضى، مما يمثل ما كان يجب أن يكون من الناحية الوظيفية نظامًا سياسيًا واحدًا، تهيمن عليه السامرة.

وعلى الرغم من ادعاء بعض علماء التوراة بأن «تاريخ البلاط» لداود كتبه داود في أورشليم في القرن العاشر أو "مدّاحو" سليمان الشخصيين، فسنرى قريبًا أن العالم الموصوف في القصص التوراتية عن غزوات داود وسياسات بلاطه يستحضر بشكل أكثر دقة المشهد

(1) إلا أن هذا لا يشير إلى أن الهيكل والقصر الأكثر تواضعًا اللذين بناهما زعماء التلال الأوائل في يهوذا لم يكن قائمًا هناك من قبل. المؤلفان

السور المزغل هو السور الذي يحوي على مزاغل ، وهي فتحات تتيح للمدافعين اطلاق سهامهم أو نيرانهم على المهاجمين خارج السور. المترجم

الاجتماعي والسياسي في عصر عمري وأزمنة ما بعد عمري في القرن التاسع قبل الميلاد. لقد غيّرت هذه القصص، في حيويتها ووفرة تفاصيلها، من صورة داود بشكل عميق. فلماذا جرى ذلك؟

إعادة تشكيل الماضي

في دراسة مفصلة للقصص التوراتية عن زوجتي داود بَتشابَعَ وميكال، والملكة عثليا اللاحقة، أكد عالم التوراة الألماني أكسل كناوف Axel Knauf على أهمية فن رواية القصص في الحياة الداخلية للبلاط اليهودي، وأشار إلى أن الأعياد والتجمعات الرسمية كانت مناسبات مهمة للتفاعل الاجتماعي والسياسي بين الأسرة الحاكمة وانسبائها، فلقد أتاحت لهم فرصة للتباهي والنقد والمنافسة، والتي جرى التعبير عنها في القصص والأساطير والحكايات الشعبية. لقد افترضنا بالفعل أن القصص الأولى عن داود باعتباره خارجًا على القانون كانت نتاج حِرص أتباعه على الاحتفاء بشجاعة ومكر رئيسهم. لقد افترضنا أيضًا أن الحلقة المتشابكة من قصص داود وشاول كانت تعبير عن هجوم مضاد خيالي من قبل أنصار داود ضد الاتهامات الدامغة بالخيانة من قبل أنصار شاول الساقط. ولكن في "تاريخ البلاط" والفصول الأخرى في سفر صموئيل الثاني هناك قصة أخرى من نوع مختلف تمامًا. تدور قصصها حول سياسات البلاط، والمنافسات الملكية، والانتفاضات الداخلية، والفتوحات الأجنبية، والتي يتم عرضها على مسرح غرف النوم الملكية وغرف العرش[1]، وفي معارك ضارية بين الجيوش الملكية المجهزة بوحدات متخصصة من المشاة وسلاح الفرسان والعربات الحربية.

---

(1) أكد كناوف Knauf بشكل خاص على الدور المركزي الذي لعبته بلاطات الشرق الأدنى القديمة من خلال القصص التي تعبر عن وجهة نظر الملكة الأم، التي كان التحدي السياسي الرئيسي لها هو الحفاظ على أولوية خطها في الصراع من أجل خلافة العرش.

يروي مقطع توراتي أنه وبعد تطهير منطقة أورشليم من الفلسطة وتأمين حكمه في عاصمته، أمر داود بإحضار تابوت العهد المقدس إلى أورشليم في موكب بهيج احتفالًا بتأسيس نواة الأمة الأبدية.[1] لكن سلوك داود الجامح والمنتشي على رأس المحتفين - وهو " يقفِزُ ويرقصُ أمامَ الرّبِّ" (2 صم 6: 16) - كشف عن سلوكه الفظ وأثار غضب زوجته الملكية ميكال، ابنة الملك شاول. وكما أشار كناوف، فإن قصة توبيخ ميكال القاسي لداود الراقص انتهت بالعبارة المبهمة "ولم تَلِدْ ميكالُ ابنَةُ شاول ولدًا إلى يومِ وفاتِها." (2 صم 6: 23) - وهي سخرية كلاسيكية من السلالة الحاكمة؛ توضح سبب انقراض الخط الشاولي في أورشليم.

ومع ذلك، فإن كلمات ميكال الأرستقراطية الساخرة لداود - " كم كانَ مَلِكُ إسرائيل وَقورًا اليومَ، حينَ تَعرَّى أمامَ جواري رِجالِه كما يتَعرَّى السُّفهاءُ". (2 صم 6: 20) - يصعب تصورها في سياق مشيخة ريفية في التلال حيث يجب التأكيد على الروابط الاجتماعية، وليس الاختلافات الاجتماعية. هل كانت هناك امرأة حقيقية اسمها ميكال، ابنة شاول، التي كانت متزوجة من داود التاريخي؟ ربما لا نعرف أبدًا. ولكن يمكننا أن نكون مطمئنين إذا افترضنا أن القصة لم تأخذ شكلها الحالي - وبالتأكيد معناها - قبل ظهور طبقة أرستقراطية واعية طبقيًا في أورشليم.

وبالمثل، فإن قصة الحب المعقدة بين داود وبَتشابَعَ لا يكون لها أي معنى خارج أجواء البلاط الواضحة. ففي خضم القتال العنيف ضد مملكة عمون المجاورة، يصف السرد التوراتي كيف وقع الملك داود، الذي بقي في قصره في أورشليم، في شرك شهوته.

وعِندَ المَساءِ قامَ داود عَنْ سريرِهِ وتمشَّى على سطحِ القصرِ، فرأى على السَّطحِ امرأةً تَستحِمُّ وكانَت جميلةً جدًّا. فسألَ عَنها، فقيلَ لَه: «هذِهِ بَتشابَعُ بنتُ أليعامَ، زوجَةُ أوريَّا الحِثِّيِّ». فأرسَلَ إليها رُسُلًا عادوا بها

(1) وهو وارد في الفصل الأخير مما يصفه العلماء بـ "رواية التابوت"، قصة تجول التابوت من شيلوه إلى السبي في مدن الفلسطة، والعودة إلى قرية يعاريم وأخيراً أورشليم - 1 صم : 6-7: 1؛ 2 صم : 6.

وكانَت اغتَسلت وتَطهَّرت، فدخَلَ علَيها ونامَ معَها، ثُمَّ رجعت إلى بَيتِها. وحينَ أحسَّت أنَّها حُبلى أعلَمتهُ بذلِكَ.. (2 صم 11 : 2-5)

كان أوريا، زوج المرأة، يخوض معركة شرسة للسيطرة على ربة، عاصمة عمون. فاستدعاه داود على الفور إلى أورشليم، لكن كل محاولاته لإقناع الجندي الصالح أوريا بالنوم مع زوجته بَتشابَعَ (وبالتالي توفير غطاء لحملها الحرام)، باءت بالفشل. وفي فعل اتسم بانعدام الشعور من شأنه أن يلقي بظلاله إلى الأبد على سمعة داود، يُرسل أوريا إلى الجبهة مع رسالة إلى قائده يوآب ، يأمره فيها بأن «وجِّهوا أوريَّا إلى حيثُ يكونُ القِتالُ شديدا، وأرجعوا مِنْ ورائِه فيَضرِبَهُ العَدوُّ ويموتُ» (2 صم 11: 15). وفي القتال المرير تحت أسوار ربة، يهلك أوريا، وبعد مدة قصيرة من الحداد أصبحت بَتشابَعَ الجميلة زوجة لداود. ولكن سرعان ما يواجه داود عواقب أفعاله. فقد وبخه النبي ناثان، فندم بمرارة على أفعاله وشاهد بلا حول ولا قوة الطفل المولود من بَتشابَعَ يموت. كان هذا الانقلاب في الحظ بمثابة حادثة عابرة، إذ «وعزَّى داود بَتشابَعَ زوجَتَهُ ودخَلَ علَيها ونامَ معَها، فولَدَتِ ابنا سَمَّاهُ سليمان» (2 صم 12: 24).

كل تفاصيل القصة -بدءًا من تجسس الملك على الجميلة المستحمة من سطح قصره، وحتى الرسائل التي أرسلها بيد رسوله من القصر الملكي، وحتى وفاة الزوج المخدوع في الحصار الشرس على مدينة ربة شديدة التحصين، عاصمة عمون - مأخوذة من نوع المشاهد والأحداث الحياة الملكية التي لم تظهر إلا في القرن التاسع قبل الميلاد. ونحن لا نعرف ما إذا كان داود قد أقام بالفعل علاقة غرامية مع امرأة تدعى بَتشابَعَ، ولكن قصة توبة داود عن خطيئته وكيف نجح سليمان الابن الأكبر لبَتشابَعَ؛ في خلافة أبيه على العرش، كانت كما لاحظ عديد من

العلماء، تأكيد سياسي قوي يضفي الشرعية على نسل سليمان.[1] وتجري مناقشة هذه الشرعية في إطار مفصل وواقعي لا يمكن أن يتعرف عليه إلا أولئك الذين كانوا على دراية بحياة البلاط الملكي والإجراءات الميدانية لجيش دائم ومحترف. وكذلك الحال أيضًا، في القصة المأساوية لتمرد أبشالوم فأنها تعتمد بشكل كبير على أخلاق وآداب البلاط الملكي. فتروي التوراة أنه على الرغم من الثروة العظيمة، والانتصارات العسكرية المذهلة، والجيوش الهائلة من العمال الملكيين المجندين، فإن كل شيء ليس على ما يرام في الدوائر المغلقة لبلاط داود. فتبدأ المنافسات بين الأمراء، ويطلق اغتصاب ثامار، ابنة داود، على يد ابنه الأكبر المتهور، أمنون، سلسلة من الأحداث التي تكشف عن ضعف داود المتزايد، إن لم يكن كملك، فهو كرجل غاضب من الجريمة، فيقتل أبشالوم، شقيق ثامار، أمنون ويهرب شمالًا ليقضي سنوات في المنفى مع الآراميين. وعند عودته إلى أورشليم يُخطط لمؤامرة للإطاحة بحكم والده الصارم بشكل متزايد. أما داود، الذي أصبح ضعيفًا عاطفيًا، فيضطر إلى الفرار من أورشليم حفاظًا على حياته. قُمع التمرد أخيرًا، وعاد داود إلى عاصمته، وطاردت قوات داود أبشالوم وقتلته. ومع ذلك، فإن هذا النصر هو في الوقت نفسه أعظم كارثة شخصية لداود. وعندما علم بموت أبشالوم، صاح: "يا ابني أبشالوم، يا ابني أبشالوم. ليتَني مُتُّ بدلا مِنكَ يا أبشالوم ابني، يا ابني". (2 صم 18: 33).

إن التنافس المميت بين الأمراء والصراع وانشقاق المستشارين الملكيين الموثوقين، كلها تنم عن خلفية اجتماعية أكثر تعقيدًا بكثير مما كان واضحًا في أورشليم في القرن العاشر قبل الميلاد. وهناك عديد من

(1) فسر باروخ هالبيرن Baruch Halpern، ، هذه القصة على أنها عمل دعائي متطور من قبل أنصار سليمان، يهدف إلى مواجهة الشائعات القائلة بأنه ليس ابن داود، وبالتالي ليس من دم داود الملكي. يمكننا القول أنه حتى لو كانت القصة قديمة، فإنها اتخذت شكلها الحالي فقط في وقت لاحق من تاريخ يهوذا.

الأمثلة الأخرى منها: قيام حيرام ملك صور بتوفير لوازم البناء لقصر داود (2 صم 5: 11)؛ والزواج الدبلوماسي لداود من ابنة ملك جشور (2 صم 3: 3)؛ وإغداق داود إقطاعية زراعية لحفيد شاول الباقي، مفيبوشث المُقعد (2 صم 9)؛ ووضع داود حاميات في أراضي آرام دمشق وأدوم في جنوب شرق الأردن (2 صم 8: 6، 14)؛ والإحصاء الملكي التفصيلي الذي أجراه يوآب لأراضي داود البعيدة (2 صم 24: 1-9). فكل هذه التفاصيل الحية تبدو في غير محلها بالنسبة للسياق الذي كان سيعرفه داود التاريخي، حاكم مشيخة متواضعة في التلال الجنوبية.

المزيد من الأدلة الجغرافية

لكن لماذا يرجع تاريخ هذه الأوصاف الفخمة إلى القرن التاسع على وجه التحديد وليس إلى وقت لاحق؟ الجواب في هذه الحالة يكمن مرة أخرى في الجغرافيا. خذ مملكة جشور كمثال، وهي مذكورة كحليف لداود (2 صم 3: 3) وكمكان لجأ إليه أبشالوم (ابن زوجة داود الجشورية) بعد مقتل امنون. فيظهر جشور في هذه النصوص التوراتية لكنه لم يرد ذكره في السجلات الآشورية في القرن الثامن قبل الميلاد. ربما كان موقع بيت صيدا الكبير والمحصن على الشاطئ الشمالي الشرقي لبحيرة طبرية هي عاصمته التي تأسست في القرن التاسع وتظهر في البداية ثقافة مادية آرامية واضحة، بينما في القرن الثامن قبل الميلاد، عندما غزتها المملكة الشمالية ربما، انتهى طابعها الآرامي. وبالتالي فإن الترتيب الزمني المنطقي الوحيد لقصة ما في أرض جشور هو في القرن التاسع قبل الميلاد. ويقدم وصف نطاق الإحصاء الذي أجراه يوآب في نهاية حكم داود دليلاً جغرافيًا إضافيًا يعود إلى القرن التاسع:

فخرَجوا مِنْ عندِهِ ليَعُدُّوا بَني إسرائيل. فعَبَروا الأردن ونَزَلوا بِعروعير، عَنْ يَمينِ المدينةِ، وهوَ في وسَطِ وادي جادَ وتُجاهَ يَعزيرَ. وأتَوا إلى جلعادَ و إلى قادِشَ في أرضِ الحِثِّيِّينَ، ثُمَّ إلى دان ومِنها إلى صيدونَ. وجاؤوا إلى

حصنِ صور وجميعِ مُدُنِ الحوِّيِّينَ والكنعانيِّينَ، ثُمَّ خرَجوا إلى بئرِ سبع في جنوبِ يهوذا. (2 صم 24: 4-7)

ووفقًا لهذا الوصف، شملت مملكة داود جميع التلال الوسطى بالإضافة إلى هضبة شرق الأردن من عروعير في الجنوب إلى الجولان في الشمال. تقع عروعير على الجرف الشمالي للوادي العميق لنهر آمون في موآب، والحقيقة التاريخية الوحيدة الممكنة لذكر هذا المكان هي غزوات بيت عمري في موآب. ويبدو أن جازر وجلعاد يشيران إلى المناطق الشمالية من شرق الأردن. وإلى الغرب من نهر الأردن تمتد الحدود الشمالية من دان إلى حدود المدينتين الفينيقيتين صور وصبيدا. وفي الجنوب تمتد إلى وادي بئر سبع، حيث لا يظهر أول دليل على السيطرة الملكية إلا في القرن التاسع. وقد جادل بعض الباحثين المعتدلين بأن هذا الوصف لحدود الدولة الداودية هو خلق متأخر وخيالي تمامًا، ومع ذلك فهو يتتبع بشكل غريب الأراضي المشتركة لمملكتي إسرائيل ويهوذا الناشئة معًا، في الوقت الذي كانت فيه خطيهما الملكيان على الأقل قد دمجًا مؤقتًا.

وهذا هو الحال أيضًا مع الروايات التوراتية عن انتصارات داود العسكرية العظيمة ضد القوى المجاورة، والمفصلة في سفر صموئيل الثاني في الإصحاحات 8، 10، و12. فموآب هي أول غزو أجنبي، وهو بمثابة ظلال سابقة لفتوحات العمريين في المنطقة نفسها :

وتغلَّبَ على الموآبيِّينَ ومدَّدَ أسراهُم على الأرضِ وقاسَهُم بالحَبلِ. فقَتلَ منهُم ثُلثَينِ وأبقى على الثُّلثِ، وصارَ الموآبيُّونَ عبيدًا لَه يُؤدُّونَ الجزيَةَ. (2 صم 8: 2)

وبعد ذلك تأتي الحرب مع أرامي سوريا في الشمال:

وتغَلَّبَ داود على هددَعزَرَ بنِ رحوبَ ملِكِ صوبَةَ الّذي كانَ ذاهبًا ليَستَرِدَّ سُلطَتَهُ على نهرِ الفرات. وأخذَ مِنهُ ألفًا وسبعَ مئةِ فارسٍ وعشرينَ ألفًا مِنَ المُشاةِ وقطَعَ مفاصِلَ أرجُلِ خَيلِ جميعِ المركباتِ وأبقى مِنها ما

يكفي لمِئةِ مركبةٍ. فجاءَ الآراميُّونَ مِنْ دمشق لنَجدَةِ هددَعزَرَ مَلِكِ صوبَةَ، فقتلَ داود مِنهُم اثنين وعشرينَ ألفَ رجُلٍ، وأقامَ حُكَّامًا علَيهِم، فصارَ الآراميُّونَ عبيدًا لَه يُؤدُّونَ الجِزيَةَ. (2 صم 8 : 3-6).

وبالإضافة إلى ذكر القوات الضخمة من المركبات والمشاة التي تذكر بوحدات اخآب في معركة قرقر سنة 853 ق.م، فإن المنظور العام يعود إلى القرن التاسع، كما لاحظ المؤرخ التوراتي نداف نعمان Nadav Naaman . فبداية، تصف القصص الدول الآرامية، التي لم يدم وجودها المستقل طويلاً، وانتهت بضمها إلى الإمبراطورية الآشورية في القرن الثامن قبل الميلاد. إن تلك الدول المذكورة في القصة، باستثناء دمشق، مفقودة من سجلات القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد. والأهم من ذلك، أن هذه هي المناطق التي جرى الاقتتال عليها والسيطرة عليها جزئيًا على الأقل من قبل بيت عمري في ذروة قوتهم في منتصف القرن التاسع قبل الميلاد. وأخيرًا، الشخصية الرئيسية في القصة، هددعزر Hadadezer، يتوافق مع الاسم الآرامي أداد إدري Adad-idri، الذي كان ملك دمشق في منتصف القرن التاسع قبل الميلاد. فيظهر أداد-إدري في النصب المنقوش لشلمانصر الثالث كواحد من الشخصيات البارزة في تحالف الدول الشرقية التي واجهت الآشوريين في قرقر. وهناك ملك قوي آخر في ذلك التحالف، كما ذكرنا سابقًا، وهو اخآب الإسرائيلي.

وهكذا يقدم "تاريخ البلاط" لداود سلسلة كاملة من الاحداث التاريخية القهقرائية التي يُنسب الفضل فيها في الانتصارات والاستحوَاذ على الأراضي التي أنجزها في الواقع عمري في القرن التاسع إلى مؤسس سلالة يهوذا في القرن العاشر. ولكن لماذا يُصمم مؤلف يهودي نموذجًا لإنجازات الأب المؤسس لمملكته على شاكلة حروب مملكة إسرائيل العمرية اللاحقة؟

كما تبين، كان للتصاهر بين بيت عمري وآل داود نهاية عنيفة وغير سعيدة هددت - على الأقل لمدة وجيزة - بقاء السلالة الداودية. فبحلول منتصف القرن التاسع قبل الميلاد، كانت ذروة مملكة عمري قد انتهت بالفعل. كانت ممتلكاتها الإمبراطورية تتساقط واحدة تلو الأخرى. بحلول هذا الوقت، سيكون هناك ما يكفي من المصادر التاريخية الخارجية التي يمكننا، مع الحذر الواجب، من تأكيد الخطوط التاريخية الرئيسية للروايات التوراتية على الأقل. يسجل نقش ميشع و (2 مل 3: 5) انتفاضة مسلحة في موآب أطاحت بمملكة إسرائيل من سيطرتها بعد وفاة اخآب. تم توثيق الضربة الكبرى في نقش تل دان (الموصوف في الملحق 1) - وهو أقدم دليل غير توراتي على اسم داود[(1)]

- والذي يؤكد هزيمة بيت عمري على يد حزائيل، ملك دمشق. مع اختلاف الظروف والتفاصيل عن الرواية التوراتية في (2 مل 9) ، فهي تتحدث عن مقتل الملك اليهودي أخزيا ومعاصره الأقوى، الملك الإسرائيلي يهورام. وقد توفر طبقات الدمار في عديد من المواقع في الشمال دليلاً قاتماً على الهجوم الآرامي اللاحق. أما داخل المملكة الشمالية نفسها، فقد ظهر مطالب جديد بالعرش، وهو قائد الجيش ياهو (الذي يظهر اسمه أيضًا في السجلات الآشورية المعاصرة)، ليطرد ويبيد الأعضاء الباقين على قيد الحياة من خط عمري.

---

(1) شكك كثير من الاختصاصين في صحة هذه النقوش أثرياً، من مثل G. Garbini و F. H. Cryer و N. P. Lemche خصوصاً بعد افتضاح أمر «نقش يواش» (أو يهوآش) المزور، والغريب أن هذه الكتابات لا تفيد إلا في تأكيد تاريخية بيت داود! أما الروايات التناخية المتناقضة حول مملكة آرام دمشق فلم تفيد الكتابات في استجلائها.

1. حسب قراءة واستبناء A. Biran و J. Naveh فإن صاحب النص هو «حزه إل» ملك دمشق الذي خلّد انتصاره حسب الرواية التناخية على «يهورام بن آحاب» ملك «يسرال» و«احزيا بن يهورم» ملك «يهوده».
2. حسب J. W. Wesselius فإن صاحب النص هو «يهوا» ملك «يسرال» الذي استولى على المُلك من «يورم» آخر ملوك أسرة «عمري»
3. حسب Gershon Gali صاحب النص هو ملك دمشق «بن هدد بن حزه إل». المترجم

ماذا حدث في يهوذا بعد مهاجمة إسرائيل؟ وفقاً لسفر الملوك الثاني 11، اتخذت الأمور في أورشليم منعطفًا عنيفًا. فقد استولت الملكة الأم، عثليا - الأميرة من آل عمري التي أرسلت إلى الجنوب في زواج دبلوماسي - على السلطة. ولضمان موقفها ضد أخطر منافسيها المحليين، أمرت بقتل جميع ورثة داود الباقين على قيد الحياة. ليس لدينا أي دليل مستقل على الموثوقية التاريخية لهذا التقرير. ولكننا نعرف من التطورات التاريخية اللاحقة أن السلالة الداودية ظلت قائمة. تنسب رواية التوراة الفضل في ذلك إلى التفاني والتفكير السريع لأميرة داودية في خضم حمام الدم الذي قامت به عثليا:

لأنَّ يوشَبَعَ عَمَّتَهُ ابنَةَ المَلِكِ يورامَ[1] سرَقَتْهُ مِنْ بَينِ بَني المَلِكِ المَقتولينَ وأخَذَتْهُ، هوَ والمرأة الّتي تُرضِعُهُ، وخَبَّأتْهُ في غُرفةٍ لِلنَّومِ مِنْ وجهِ عثليا. فبَقيَ معَهَا مُختَبِئًا في بَيتِ الرَّبِّ سِتَّ سِنينَ، كانَت في خِلالها عثليا مَلِكةً على البِلادِ. (2 مل 11: 2 - 3).

أخيرًا ينتقم الموالون لبيت داود. فيكشف الكاهن يهوياداع سرًا عن وجود وريث على قيد الحياة من نسل داود لحراس القصر الذين ما زالوا مخلصين في أورشليم، ويقوم بانقلاب مخطط له جيدًا :

وأخرَجَ يوياداعُ ابنَ المَلِكِ وعلى رأسِهِ وضَعَ تاجَ المُلْكِ وقَدَّمَ له البراءَةَ المَلكيَّةَ، ومسَحَهُ مَلِكًا. فصَفَّقَ الشَّعبُ ونادَوا: «يَحيا المَلِكُ». فسَمِعَت عثليا ضوضاءَ الحرَسِ والشَّعبِ، فدَخَلَت على المُحتَشدينَ في هَيكلِ الرّبِّ. فرأتِ المَلِكَ واقِفا على المِنبَرِ كما هيَ العادةُ، والرُّؤساءُ وأصحابُ الأبواقِ إلى جانِبِهِ، وجميعُ النَّاسِ يفرحونَ والبَوَّاقونَ يَنفُخونَ في الأبواقِ فمَزَّقَت ثيابَها وصاحَت: «خيانةٌ، خيانةٌ». ولم يشأْ يوياداعُ الكاهِنُ أنْ تُقتَلَ عثليا في هَيكلِ الرّبِّ، فصاحَ بِقادةِ الجيشِ «أخرِجوها، وكُلُّ مَنْ

---

(1) على الرغم من أن الاسم مكتوب بهذه الطريقة יוֹרָם في النسخة القياسية المنقحة للكتاب المقدس العبري، إلا أن اسمه هو يهورام بشكل صحيح؛ لقد حكم كملك على يهوذا، وفقًا للتسلسل الزمني الكتابي التقليدي، 851-843 قبل الميلاد. وبالمثل، فإن اسم يوآش مكتوب بشكل صحيح "يهواش". (انظر الجدول ص 38- 39)

يَتبَعُها اقتُلوهُ بِالسَّيفِ». فلمّا خرَجَت قبَضوا عليها عِندَ مَدخَلِ الخَيلِ وجاؤوا بِها إلى القَصرِ وقَتَلوها هُناكَ. (2 مل 11 : 12-16)

وهكذا، بحسب التوراة، انتهت حياة آخر العمريين.

أما بالنسبة لياهو، الحاكم الجديد لمملكة إسرائيل المعاد تشكيلها فلم تعد الأمور تسير معه على ما يرام أيضًا، ففي حين واجه الملك اخآب الملك الآشوري شلمانصر بألفي مركبة وعشرة آلاف جندي مشاة، صُوِّر خليفته، الملك ياهو، كمتوسل مثير للشفقة عند قدمي شلمانصر على المسلة السوداء الشهيرة، التي اكتشفت في القرن التاسع عشر في نمرود في العراق. فيسجل نقشها المسماري أن شلمانصر تلقى من تابعه الجديد، من بين أمور أخرى، "فضة، وذهب، وزبدية ذهبية، ومزهرية ذهبية ذات قاع مدبب، وأكواب ذهبية، ودلاء ذهبية، وقصدير، وصولجان للملك.." وعلى النقيض من ذلك، سرعان ما حدثت أحداث مهمة أخرى في شفيلة والتي أتاحت فرصة للتوسع اليهودي هناك. فتقول الرواية الواردة في (مل2 : 12: 17) أنه " في ذلِكَ الوقتِ هاجَمَ حزائيل مَلِكُ آرامَ مدينةً جت واستَولى علَيها". لقد كشفت التنقيبات الآثارية الأخيرة في موقع هذا المركز الفلسطيني القوي، تل الصافي في منطقة شفيلة الغربية، التي قام بها آرين مئير Aren Maeir من جامعة بار إيلان، عن تأكيد مثير لتدمير المدينة التي كانت تهدد قرى يهوذا الغربية منذ القرن العاشر لداود - أيام قُطّاع الطرق -، لقد كانت جت في القرن التاسع مدينة ضخمة تمتد على مساحة حوالي مائة فدان. لقد كانت محاطة بنظام تحصين متطور، أُشعلت النار فيها، ودمرت بالكامل. وعلى الرغم من إعادة إعمارها جزئيًا في النهاية، إلا أن المدينة لم تتعاف تمامًا أبدًا، وعاشت في التراث التوراتي كموطن لجالوت، العملاق الفلسطي، ولسيد داود السابق، الملك أخيش من عصر أسطوري ضارب في القدم.

ولمدة قصيرة في النصف الثاني من القرن التاسع، وجدت يهوذا نفسها

أمام إمكانيات سياسية فتوسعت فجأة. وفي الشمال، أضعفت إسرائيل بشدة من الآراميين؛ وجرى الاستيلاء على أراضيها الشمالية، وضغطت دمشق على ياهو وابنه يهوآحاز؛ فاقتصر حكمهم على التلال المحيطة بالسامرة. وفي الغرب، دمّر حزائيل مدينة جت، أقوى مدينة فلسطية. واستغلت يهوذا هذا الوضع من خلال توسيع المراكز الإدارية في بيت شمش ولخيش. وقد يكون هناك ما هو أكثر من ذلك. فيُخبرنا سفر الملوك الثاني (12: 18) أنه في الحملة نفسها انتزع حزائيل الجزية من يهوآش ملك يهوذا. ويبدو أن ملك دمشق لعب دوراً رئيسياً في تاريخ يهوذا: فهجومه على إسرائيل وتدمير جت خفف الضغط على يهوذا من الشمال والغرب. فهل من الممكن أن يكون كل هذا صدفة؛ أم أن يهوذا عقدت صفقة مع دمشق لتصبح تابعة لها مقابل مساعدتها في محاولتها التحرر من سيطرة بيت عمري؟

لقد أدى التحرر من بيت عمري، وعودة آل داود إلى السلطة، والازدهار الذي تلا ذلك إلى خلق وضع جديد ؛ وهو الوضع الذي انعكس في التطوير المستمر للحكايات الملكية. فقد أصبحت هياكل وعادات الملكية الآن راسخة في أورشليم، وعبّر شعراء البلاط في يهوذا عن استقلالهم الجديد. وأوضحوا أن النظام الملكي الموحد العظيم لإسرائيل ويهوذا - المعروف في وقتهم أنه حُكم من السامرة - كان له في الواقع جذوره في الزمن الأسطوري البعيد لملكهم داود، لقد زعموا أن والدهم المؤسس العظيم كان يتوقع انتصارات عمري اللاحقة ولم يتعرض أبدًا لهزائمهم الساحقة. وقالوا إن داود هزم جميع أعداء إسرائيل اللدودين وأخضعهم بالكامل، وهم الأعداء الذين هَزموا وأذلوا المملكة الشمالية في منتصف القرن التاسع. لقد سحق دمشق، وقتل عديد من الموآبيين، وفتح عاصمة عمون. وفي الحكايات التي رويت في دوائر البلاط - والتي دونت لاحقًا - صور مؤسس سلالة أورشليم بعظمة، هي في الواقع أكبر بكثير من أعظم ملوك الشمال. وتشير قوة هذه القصص ومنطقها إلى أن نسل داود كانوا المتنافسين الوحيدين المستحقين للحكم على مملكة

إسرائيل التي كانت عظيمة ذات يوم.

ربما كانت هناك شخصيات تاريخية من مثل: ميكال، وبَتشابَع، ويوآب، وأبشالوم، الذين ارتبطت حياتهم الشخصية وبقائهم السياسي مع داود التاريخي. وليس لدينا ببساطة طريقة لإعادة بناء الأحداث والصراعات التي قد تكون حدثت داخل الدائرة القريبة من عائلة داود ورفاقه في مشيخته في التلال في القرن العاشر قبل الميلاد. ومع ذلك، فإن "تاريخ البلاط" التوراتي يقدم ملحمة غنية بالتفاصيل، وسلسلة من قصص البلاط التي تستحضر جو المؤسسة الجديدة؛ مملكة آخذة في الارتقاء. حتى بينما كان القرويون في يهوذا ما يزالون يستمتعون بإعادة سرد الحكايات الخام والجاهزة عن داود الخارج على القانون وعصابته من السفاحين، وحتى بينما استمر الحِجاج بين القرويين في بيت إيل وجبعون حول الموت المأساوي لشاول وخلافته بالنسبة لداود، اضيف سياق جديد من القوة والمجد إلى حفنة الذكريات.

كانت الأساطير الجديدة تُنسج - وما تزال شفهيًا - في الأعياد والتجمعات الأسرية للأمراء والأميرات ورجال الحاشية والملكات الأمهات، في البلاط الملكي لبيت داود، لإلهامهم لتحقيق انتصارات مستقبلية مع تذكر الماضي الأسطوري إلى حد كبير. إن حروب الغزو الكبرى وتفاصيل المعارك والمدن المحاصرة وسلاح العربات الهائل لم تكن تاريخاً، بل حقيقة معاصرة. حتى التفاصيل الأكثر حميمية في قصص داود الشخصية تستحضر العلاقات المتبادلة الخطيرة في حياة البلاط الجديدة التي لم تكن معروفة في أورشليم في القرن العاشر قبل الميلاد. كان تحديث الأساطير ضروريًا وانجز الأمر ببارعة. لأنه في تحويلهم الأسطوري لمؤسس السلالة الفظ إلى ملك عظيم تمامًا - حيث يصورون حياته على أنها سلسلة من الانتصارات الملكية، والصراعات الملكية، والمعضلات الأرستقراطية - قدم شعراء أورشليم في القرن التاسع قبل الميلاد للملوك والأمراء الغربيين لاحقًا تبريرًا شاعريًا حيًا لنقاط ضعفهم الإنسانية وحقهم الذي لا يتزعزع في الحكم.

الجزء الثاني

تطور الأسطورة

مراحل	المواد التوراتية	الخلفية التاريخية	الاكتشافات الآثارية
أواخر القرن الثامن قبل الميلاد الفصل الرابع	أول نسخة مكتوبة من الحكايات والقصص عن خلافة شاول وداود وسليمان، تجمع بين التراث الشفوي الجنوبي والشمالي السابق؛ كانت بمثابة ملحمة وطنية موحدة لمملكة حزقيا.	يهوذا تصبح تابعا لآشور. إسرائيل تسقط. سيل من اللاجئين من الشمال. تظهر يهوذا كدولة بيروقراطية كاملة، مع سكان مختلطين من يهوذا وإسرائيل	النمو الدراماتيكي لأورشليم: التحصينات، المقابر المتقنة، نفق سلوام. يؤثر على النمو الديموغرافي في كامل أراضي يهوذا. صناعة زيت الزيتون. انتشار النشاط الكتابي وعلامات الإدارة المتقدمة.

الفصل الرابع

الهيكل والسلالة

ميلاد أول ملحمة مكتوبة

أواخر القرن الثامن قبل الميلاد

إن رواية التوراة عن صعود داود، وحُكمه، وخلافة سليمان هي أكثر بكثير من مجرد مجموعة نصوص عشوائية من الفولكلور القديم. فعلى الرغم من أن اللبنات السردية الرئيسية مستمدة من التراث الشفهي لفترات تاريخية مختلفة، إلا أن شكلها التوراتي عبارة عن ملحمة أدبية شاملة تنسج معًا كل أحداثها التي لا تُنسى وشخصياتها التي لا تُغفل في سرد متماسك ومتقن يمتد من سفر صموئيل الأول إلى سفر الملوك الأول - مع حبكة معقدة تتخللها الخيانة والاغتيالات والإرشاد الإلهي - وتشرح كيف اختار الله داود ليصبح ملك إسرائيل ومخلصها، وكيف أصبحت أورشليم المقدسة عاصمة لإسرائيل وكيف خلفه سليمان على العرش.

ومثلما افترضنا في فصول سابقة، فإن "تاريخ صعود داود" يحتوي على عدد من العناصر المبكرة - خاصة سيرة داود كقاطع طريق وتنافسه مع شاول - التي حافظت على ذكريات حقيقية لأحداث القرن العاشر قبل الميلاد بشكل شفهي.

وبالمثل، فقد افترضنا أن الإعداد المسرحي لـ "تاريخ البلاط" يعكس الثقافة الأرستقراطية لدوائر قصر أورشليم خلال القرن التاسع قبل الميلاد، أي بعد مائة عام تقريبًا من زمن داود وسليمان. ومن المفترض أنه تم نقلها شفهيًا، في شكل قصائد ملكية، تحت تأثير بيت عمري في شمال إسرائيل.

تحتوي هذه المصادر الشفهية على قدر كبير من المواد المسيئة لداود. يحكي "تاريخ ارتقاء داود" عن تعاونه مع أعداء إسرائيل الفلسطة، وتنافسه المرير مع شاول، وغيابه الواضح عن المعركة المصيرية في جبل جلبوع التي قُتل فيها شاول. وتنتهي بالإبادة المروعة لبيت شاول.[1] فـ"البلاط" أو "تاريخ الخلافة" عبارة عن قصة دموية من الخيانات والاغتيالات، التي قضت على جميع منافسي سليمان الرئيسيين لخلافة داود على العرش.

وكما قلنا، فإن هذا أمر غير معتاد تمامًا بين السجلات الرسمية لملوك الشرق الأدنى القدماء، حيث كان الهدف عمومًا هو المثالية، وليس الدقة الصحفية. ويجادل عديد من العلماء - على الرغم من أننا نختلف معهم - بأن "ارتقاء داود" و"قصة البلاط" قد كتبتا في القرن العاشر قبل الميلاد خلال حياة داود أو في وقت قريب جدًا منها، عندما كانت ذكريات جرائمه وجنحه المزعومة ما تزال حية. فإنهم يرون أن السرد التوراتي الأساسي هو عمل من صنف التاريخ التبريري كان يهدف للرد

---

(1) قائمة التصفية المستهدفة للشخصيات الشمالية طويلة بشكل مؤلم : داود هو يرتبط بشكل غير مباشر بوفاة أبنير، القائد المخلص لشاول (صموئيل الثاني 2 ذ)؛ إلى قتل إيشبوشث ثم قطع رأسه، يموت ابن شاول (2 صم 4: 7) ' وتعليق سبعة آخرين من بيت شاول (2 2 صم1: ي-9)؛ وقطع رأس لمتمرد الشمالي شبا بن بكري (2 2 صم0: 22) ..

على تهم وادانات المعارضين المعاصرين لداود وسليمان وتقديم تفسير مقنع لشرعية سلالة داود.

إن قصة داود وسليمان الكاملة هي في الواقع عمل متطور من الدعاية السلالية، ولكن يمكننا أن نشير إلى حقبة أخرى لاحقة في تاريخ يهوذا عندما كانت هناك حاجة إلى تقديم مثل هذا النص الطموح وكان من الممكن كتابتها على الأقل في شكل أولي. لقد كشف علم الآثار عن سلسلة بعيدة المدى من التغييرات التي حدثت في جميع أنحاء مملكة يهوذا في أواخر القرن الثامن قبل الميلاد - أي بعد قرنين كاملين من عصر داود وسليمان. فقد تحولت أورشليم فجأة إلى مدينة ضخمة. وفي ريف يهوذا، ظهرت عديد من أعمال الفلاحة الجديدة، وشهدت القرى والبلدات القائمة حقبة من الازدهار واسعة النطاق. وبُنيت الحصون والمخازن والمراكز الإدارية في جميع أنحاء المملكة. ويشهد ظهور النقوش والأختام الرسمية على أهمية الكلمة المكتوبة واستخدامها على نطاق واسع. ومن الواضح أن معرفة القراءة والكتابة العامة كانت الشرط الأساسي لتجميع قصة داود وسليمان التوراتية كنص مكتوب يهدف إلى التأثير على الرأي العام لصالح سلالة داود.

إن إلقاء نظرة فاحصة على التطورات السياسية والاقتصادية الأوسع في جميع أنحاء الشرق الأدنى القديم في أواخر القرن الثامن قبل الميلاد يجعلنا نقترب خطوة أخرى من فهم سبب تغيير مملكة يهوذا طابعها فجأة - ولماذا جرى من البداية تأليف السرد المكتوب عن حياة داود والأيام الأولى من عهد سليمان.

النظام الآشوري الجديد

كانت التطورات البعيدة عن يهوذا هي الدافع الرئيسي لتحولها الجذري. فبحلول منتصف القرن الثامن قبل الميلاد، بدأت الإمبراطورية الآشورية الشاسعة، التي توسعت من وادي الرافدين إلى

سواحل البحر الأبيض المتوسط، في بناء ما نسميه اليوم نظامًا سياسيًا واقتصاديًا "معولمًا"، ربما كان الأول من نوعه في التاريخ. لقد قامت إمبراطورية بلاد ما بين النهرين العظيمة هذه، المتمركزة في مدن القصور الضخمة مثل كالح ودورشروكين ونينوى، تدريجياً بإبراز قوتها، من خلال مزيج من التحركات العسكرية والضغط السياسي والحوافز الاقتصادية، في كل جانب من جوانب الحياة السياسية والاقتصادية في المنطقة. من خلال تدمير مدن القرن الثامن قبل الميلاد والممالك المستقلة التي رفضت أن تخضع لها، وأنشأ الآشوريون تدريجيًا شبكة تجارية مترابطة بشكل معقد كان يمكن من خلالها نقل جميع الموارد والحيوانات والافراد في المناطق التي احتلوها، وجرى نقلهم أو استغلالهم لخدمة المصالح العليا للآشوريين.

لقد واجهت الشعوب والممالك التي تعرضت لتهديد الهيمنة الآشورية قرارًا صعبًا: إما أن تصبح طوعًا جزءًا من النظام العالمي الآشوري أو تتحمل الدمار والسبي.

سيكون لهذه القوة العظمى في العصر الحديدي تأثير حاسم على تاريخ كل من يهوذا ومملكة إسرائيل الشمالية، ولكن ليس دفعة واحدة. في البداية كان تأثير آشور على التلال الجنوبية في يهوذا ضئيلاً. وبقدر ما نعلم من صمت المصادر التاريخية والأدلة الآثارية، ظلت يهوذا - بموارد محدودة فقط وانطلقت من طرق التجارة الرئيسية - مملكة نائية وبدائية على التلال طوال القرن التاسع وأوائل القرن الثامن قبل الميلاد. لقد تفلتت حتى من السيطرة الآشورية غير المباشرة، وربما يُعزى ذلك إلى حقيقة بسيطة وهي أن التلال الجنوبية، بمواردها المحدودة وسكانها الرعويين إلى حد كبير، لم تمتلك أي شيء يستحق السيطرة.

يهوذا والمقاطعات الآشورية إلى الشمال منها
في أواخر القرن الثامن قبل الميلاد

ومع ذلك، كان الوضع مختلف تمامًا في المملكة الشمالية، التي تعود إلى أواخر القرن التاسع قبل الميلاد فصاعدًا. فقد كان الآشوريون ينظرون اليها على أنها جائزة مغرية؛ فبعد سقوط بيت عمري، أصبحت إسرائيل تابعة مخلصة للقوة الآشورية العظمى المخيفة - كما هو مصور بوضوح على المسلة السوداء لشلمانصر الثالث، حيث كان الملك الإسرائيلي ياهو يتذلل أمام العرش الآشوري. وأدى هذا الولاء في النهاية إلى المشاركة في الاقتصاد الآشوري. وبحلول أوائل القرن الثامن قبل الميلاد، وصلت المملكة الشمالية، على الرغم من سيطرة آشور عليها، إلى ذروة ازدهارها الاقتصادي وتوسعها الإقليمي ونفوذها الدبلوماسي. من الناحية الآثارية، يظهر هذا في النقوش العبرية المنقوشة الموجودة في قصر السامرة، والتي تشهد قوائم السلع الزراعية والمسؤولين الملكيين فيها على اقتصاد بيروقراطي منظم للغاية. وبالمثل فإن عاجيات السامرة المنحوتة بشكل متقن هي دليل على ازدهار الأساليب الفنية المتأثرة بالفينيقية. فختم (شمع) الرائع من عهد ملك الشمال يربعام الثاني (784-748 ق. م)، الذي يحمل صورة أسد زائر مع نقش: "تابع لشمع، خادم يربعام"، يمثل أيضًا بيروقراطية إقليمية متطورة. وفي مجدو، تُظهِر الإسطبلات التي من المحتمل أنها كانت بمثابة مُجمع لتربية الخيول، مدى النشاط التجاري المتخصص المربح[1]. كما أن شبكات المياه الجوفية المثيرة للإعجاب، وبوابات المدينة، والتحصينات في كل من حاصور ومجدو هي دليل على وجود أشغال عامة واسعة النطاق.

بالنسبة لشعب مملكة يهوذا، لا بد أن المجتمع العالمي في الشمال بدا وكأنه عالم غريب. في ذلك الوقت كانت أورشليم ما تزال محصورة في سلسلة التلال الضيقة لمدينة داود، والتي ظلت غير محصنة. على الرغم من ثقافتها الملكية الناشئة، لم يكن هناك مركز حضري حقيقي واحد في التلال الجنوبية بأكملها، والتي كانت ما تزال قليلة السكان

(1) لمزيد من الأدلة على تربية الخيول والتجارة في مجدو الإسرائيلية، انظر الفصل 5

نسبيًا. بُنيت عدد قليل من الحصون في وادي بئر السبع وشفيلة، إلا أن عدد هذه المواقع كان محدودًا للغاية. ولا توجد أدلة على وجود نشاط كتابي ذي معنى في يهوذا في أوائل القرن الثامن. ويمكن تعيين عدد قليل جدًا من النقوش والأختام الشخصية لهذه الحقبة. ولا يوجد أي دليل على وجود إنتاج متخصص للسلع الزراعية أو إنتاج الفخار بكميات كبيرة، وهو ما كان يميز الشمال. وباختصار، كانت يهوذا في أوائل القرن الثامن قبل الميلاد ما تزال في حالة فقيرة نسبيًا من التنمية الاقتصادية والاجتماعية.

وسوف يتغير هذا الوضع فجأة وبشكل متفجر. ففي سنة 744 ق.م قام الملك الآشوري العظيم تغلث فلاسر الثالث بتغيير سياسة الإمبراطورية الآشورية بشكل كبير من السيطرة عن بعد إلى الهجوم والسيطرة العسكرية المباشرة. فأصبحت مملكة إسرائيل ومملكة دمشق حليفتين جديدتين في محاولة يائسة لمقاومة هذه السياسة الإمبراطورية الجديدة. وتصف التوراة مسيرتهم جنوبًا نحو أورشليم للضغط على يهوذا للانضمام إليهم في ثورة مفتوحة ضد الآشوريين (2 1 مل6: 5). فالملك اليهودي آحاز المحاصر ، بالخوف من الغضب الآشوري، من ناحية، وبين الغزو والخلع من قبل تحالف المتمردين الشماليين، من ناحية أخرى، اتخذ قرارًا غير مسبوق فقد تخلى عن عزلة يهوذا الطويلة وسعى جاهداً إلى حماية الآشوريين من خلال تعهده بالولاء لتغلث فلاسر (2 مل 16:5-9؛ إش: 7). وبذلك أكد مكانة يهوذا كدولة تابعة للآشوريين. وقد أكدت الاكتشافات الآثارية حقيقة هذا الخبر التوراتي. فاسم آحاز مذكور على وجه التحديد في نقش بناء آشوري يتباهى بالدخل الوفير من أتباع الإمبراطورية المخلصين، الذين أرسلوا إلى آشور "جميع أنواع الأشياء الثمينة، سواء كانت منتجات البر أو البحر، والمنتجات المختارة لمناطقهم "وكنوز ملوكهم".

أصبحت يهوذا الآن محمية، ولم يدم غضب آشور ضد المتمردين في المنطقة طويلاً. وفي سلسلة من الحملات باتجاه الغرب، نجح تغلث

.فلاسر في وضع مدن فلسطين الساحلية تحت السيطرة الآشورية، ووجه أنظاره نحو الأراضي والموارد الغنية لمملكة إسرائيل. وفي عام 732 ق.م، بعد احتلال دمشق وخلع ملكها وجعلها مقاطعة آشورية، زحف تغلث فلاسر إلى إسرائيل، واحتل بعضًا من أكثر مناطقها الزراعية خصوبة، وضمها رسميًا إلى آشور. وأُحتلت مجدو وحاصور وحُولتا إلى مراكز للحكم الآشوري المباشر. أما بالنسبة لمملكة إسرائيل، فقد كان فقدان الجليل والسيطرة الآشورية على ساحل البحر الأبيض المتوسط بمثابة كوارث اقتصادية وسياسية لا يمكن التغلب عليها أبدًا.

رفعت مملكة إسرائيل الشمالية - المعزولة، والمكتئبة جزئيًا، والتي تقاتل من أجل وجودها ذاته - راية التمرد مرة أخرى. كان الأمر هذه المرة انتحاريًا. في عام 722 ق.م، حاصر شلمانصر الخامس، ملك آشور، السامرة، وبعد وفاة شلمانصر، أكمل خليفته الوحشي سرجون الثاني المهمة. ضُمت مملكة إسرائيل المتبقية، التي تقتصر الآن إلى حد كبير على المناطق المجاورة للسامرة، كمقاطعة آشورية - تسمى سامرينا Samerina - وأرسل ضباطاً إقليميين آشوريين لتنظيم اقتصادها وحياتها السياسية. ورحل جزء على الأقل من السكان الإسرائيليين وجُلبت شعوب جديدة من بلاد الرافدين فاستقرت مكانهم.[1] يشير سرجون إلى إعادة تنظيم مقاطعة (سامرينا) الجديدة، مشيرًا إلى أنه "أسكنت فيها أناسًا من بلدان وأنا بنفسي قد انتصرت ... وفرضت عليهم الجزية كما جرت العادة على المواطنين الآشوريين» ويؤكد سفر الملوك الثاني (17: 24) وصول مستوطنين جدد، ويصف كيف "أحضر ملك آشور أناساً

---

(1) على الرغم من القصص الأسطورية عن سبي "الأسباط العشرة المفقودة" في إسرائيل في هذه الحقبة، إلا أننا لا نستطيع التأكد من صحة ادعاء سرجون بترحيل ما يقرب من 30 ألف إسرائيلي بعد سقوط السامرة. في القرن الثامن قبل الميلاد يمكن أن يقدر عدد سكان المملكة الشمالية الذين يعيشون غربي نهر الأردن بحوالي 225،000 نسمة. حتى لو أخذنا رقم سرجون البالغ 27290 مسبيًا إسرائيليًا في ظاهره وأضفنا إليه 13500 إسرائيلي ادعى تغلثفلاسر أنه رحلهم من الجليل، فإن الغالبية العظمى من سكان الريف الإسرائيليين لم يجري ترحيلهم. مما لا شك فيه أن عديد منهم بقوا في قراهم القديمة في عقاب الغزو مباشرة واستمروا في زراعة أراضيهم

من بابل وكوث وعفا وحماة وسفروايم وأسكنهم في مدن السامرة عوضاً عن شعب إسرائيل"[1]. ويبدو أن الأدلة الآثارية المتناثرة تؤكد ذلك. فتذكر بردية مكتوبة باللغة الآرامية أن المُرحلين استقروا في بيت إيل مركز العبادة الإسرائيلي القديم. والنصوص المسمارية التي تعود للقرن السابع والتي عُثر عليها في مدينة جازر الحدودية الإسرائيلية وفي موقع قريب تحمل أسماء بابلية. لقد تغير المشهد السياسي فجأة. ففي أعقاب غزو مملكة إسرائيل الشمالية، أصبحت يهوذا الدولة المستقلة الوحيدة في التلال. لقد انتهت حياتها الطويلة في ظل مملكة إسرائيل الأكبر والأكثر ثراءً. لقد خرجت يهوذا من هذا المنعطف التاريخي العظيم الذي تحول إلى درجة لا يمكن التعرف عليها تقريبًا. وبحلول نهاية القرن الثامن قبل الميلاد، كانت لديها كل السمات المميزة للمملكة الحقيقية: نشاط البناء الضخم، والإنتاج الضخم للسلع، والإدارة المركزية، ومعرفة القراءة والكتابة، والأهم من ذلك، فهم جديد لمصيرها التاريخي.

ثورة اقتصادية واجتماعية

إن توليف قصة داود وسليمان باعتبارها رواية مكتوبة - وفي الواقع توليف النصوص التوراتية كما لدينا الآن - لم يكن ممكنا لولا هذا التغيير الدراماتيكي في تاريخ يهوذا الشخصية كمجتمع. ويمكن رؤية التغييرات أولاً وقبل كل شيء في أورشليم نفسها. فقد مرت المدينة بحقبة من التوسع الهائل.[2] وكان قلب المستوطنة القديم، الذي يقع منذ آلاف السنين على تلالها الضيقة بالقرب من نبع جيحون، محصنًا بشدة.

(1) Christoph Levin, "The Synchronistic Excerpt from the Annals of the Kings of Israel and Judah," in id., Re-Reading the Scriptures: Essays on the Literary History of the Old Testament (Tübingen: Mohr Siebeck, 2013): 183–93. المترجم.

(2) يعود اكتشاف هذه الحلقة الرئيسية في تاريخ أورشليم إلى تنقيبات نحمان أفيغاد Nahman Avigad في الحي اليهودي في السبعينيات والتنقيبات الأحدث التي قام بها روني رايخ Ronnie Reich وإيلي شكرول Eli Shukroll في مدينة داود.

نشأت ضواحي جديدة خارج أسوار مدينة داود الأصلية، على التل الواسع الذي كان غير مأهول سابقًا إلى الغرب. وانتشرت المنطقة المبنية في النهاية لتغطي جزءًا كبيرًا من التل الغربي. وكانت هذه الضاحية الجديدة محاطة بسور تحصيني أقوى من الدفاعات المبنية حديثًا لمدينة داود، يبلغ سمكه أكثر من عشرين قدمًا.

ويبدو أن عملية التوسع كانت سريعة إلى حد ما. ومن أنواع الفخار المكتشفة على التل الغربي يتضح أن ذلك حدث خلال العقود القليلة التي سبقت الغزو الآشوري لمملكة إسرائيل وأعقبته مباشرة. وفي غضون سنوات قليلة فقط، تطورت أورشليم من مدينة متواضعة على تلة تبلغ مساحتها حوالي عشرة إلى خمسة عشر فدانًا، إلى مدينة كبيرة محصنة تبلغ مساحتها حوالي 150 فدانًا. وارتفع عدد السكان وفقًا لذلك. إن التقدير التقريبي للنمو الديموغرافي الذي حدث في هذه الحقبة، استنادًا إلى نسبة السكان إلى حجم المنطقة المبنية، يشير إلى أن عدد سكان أورشليم ارتفع من حوالي ألف نسمة إلى حوالي اثني عشر ألفًا. وهذا ما جعل من تعدادها من سكان المناطق الحضرية كبيرًا وفقًا لمعايير الشرق الأدنى القديم، وأكبر مدينة وجدت على الإطلاق في التلال الجنوبية. وفي الوقت نفسه، نشأت عديد من المزارع في محيط المدينة ومن المفترض أنه لتزويد سكان القدس المتضخمين بالمنتجات الزراعية فقد ظهرت عديد من المزارع والقرى في جميع أنحاء تلال يهوذا الجنوبية أيضًا.

كان بناء حصون ضخمة في مدينة داود وحول التلة الغربية لأورشليم سيتطلب عمالة ضخمة من السخرة - كما هو الحال مع الف وسبعمائة قدم مدهشة هي عمق النفق الطويل تحت الأرض الذي يستخدم لجلب المياه إلى مدينة داود، المعروف بنفق سلوام. أما في خارج أورشليم، فهناك أيضًا أدلة على وجود أعمال بناء عامة واسعة النطاق.

توسعة القدس في اواخر القرن الثامن قبل الميلاد

وفي المركز الإقليمي لخيش في منطقة شفيلة، جرى توسيع نظام بوابة المدينة وتوسيع منصة القصر ومجمع الاسطبلات. وفي تل بيت مرسم وبيت شمش في منطقة شفيلة، كشفت التنقيبات عن مجمعات من معاصر زيت الزيتون الحجرية. وبعيدًا إلى الجنوب في وادي بئر السبع، حيث كانت طرق التجارة البرية تؤدي من شرق الأردن إلى المدن الساحلية على البحر الأبيض المتوسط، بنيت الحصون والمخازن جيدة التخطيط في محطات الطرق الاستراتيجية في عراد وتل عروعير وبئر السبع نفسها.

ما هو الدافع لهذا البرنامج البناء واسعة النطاق؟ ومن أين أتت موارده؟ إن قرار الملك اليهودي آحاز (حوالي 743-727 ق.م) بأن يصبح تابعًا للآشوريين كان يُمثل شيئًا أكثر من مجرد الخضوع السياسي؛ لقد كان بمثابة دخول يهوذا الرسمي إلى اقتصاد أوسع كمشارك نشط في التجارة الطويلة الأمد. وتظهر الاكتشافات الآثارية في أواخر القرن الثامن قبل الميلاد دليلًا واضحًا على هذا النشاط الاقتصادي. ولا شك أن بناء الحصون والمخازن في وادي بئر السبع مرتبط بتجارة التوابل العربية، التي تتم الآن تحت الرعاية الآشورية. ويبدو أيضًا أن ظهور مجمعات معالجة زيت الزيتون في تل بيت مرسم وبيت شمش مرتبط بالتجارة الإقليمية، إذ لا يقع أي من الموقعين في مناطق التلال التقليدية حيث يزرع الزيتون. إما أن البساتين قد زرعت عمدًا حول مراكز إنتاج زيت الزيتون الجديدة، أو على الأرجح، نُقل الزيتون المحصود من جميع أنحاء التلال اليهودية لتحويله إلى سلعة قيّمة وقابلة للتداول - غير موجودة في آشور - ومن ثم شحنها إلى المراكز التجارية المسيطر عليها من الآشوريين على الساحل.

إن التأريخ الآثاري لهذه التطورات ليس دقيقًا بما يكفي لتحديد متى بدأت بالضبط في أواخر القرن الثامن قبل الميلاد، ولكن من المحتمل أنها بدأت في زمن آحاز، وازدادت سرعتها خلال حقبة حكم ابنه وخليفته حزقيا الأطول بكثير (حوالي 727-698 ق.م)، وتكثفت بشكل

كبير بعد سقوط مملكة إسرائيل. باعتبارها آخر مملكة مستقلة تقع غرب الأردن، فاستفادت يهوذا من الفرص الاقتصادية العظيمة التي أتاحها وضعها كمملكة تابعة. وفي خضم هذا النشاط الاقتصادي الواضح ظهرت العلامات الأولى لنشاط واسع النطاق على مستوى الدولة وشكل جديد مهم من أشكال الاتصال العام: الكلمة المكتوبة.

يُكشف الظهور المفاجئ لأختام منقوشة تحمل أسماء شخصية في عديد من المواقع اهتمامًا جديدًا بالمُلكية والوضع الاقتصادي. وتُعد أحجار الوزن الموحدة المنقوشة دليلاً واضحاً على تنظيم التبادل التجاري. فهناك فئة معروفة من جرار التخزين من هذه الحقبة، يتم إنتاجها بكميات كبيرة، وتحمل طبعات ختم مميزة على المقابض. تحتوي على شعار على شكل قرص الشمس المجنح أو خنفساء الجعران (والتي ربما كانت شارة ملكية يهودية)، ونقش عبري قصير يقرأ: إملك (= للملك)، واسم إحدى المدن الأربع: حبرون، سوكوه، زيف، ومكان غير معروف حتى الآن يُشار إليه بالحروف mmst. لقد اقترح الباحثون عدة تفسيرات بديلة منها: أنها تحتوي على منتجات العقارات الملكية؛ وأنها استخدمت كحاويات رسمية لتحصيل الضرائب وتوزيع السلع؛ أو أن طبعات الختم كانت مجرد علامات مميزة لورش الفخار حيث تصنع أوعية التخزين الملكية الرسمية. وعلى أية حال، فهي تمثل شبكة من التنظيم والاتصالات على مستوى المملكة. وكما يتضح أيضًا في ظهور عدد متزايد من الفخاريات المنقوشة في حصون عراد وبئر السبع، فقد كانت شبكة من الاتصالات والتبادلات ممكنة فقط من خلال انتشار معرفة القراءة والكتابة في الريف، وعلى الأرجح بين الأمناء الملكيين والكتبة في أورشليم.

وفي أورشليم، عُثر على أختام وأحجار وزن وجرار تخزين موحدة بأعداد كبيرة. وهناك مؤشرات إضافية على توسع مهام محو الأمية في عاصمة المملكة: ففي المقابر العائلية المتقنة المحفورة في المنحدرات شديدة الانحدار إلى الشرق والجنوب من المدينة وفي غرف الدفن الكبيرة

المنحوتة في الصخر على بعد بضع مئات من الأمتار إلى الشمال من المدينة. وبعضها عبارة عن آثار متجانسة قائمة بذاتها، في حين أن بعضها الآخر عبارة عن غرف جوفية منحوتة بعناية مع جدران مشطبة بدقة وأسقف جملونية. وليس هناك من شك في أن هذه المقابر كانت تستخدم لدفن النبلاء، إذ يحمل أحدها نقشًا باسم المتوفى ومركزه الملكي: ".. ياهو المسؤول عن المنزل .." لقد حدده علماء التوراة بأنه شبنا (الصيغة العبرية التوراتية الكاملة هي شبنياهو) الوكيل الملكي، الذي أدانه النبي إشعياء (22: 15-16) بسبب غطرسته في حفر قبر متقن الصنع في الصخر.

ولعل الأمر الأكثر أهمية هو تأن اول استخدام للكتابة في العصر الحديدي في أورشليم لتصريح عام كان لإحياء ذكرى حفر نفق مياه سلوام من خلال نقش عبري قديم فريد محفور على جداره الصخري، يحتفل في رواية أدبية درامية بمهارة المهندسين وشجاعة فريقي الحفارين، الذين عملوا من طرفين متقابلين لمسار النفق:

" عندما تم دفع النفق من خلاله. كانت هذه هي الطريقة التي تم بها قطع الأمر: بينما [. . .] كانوا ما يزالون [. . .] فأس، كل رجل تجاه صاحبه، وبينما كان ما يزال هناك ثلاثة أذرع يجب حفرها، [سمع] صوت رجل ينادي صاحبه، لأنه كان هناك تداخل في الصخرة على اليمين [وعلى اليسار]. ولما حُفر النفق، قطع عمال المحاجر [الصخرة]، كل واحد تجاه صاحبه، فأسًا بفأس؛ وجرى الماء من أمام العين نحو الخزان مسافة 1200 ذراع، وكان ارتفاع الصخر فوق رؤوس المحاجر 100 ذراع." (1)

أثار هذا النقش ضجة كبيرة عندما اكتشف بالصدفة سنة 1880، واعتبر على الفور بمثابة تأكيد أثري للإشارة التوراتية إلى كيفية قيام

(1) انظر: J. B. Pritchard, *Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament*. Princeton, 1969, p. 321. المترجم

الملك حزقيا بـ "إنشائِهِ البِرْكَةَ والقناةَ، وإدخالِهِ الماءَ إلى المدينةِ" (2 مل 20: 20).

ومع ذلك، فهو مهم أكثر بكثير من مجرد تصديقه للتوراة: إنه أيضًا أقدم دليل أثري على النشاط الأدبي الواسع النطاق في أورشليم.[1] فالصورة الآثارية ليهوذا في العقود الأخيرة من القرن الثامن هي مملكة مكتظة بالسكان مزدهرة ومتعلمة. وأصبحت أورشليم مدينة شديدة التحصين تضم عددًا كبيرًا من السكان وطبقة خاصة من المسؤولين الملكيين والكتبة والإداريين، الذين يمكنهم تجنيد العمال في المشاريع العامة والنصب التذكارية الخاصة.

في الواقع، تشبه هذه الصورة بشكل غريب الأوصاف التوراتية لأورشليم في عهد داود وسليمان في سياقها العام وفي عديد من التفاصيل المحددة. وهكذا أصبحت الكتابة لأول مرة في العصر الحديدي أداة مهمة في خلق وترسيخ تماسك الدولة. كان هذا هو الشرط الأساسي لتجميع قصة داود وسليمان التوراتية كنص مكتوب. عندها فقط أصبح أمناء البلاط والكتبة في وضع يسمح لهم بتأليف ملحمة أدبية طموحة عن الآباء المؤسسين للسلالة. هذه حقيقة حاسمة لأي مناقشة حول تطور التراث التوراتي: العلامات الأولى لانتشار معرفة القراءة والكتابة على نطاق واسع في يهوذا تشير إلى أقرب وقت ممكن أمكن فيه جمع التراث الشفهي القديم وإعادة صياغته وتحريره معًا في شكل نصوص مكتوبة.

(1) اكتشف ختمان شخصيان لمسؤولين في عهد الملك اليهودي عزيا (785-733 قبل الميلاد) في القرن التاسع عشر، لكنهما مثالان منعزلان للكتابة الرسمية في يهوذا، وربما تأثرا بشدة بالقراءة والكتابة الواسعة النطاق في بلاط عزيا الملك المعاصر للملك يربعام الثاني ملك المملكة الشمالية (784-748 قبل الميلاد).

كمثال بارع للترويج الذاتي الملكي والشرعنة التاريخية، فإن الرواية التوراتية عن صعود داود وخلافة سليمان لا يمكن أن تكون قد كتبت قبل أواخر القرن الثامن قبل الميلاد. ولكن لماذا اتخذت هذا الشكل المحدد بالضبط؟ أن من الجدير بالملاحظة أن كثيرًا من الاتهامات الموجهة إلى داود تتعلق بمقتل شخصيات من التلال الشمالية، خاصة فيما يتعلق ببيت شاول. ولا شك أن هذه الاتهامات جاءت من التراث الشمالي. لكن لماذا جرى حفظها في النص؟ ولماذا كانت لها أهمية خاصة في هذه الحقبة؟

إن مفتاحنا الرئيسي هو الديموغرافية، لأن النمو الهائل لمدينة أورشليم، بل ويهوذا بأكملها في نهاية القرن الثامن، لا يمكن تفسيره على أساس الرخاء المطلق أو النمو الطبيعي وحده. فيبدو أن الزيادة في عدد سكان أورشليم بأكثر من عشرة أضعاف كانت مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بسلسلة الأحداث المعاصرة، وتحديدًا غزو مملكة إسرائيل الشمالية. لقد اقترحت عالمة الآثار ماجن بروشي Magen Broshi منذ مدة طويلة أن الانفجار السكاني المفاجئ في أورشليم في نهاية القرن الثامن قبل الميلاد - وهو أكبر بكثير مما يمكن تفسيره بالزيادة الطبيعية في عدد السكان - كان نتيجة لموجة من اللاجئين من مملكة أورشليم السابقة. فإسرائيل تهرب جنوبًا لتجنب التجنيد الإجباري في النظام الآشوري الجديد. وهناك دليل واضح على أن عدد سكان ريف اليهودية زاد أيضًا بشكل كبير. فقد أشارت التنقيبات الآثارية إلى أن عدد المستوطنات في منطقة التل الواقعة جنوب أورشليم تضخم من حوالي ثلاثين مستوطنة في القرن التاسع وأوائل القرن الثامن قبل الميلاد إلى أكثر من 120 مستوطنة في أواخر القرن الثامن. وفي منطقة شفيلة ارتفع العدد من 21 إلى 276 مستوطنة. وبعيداً عن الزيادة في عدد المواقع، يبدو أن المواقع القائمة قد كبرت وأصبحت أكثر كثافة سكانية. وعلى العموم، لن يكون من قبيل المبالغة أن نقدر أن عدد سكان يهوذا قد تضاعف في

أواخر القرن الثامن قبل الميلاد.

من أين أتى هؤلاء اللاجئون بالتحديد؟ يمكننا الآن اقتراح منطقة معينة على أساس التنقيبات الآثارية في التلال الشمالية. لكن علينا ان نحذر ان الفخار الذي جُمع في التنقيبات محدود من حيث الكمية والتنوع، وبالتالي، ففي معظم الحالات، يمكن تأرخته إلى حقبة عامة وليس إلى حقبة زمنية قصيرة ومحددة للغاية. وعند دراسة الأنماط الديموغرافية للتلال الشمالية - ولا سيما أراضي المملكة الشمالية - فمن السهل نسبياً التمييز بين أنواع الفخار من أواخر العصر الحديدي الثاني (القرنين الثامن إلى السابع قبل الميلاد) والحقبة الفارسية اللاحقة بكثير (العصر الحديدي الثاني من القرن الخامس إلى الرابع قبل الميلاد)، ولكن من الصعب للغاية - إن لم يكن مستحيلًا - التميز بين المراحل الزمنية في مجموعات التنقيبات في أواخر العصر الحديدي الثاني. ومع ذلك فإن البيانات ذات أهمية كبيرة؛ حيث تظهر أنماط واضحة للنمو السكاني والانخفاض.

في منطقة شمال السامرة، بين شكيم ووادي يزرعيل (القطاع الشمالي لمملكة إسرائيل في المرحلة الأخيرة من وجودها)، لم يتغير عدد المواقع بشكل كبير بين أواخر العصر الحديدي الثاني والحقبة الفارسية. كان هناك 238 مستوطنة في القرن الثامن و247 في الحقبة الفارسية.[1] إلا أن الوضع مختلف تمامًا في جنوب السامرة - المنطقة الواقعة بين شكيم وبيت إيل، شمال أورشليم. فقد انخفض عدد المواقع هناك من

---

(1) وقد حاول عالم الآثار آدم زرتال Adam Zertal إعادة بناء نمط استيطان الإطارات من القرن السابع قبل الميلاد (للتمييز عن القرن الثامن) في شمال السامرة وفقًا لبعض أنواع الفخار وناقش أهمية كبيرة تراجع عدد المواقع بعد سقوط الشمال. ومع ذلك، يمكن أيضًا العثور على معظم هذه الأنواع في القرن الثامن قبل الميلاد. كان معياره الرئيسي - وربما الوحيد - هو نوع الوعاء المزخرف الذي ربطه بالمُبعدين الكوثيين الذين أقامهم الآشوريون في المنطقة. دون التعامل مع مسألة ما إذا كان هذا التحديد صحيحا، فإن وجود أو عدم وجود نوع واحد من الفخار في مواقع المسح (بعضها ينتج عددا محدودا من الكسر) يمكن أن يكون عشوائيا ومضللا. ونحن نعتقد أن تفسير زرتال للوضع في القرن السابع يستند إلى أسس هشة للغاية.

238 في القرن الثامن إلى127 موقع في العصر الفارسي، وتقلص إجمالي المساحة المبنية بشكل أكثر إثارة، من حوالي 420 إلى 111 فدانًا (170 إلى 45 هكتارًا). وتشير ترجمة هذه الأرقام إلى عدد السكان المقدر إلى انخفاض مذهل بنسبة 75 بالمائة من عدد السكان الذي يبلغ حوالي أربعة وثلاثين ألفًا إلى تسعة آلاف نسمة. وحتى لو كانت هناك تذبذبات عديدة بين حقبتي المقارنة، فمن الواضح أن جنوب السامرة عانى من تراجع ديمغرافي كبير بعد غزو مملكة إسرائيل الشمالية من قبل آشور. ويشير مصدر آخر من الأدلة إلى الاستنتاج نفسه. ففي طبقة القرن الثامن؛ كان جنوب السامرة منطقة مهمة لإنتاج زيت الزيتون تتطلب عددًا كبيرًا من السكان للحفاظ على هذه الصناعة. ومن الجدير بالملاحظة أن هذا كان هو المكان الذي استقر فيه الآشوريون المرحلون من بلاد ما بين النهرين بعد غزوهم لمملكة إسرائيل. وكما ذكرنا، فقد ترك الآشوريون معظم سكان الريف الإسرائيليين الموجودين في المكان، ولم يسبوا سوى نسبة بسيطة، من المفترض أنها كانت النخبة. ومع ذلك، يبدو أنه كانت هناك جهود محسوبة في هذه المنطقة لاستبدال السكان المختفين. وتشهد الألواح المسمارية من جازر وتل حديد القريبة على وجود المرحلين البابليين في المنطقة في أوائل القرن السابع قبل الميلاد. ويبدو أن اسم (عويم)، الذي يظهر في قائمة التوراة للمدن اليهودية (يشوع 18: 23)، مرتبط باسم عوة Avva - أحد الأماكن الأصلية للقادمين من بلاد ما بين النهرين (2 مل 17: 24) ؛ وتقع عويم في تلال بنيامين حول بيت إيل. وتذكر بردية مكتوبة بالآرامية المبعدين الذين ربما استقروا في بيت إيل نفسها. وقد يكون لهذه المستوطنة المخطط لها دافعان: استعادة الناتج الاقتصادي لمنطقة مهجورة وإقامة سكان مطيعين (يعتمدون كليًا على الآشوريين) بالقرب من حدود مملكة يهوذا التابعة، كإجراء احترازي ضد الاضطرابات المستقبلية.

على أية حال، يبدو أن الأدلة تتضافر في أن الجزء الجنوبي من المملكة الشمالية وبالقرب من بيت إيل كان مصدرا لعديد من اللاجئين الذين

زادوا من عدد سكان يهوذا وأورشليم في نهاية القرن الثامن قبل الميلاد. هذه هي بالضبط المنطقة التي توجد فيها أدلة على نظام حكم التلال في القرن العاشر قبل الميلاد المرتبط بالتراث التوراتي لشاول. وهذا التراث، مثل الحكايات عن داود، كان من الممكن تناقلها شفهيًا لعدة قرون، وكذكريات محلية وتعبيرات عن الهوية الإقليمية، ولم يكن من الممكن أن تختفي من وعي الناس المتعبين في المنطقة، حتى لو تركوا أراضي أجدادهم. وغدوا لاجئين في يهوذا.

وهكذا فإن تراثي – شاول وإسرائيل، وداود ويهوذا – كانا سيجتمعان معًا في خضم التغيرات الاجتماعية والاقتصادية بعيدة المدى التي حولت مملكة يهوذا بعد سقوط إسرائيل. لم تتطور يهوذا من مجتمع تلال منعزل إلى دولة متطورة بالكامل ومندمجة في الاقتصاد الآشوري فحسب؛ بل تغير سكانها بشكل كبير من اليهوذائيين البحتين إلى مزيج من اليهوذائيين والإسرائيليين السابقين. وربما وصل عدد سكان يهوذا من أصل إسرائيلي شمالي إلى النصف في أواخر الثامن إلى أوائل القرن السابع قبل الميلاد. وكما سنرى، فإن تكوين تاريخ السلالات الرسمي، حيث كان مفهوم الملكية الموحدة محوريًا، كان مجرد إحدى الطرق التي حاول بها حكام يهوذا ربط المجتمع الجديد الذي انشأ في غضون بضعة عقود فقط.

شعب واحد، هيكل واحد

تركز القصة التوراتية لداود وسليمان بشكل كبير على دورهما في مركزية العبادة الإسرائيلية في عاصمتهما وعلى قدسية ذلك المكان. لقد أمر داود بإحضار تابوت العهد المقدس إلى أورشليم في موكب بهيج (2 صم 6)، ويُنسب إلى سليمان بناء الهيكل الكبير باعتباره نقطة مركزية لعبادة إسرائيل الموحدة. لقد كان الإصرار على مركزية أورشليم عملية لاهوتية استمرت في التطور لعدة قرون، ولكن هناك بعض الأدلة

الآثارية المقترحة لبدايات المركزية الدينية في نهاية القرن الثامن قبل الميلاد. اللافت في هذا الصدد أن الملك حزقيا بن آحاز يُذكر في التوراة كواحد من أبرار ملوك يهوذا، الذي "وعَمِلَ القويمَ في نظَرِ الرّبِّ كجَدِّهِ داود" (2 مل 18: 3). ومن وجهة نظر التوراة، كان إنجازه دينيًا في المقام الأول:

وأزالَ مَعابِدَ الأوثانِ على التلال، وحطَّمَ الأنصابَ، وقطَعَ تَماثيلَ أشيرةَ، وسحَقَ حيَّةَ النحاس الّتي صنَعَها موسى، لأنَّ بَني إسرائيل كانوا إلى تِلكَ الأيّامِ يحرُقونَ البَخورَ لها، وسَمَّوها نَحُشتانَ. وتوكَّلَ على الرّبِّ إلهِ إسرائيل، ولم يكُنْ لَه مَثيلٌ في جميعِ مُلوكِ يهوذا، لا مِنْ قَبلُ ولا مِنْ بَعدُ.. (2 مل 18: 4-5)

لقد ناقش العلماء تاريخ هذا الوصف، فقبله بعضهم باعتباره موثوقا به، وأثار البعض الآخر الشكوك حوله أو رفضه تمامًا لأسباب نصية بحتة. وليس لدينا أي معلومات آثارية حول التغييرات المحتملة التي أجريت على هيكل أورشليم في هذه الحقبة، حيث أنه لا يمكن الوصول إليه بالتنقيب تحت المزارات الإسلامية في جبل الهيكل. ومع ذلك، هناك أدلة تشير في بعض الحصون النائية والمراكز الإدارية للمملكة إلى أن التغيرات الجذرية في طبيعة العبادة العامة في يهوذا كانت جارية في نهاية القرن الثامن قبل الميلاد.

ففي الطرف الشرقي من وادي بئر السبع، جرى المحافظة على قلعة عراد، في محاولة من حكام يهوذا لتوسيع سيطرتهم على تجارة القوافل المارة كما افترضنا. وكانت تحتوي على حرم متقن ومذبح للقرابين في الفناء الخارجي وغرف داخلية للطقوس. وفي سياق البحث اللاحق، اقترح عضو فريق التنقيب في عراد، زئيف هيرزوغ Zeev Herzog، أن الحرم كان يُستخدم خلال القرن الثامن قبل الميلاد. ولم يكن نقضه قد حصل بالتدمير العنيف، بل بإعادة تخطيط متعمدة: فقد فكك الضريح ومذبحه، وغطيت المنطقة التي كانا يشغلانها سابقًا بطبقة من التربة،

وبُنيت عليها هياكل جديدة. ومع ذلك، فقد احتُرمت الأهمية الطقسية للأشياء الموجودة في الضريح المفكك؛ فقد وضعت مذابح صغيرة تستخدم لحرق البخور داخل الهيكل على جوانبها ودُفنت بعناية في المكان الذي كان يوجد فيه الهيكل في السابق. وقد جرت هذه التغييرات قبيل نهاية القرن الثامن ق. م.[1]

وإلى الغرب؛ في تل بئر السبع، يبدو أن تغييرًا مماثلا قد حدث في ممارسة الطقوس. وعلى الرغم من عدم تحديد أي حرم في التنقيبات، إلا أنه تم العثور على كتل بناء لمذبح منزلي كبير، مما يشير إلى وجود حرم أو مكان قائم بذاته لتقديم القرابين في هذه القلعة الملكية. وعثر على بعض القطع المفككة من هذا المذبح ملقاة قرب الأسوار الترابية لتحصينات المدينة وأعيد استخدام بعضها كمواد بناء في المخازن. وبشكل عام؛ جرى تشييد كل من الأسوار والمخازن عند نهاية القرن الثامن قبل الميلاد، مما يشير إلى أن الضريح قد جرى هدمه بحلول ذلك الوقت.

وأخيرًا، في لخيش، المركز الإقليمي الأكثر أهمية في شفيلة، حدث تطور موازٍ. فقد كُشف عن حفرة تحتوي على لُقى عبادية في التنقيبات أسفل مستوى فناء القصر مباشرة، الذي جرى توسيعه وتعبيده في أواخر القرن الثامن قبل الميلاد. ومن الصعب تأرخة هذه القطع الدينية، ومن المستحيل معرفة متى ظهر الفناء في أواخر القرن بالضبط، لكنه يتناسب مع السياق العام للأنشطة التي وصفناها. ويبدو أن الاكتشافات في عراد وبئر السبع ولخيش تشير إلى نمط متماثل: فتقدم ثلاثتها دليلاً على وجود مقدسات في القرن الثامن قبل الميلاد، ولكن في جميعها، أصبحت المقدسات مهجورة قبل نهاية القرن الثامن قبل الميلاد. ومن الجدير بالذكر أن أيًا من المواقع العديدة التي تعود إلى القرن السابع وأوائل القرن السادس قبل الميلاد والتي جرى التنقيب فيها في يهوذا لم تقدم دليلاً على وجود حرم هناك.

(1) لمزيد من التفاصيل حول علم الطبقات والحجج الأثرية المتعلقة بتفكيك المزارات في يهوذا في هذه الحقبة، انظر الملحق 5 .

لا يمكن لعلم الآثار أن يقدم تاريخًا محددًا خلال هذا الإطار الزمني العام لإزالة المزارات الريفية، لكن نظرة إلى الأحداث الأوسع - والتراث المحفوظ في سفر الملوك الأول (18: 4-5) تشير إلى أنها في أيام حزقيا كسياق محتمل. ويبدو من المعقول أنه خلال هذا الوقت، شهدت يهوذا إصلاحًا شاملاً للممارسات الدينية، جرى خلاله إلغاء وتدمير ودفن المعابد الريفية، ربما كجزء من جهد لمركزة عبادة الدولة في أورشليم. ومع ذلك، ينبغي النظر إلى هذه العملية من منظور اجتماعي واقتصادي وسياسي، وليس من منظور ديني بحت، فربما كان الهدف منها تعزيز العناصر الموحدة للدولة - السلطة المركزية للملك والنخبة في العاصمة - وإضعاف القيادة الإقليمية القديمة العشائرية في الريف.

وبالتزامن مع الظهور المفاجئ للأوزان والمقاييس الموحدة، والأختام الملكية وجرار التخزين الموحدة، أصبحت مؤسسات الإدارة الموجهة من قبل الدولة أكثر تعقيدًا وأكثر مركزية. كل هذا خدم الحاجة الجديدة لتوحيد سكان يهوذا المتنوعين. لم تكن المملكة تحتوي فقط على ثقافات إقليمية مميزة (من البرية والتلال والسفوح) ولكن أيضًا على أعداد كبيرة من المهاجرين من أراضي مملكة إسرائيل السابقة. ولا بد أن هؤلاء الناس جلبوا إلى يهوذا تراثهم الديني الشمالي وارتباطاتهم بالمعابد الشمالية القديمة، وأهمها معبد بيت إيل، الواقع في وسط قرى أجدادهم. التي تقع على بعد بضعة أميال فقط شمال أورشليم، وقد أصبحت الآن ضمن الأراضي الآشورية، ولكن ما يزال من الممكن الوصول إليها للاحتفالات والمهرجانات.

لا بد أن هذا قد شكل تحديًا دينيًا خطيرًا للسلطة اليهودية. ويبدو أن الحل كان بحظر جميع المعابد - المزارات الريفية في يهوذا ومعبد بيت إيل على حد سواء - باستثناء الهيكل الملكي في أورشليم. باختصار، كانت عبادة "الإصلاح" في أيام حزقيا، بدلاً من أن تمثل حماسة دينية تطهيرية، كانت في الواقع مسعى سياسي محلي. لقد كانت خطوة مهمة في إعادة تشكيل يهوذا في وقت الاضطرابات الديموغرافية وإعادة

التنظيم الاقتصادي. وفي الظروف الجديدة في أواخر القرن الثامن قبل الميلاد، اكتسبت يهوذا إحساسًا متزايدًا بالسلطة والمسؤولية على جميع سكان التلال الوسطى، حيث ظلت آخر مملكة حتى مع استقلال اسمي. وكانت أورشليم عاصمتها وكانت السلالة الداودية هي الأسرة الحاكمة فيها. وربما كانت أورشليم دائمًا مدينة صغيرة مقارنة بالمدن الكبرى في المملكة الشمالية، لكن مصيرها الجديد كان أن تصبح مركزًا لجميع شعب إسرائيل.

يبدو الآن أن هذا الإدراك المفاجئ لمركزية أورشليم التاريخية يدل على اصطفاء الله. لقد كان شرطًا أساسيًا لتجميع تاريخ موثوق للسلالة الداودية - حيث لعبت الإرادة الإلهية، وليس الصدفة أو السياسة الواقعية - الدور المركزي في رفعة أورشليم وملوكها من آل داود إلى القيادة على كل إسرائيل.

النسخة الأولى المعتمدة

كان توحيد الشعائر في المعبد المركزي إحدى الطرق لتشجيع اندماج السكان، ومن الممكن أن تكون هناك نسخة مبكرة من قصة بناء الهيكل على يد سليمان قد كُتبت في وقت مبكر من أيام حزقيا. ومع ذلك، كانت كتابة التاريخ الوطني أداة مهمة أخرى. لقد أشاع الملوك الآشوريون عملية تجميع السجلات الرسمية وعظموها، حيث ارتقوا من نقوش البناء المقتضبة إلى نصوص مفصلة لمدح الانتصارات العسكرية أو الإنجازات المدنية، إلى تواريخ السلالات الحاكمة المنمقة والتي تخدم مصالحهم الذاتية تمامًا. ومن المحتمل أن انتشار القوة العسكرية والسياسية الآشورية شجع على تبني الخصائص الثقافية الآشورية في جميع أنحاء المنطقة، بما في ذلك الكتابة التاريخية باعتبارها مرتبة رفيعة المستوى لكل ملك تابع آشوري محترم. لكن تاريخ أسرة يهوذا كان شيئًا مختلفًا، وسيبقى وسيُذكر لمدة طويلة حتى بعد أن يطوى ذكر

أعظم ملوك آشور.

إن القصة التوراتية لداود وسليمان ليست مجرد عمل نموذجي للدعاية الملكية لخدمة مصالح ذاتية. لقد كانت - وما تزال - دفاعًا عاطفيًا ومتطورًا عن الشرعية الداودية، قويًا بما يكفي لمناقشته في الساحات العامة أو أماكن الاجتماعات لإسكات أصوات النقد بمهارة حججه وفنه السردي الكبير. ما هو السبب وراء كتابة التراث الشفهي عن داود؟ ولماذا كان من الضروري أن يتعامل الجنوبيون مع اتهامات الشمال بشأن مؤسس سلالتهم الحاكمة؟ ولم كان من الضروري القول بأن داود لم يكن خائناً أو متعاوناً مع الفلسطة؟ أو أنه لم يكن سفاحًا بسيطًا. وأنه لا يتحمل أي مسؤولية عن وفاة أول ملك شمالي في معركة جلبوع؛ وأنه لم يشارك في قتل إيشبوشث بن شاول؛ وأنه لم يكن مسؤولاً عن موت أبنير؛ أو أنه لم يأمر بشكل غير عادل بتصفية جميع نسل شاول المباشرين؟ لماذا الحاجة إلى توضيح أن سليمان، الذي لم يكن الأول في ترتيب عرش أبيه، جاء ليكون خليفته؟ والأهم من ذلك، متى كان من الضروري الإصرار على أن داود ونسله هم الحكام الشرعيون الوحيدون على كل شعب إسرائيل؟

لقد كان نصف سكان يهوذا - في زمن حزقيا - في الواقع إن لم يكن أكثرهم من الإسرائيليين، ولم يكن بمقدور يهوذا تجاهل أو استئصال التراث التاريخي للشمال. ومن أجل توحيد المملكة كان لا بد من أخذها جميعاً بعين الاعتبار، ودمجها في قصة رسمية واحدة من شأنه أن ينزع تأثير فتيل التراث المناهض لتوسع الحكم الملكي ليهوذا.

وقد تم ذلك أولاً وقبل كل شيء من خلال الثقافة الشعبية: من خلال الأساطير والذكريات التي كانت أثيرة في قرى يهوذا، وفي تراث الشماليين، وفي بلاط أورشليم. وباعتبارها الرواية الوطنية الوحيدة لبدايات الملكية في إسرائيل، غطّت رواية جديدة مسحة لشاول المتمركزة في الشمال حول حكايات قاطع الطريق وأظهرت كيف تصرف داود ببراءة فقط في

مصلحة شعبه. وأوضحت كيف كان داود وطنيًا عظيمًا وأبًا لوطنه الذي أنقذ بني إسرائيل مرارًا وتكرارًا من أيدي الفلسطة؛ وأنه أجبر على الهروب للنجاة بحياته بسبب أخطاء شاول، وهي أخطاء اعترف بها ملك الشمال نفسه (1 صم 26: 21)؛ وأنه كان مخلصًا لشاول على الدوام. لقد أظهر أنه لم يكن بأي حال من الأحوال مسؤولاً عن موت شاول، لأنه لم يكن حاضرًا حتى في معركة جلبوع؛ وأن قوة الله وإرادته هي التي أطاحت بشاول ومسحت داود ملكا؛ وأن يوآب، وليس داود، هو الذي نفذ عملية التطهير الدموي ضد الشاوليين والموالين لهم؛ وفيما يتعلق بالأراضي والمآثر العسكرية، كان داود أعظم من أي من ملوك الشمال، بما في ذلك آل عمري الأقوياء، في مدى فتوحاته الأسطورية. والأهم من ذلك كله كانت هناك فكرة الوعد الإلهي، أي أن أسرة داود كانت تحت حماية إله إسرائيل.

هذه العلاقة التي لا تنقطع بين إله إسرائيل وبيت داود يعبر عنها بشكل أكثر إيجازًا في كلمات الله لداود:

"وإذا انتهَتْ أيامُكَ ورقدتَ معَ آبائِكَ، أقمتُ خلَفا لكَ مِنْ نسلِكَ الّذي يخرُجُ مِنْ صُلبِكَ وثبَّتُّ مُلكَهُ، فهوَ يَبني بَيتا لاسمي وأنا أُثَبِّتُ عرشَ مُلكِه إلى الأبدِ. أنا أكونُ له أبا وهوَ يكونُ لي ابنا، وإذا فعَلَ الشَّرَّ أُؤَدِّبُهُ بِعصا كالّتي يستخدِمُها النَّاسُ وبها يَضرِبونَ. وأمَّا رحمَتي فلا أنزعُها عَنهُ كما نَزَعتُها عَنْ شاولَ الّذي أزَلْتُهُ مِنْ أمامِ وجهِكَ، بل يكونُ بَيتُكَ ومُلكُكَ ثابِتَينِ على الدَّوامِ أمامَ وجهي، وعرشُكَ يكونُ راسخا إلى الأبدِ». (2 صم 7: 12-16)

إن هذا الوعد - وتاريخ السلالة الحاكمة الذي أدى إليه - ليس تاريخًا، بل تعبير عن واقع اقتصادي واجتماعي وديموغرافي جديد في يهوذا أدى إلى ولادة فكرة الملكية الموحدة، ولقد أسقطت الآن مرة أخرى على ماضي إسرائيل البعيد.

نحن لا نعرف سوى قليل جدًا عن عملية النشاط الكتابي في هذه

الحقبة أو عن أنواع المجموعات التي ربما كانت مسؤولة عن جمع التراث وتأليف نص موحد. ما لدينا في التوراة هو نتيجة التطوير والتحرير المستمر؛ ما نقترحه: بالنسبة لزمن حزقيا هو نسخة أولية من النص الذي استمر تطويره في العقود اللاحقة. هل تم حفظها فقط في مكتبة الهيكل أو القصر؟ هل أنتج منه عديد من النسخ الموزعة في جميع أنحاء المملكة، أم أعيد سرد القصة للجمهور على أساس عدد قليل من النصوص الأصلية؟ مهما كانت الإجابات، فإن النسخة الأولى من القصة التوراتية لشاول وداود واعتلاء سليمان العرش - وربما أيضًا بناءه للهيكل - لم تُنشأ فقط أو حتى في المقام الأول لأغراض دينية، ولكن من أجل ضرورة سياسية منسية الآن؛ وهي إنشاء الهيكل والأسرة الحاكمة باعتبارهما حجر الأساس التوأم للفكرة الجديدة لإسرائيل الموحدة.

ثورة حزقيا

ربما يكون موت سرجون الثاني في ميدان المعركة عام 705 ق. م قد عزز الآمال بإمكانية تحقيق خطة إسرائيل الموحدة. فقد تبنت يهوذا استراتيجية جديدة تجاه آشور فاستبدلت سياستها المعتمدة المتمثلة بكونها دويلة تابعة - بمسار جريء، وإن كان خطير، كانت أوقات الخلافة الملكية في آشور مليئة بالتوتر وعدم اليقين في جميع أنحاء الإمبراطورية لأن سلطة الملك الجديد لم تكن قد ترسخت بعد. وكان من الواضح أن هذا هو الحال بالنسبة لخلافة سنحاريب، ابن سرجون. ففور توليه العرش، اندلعت ثورة خطيرة ضد الحكم الآشوري في بابل، المنبر الروحي لبلاد ما بين النهرين والعنصر الحيوي في الدولة الآشورية. فسعت الأسرة المصرية الخامسة والعشرون الصاعدة مستفيدة من الانتفاضة في بابل، إلى توسيع نفوذها على طول الساحل الفلسطي. كما فكر الملك لولي Luli ملك مدينة صيدا الفينيقية في تحدي آشور. إن

الجمع بين الضعف الآشوري الواضح وإمكانية حدوث انتفاضة شجع الملك اليهودي حزقيا على المشاركة في التخطيط لتمرد على مستوى المنطقة. لقد ثبت أن هذا المسار محفوف بالمخاطر وكارثي في نهاية المطاف بالنسبة ليهوذا.

تتطلب المواجهة المباشرة مع الجيوش الآشورية شجاعة واستعدادًا مكثفًا وواسع النطاق. من المؤكد تقريبًا أن أسوار التحصين الرائعة في أورشليم التي تحمي المنحدر الشرقي لمدينة داود و"السور العريض" على التل الغربي المستقر حديثًا قد بُنيت خلال السنوات التي تلت وفاة سرجون. وأي استعدادات دفاعية ضخمة من هذا القبيل كان من الممكن أن يُنظر إليها على أنها تهديد واضح لسرجون، الذي شن حملة على السامرة عام 720 ، وفي فلسطين بين عامي 720 و 711 ق.م. وبالمثل، لم يكن من الممكن تصور هذه الأعمال التحضيرية الضخمة بعد وصول الآشوريين إلى مكان الواقعة لمواجهة حزقيا في 701 ق. م. وحقيقة أن مشروع البناء الضخم هذا كان مسألة عاجلة واضحة في علامات البناء المتسارع: السور العريض على التل الغربي يمر مباشرة عبر ضاحية قائمة كان لا بد من هدم المنازل القائمة فيها. ولم يكن هذا الاستعداد الوحيد أو حتى الأكثر إثارة للإعجاب للحرب. فقد كان نفق سلوام، وهو قناة متعرجة تقع تحت الأرض ويبلغ طولها 1750 قدماً وكانت تجلب المياه العذبة إلى المدينة المحصنة، ذات أهمية استراتيجية حيوية. إن نقشها الذي يسجل العمل المحموم الذي قام به الحفارون في استكمال النفق يحتفل بإنجازهم الناجح ويكشف عن مدى إلحاح العمل.

في ضوء الهيمنة العسكرية الآشورية الكاملة على المنطقة، كان حزقيا وحلفاؤه يخوضون مخاطرة هائلة. وبمجرد قمع التمرد في بابل، واجهوا عواقب قرارهم، ففي ربيع عام 701 ق.م، وجه سنحاريب أخيرًا انتباهه الكامل نحو الغرب وسار في اتجاههم بقوة آشور العسكرية المدمرة.

بينما كان جيش سنحاريب يتقدم نحو ساحل البحر الأبيض المتوسط لاستعادة السيطرة الآشورية على الموانئ التجارية الحيوية في فينيقيا وفلسطة، سُحق جميع الحلفاء الفلسطة، واحدًا تلو الآخر. وبعد احتلال صيدا واستعادة المدن الساحلية، انتقل سنحاريب إلى الداخل إلى مدينة عقرون الفلسطية، فاحتلها وخلع ملكها. وفي حالة من الذعر، طلب حلفاء المتمردين المساعدة من مصر، ولكن قوة الدعم المصرية القادمة بسرعة سُحقت. الآن حان الوقت لهجوم آشور الأخير على يهوذا، والذي استهدف أولاً المدن القوية والمزدهرة في منطقة شفيلة التي نمت بشكل كبير في العقود السابقة. جاء في موشور سنحاريب:

"وأما حزقيا اليهوذائي، فلم يخضع لنيري: فحاصرت مدنه الست وأربعون المحصنة ذات الأسوار، وعددا لا يحصى من القرى الصغيرة التي في محيطها، سويتها بالأرض بالمجانيق الضاربة التي احضرتها وآلات الحصار، وبالهجوم والاقتحام بجنود المشاة بواسطة الحفر والأنفاق والنقب، حاصرتهم وأسرتهم؛ 200150 من الناس، كبارًا وصغارًا، ذكورًا وإناثًا، خيولًا وبغالًا وحميرًا وجمالًا وبقرًا وغنمًا لا عدد لها، أخذتها منهم وأحصيتهم غنيمة."

إن الأدلة الآثارية على الدمار الذي حدث في أواخر القرن الثامن قبل الميلاد هي شهادة بليغة على مدى الخراب الذي أحدثه الآشوريون. وقد لوحظت طبقات الدمار الشديدة في معظم المواقع الرئيسية في منطقة شفيلة، التي كانت أهميتها الاقتصادية لمملكة حزقيا كبيرة. وفي (2 مل 18: 14، 17) هناك إشارات إلى وجود سنحاريب بجيش عظيم في لخيش. صورت المعركة هناك لاحقًا على نقش بارز على الحائط في قصر سنحاريب في نينوى، وهو معروض الآن في المتحف البريطاني. وهو يشتمل على تفاصيل حية مثل إطلاق المدافعين اليائسين السهام

والقاء المشاعل من أسوار المدينة على الجنود المهاجمين؛ ومنحدر الحصار الآشوري والكبش المدرع الذي يخترق دفاعات لخيش؛ والقبض على المتمردين وتعليقهم على الحراب الطويلة المنتشرة حول المدينة. والسبي المفجع لنساء وأطفال يهوذا الذين أخذوا من مدينتهم المستباحة إلى المنفى. وكشفت التنقيبات التي قام بها ديفيد أوسيشكين في لخيش عن أدلة على التدمير الكامل للمدينة، بالإضافة إلى منحدر الحصار الآشوري وآثار الحصار الأخرى.

ابتهج سنحاريب بالإذلال الذي فرضه على الملك اليهوذائي المتمرد في عاصمته غير القادر على مساعدة مدنه وبلداته المحاصرة: "صار [حزقيا] أسيرًا في أورشليم، مقر ملكه، كالعصفور في قفص. لقد أحطته بمتاريس لأضيق على الخارجين من بوابة المدينة". "

فيما يقدم سفر الملوك الثاني نسخة مختلفة من القصة، حيث رُفع الحصار الآشوري عن أورشليم بأعجوبة عندما قتل ملاك أرسله الله 185000 من الجنود المحاصرين أثناء نومهم، وهي رواية فسرها علماء التوراة بأنها تصف الطاعون. هناك حقيقة واحدة تبدو واضحة في كلا النسختين: بدلاً من تدمير أورشليم، حاصرها الجيش الآشوري، لكنه انسحب دون تدميرها أو حتى خلع حزقيا من العرش.

وكانت تكلفة بقائه هائلة. فوفقاً للكتاب المقدس، دُفعت جزية باهظة للملك الآشوري:

فأرسلَ حزقيا إلى مَلِكِ آشور في لخيش يقولُ لَه: «أعتَرِفُ بِخَطَأي، فانصَرِفْ عنِّي، ومهما تَفرِضُ عليَّ أرسِلُهُ إليكَ». ففَرَضَ علَيهِ مَلِكُ آشور أربَعينَ قِنطارَ فِضَّةٍ وأربعةَ قناطيرِ ذهَبٍ. فأرسلَ إليهِ حزقيا جميعَ الفضَّةِ الَّتي وجَدَها في هَيكلِ الرّبِّ وفي خزائِنِ قصرِ المَلِكِ. وهذا ما جعَلَهُ يَنزِعُ الذَّهبَ عَنْ أبوابِ هَيكلِ الرّبِّ وعَنِ الدَّعائِمِ الّتي كانَ هوَ نَفسُهُ غشَّاها بهِ. (2 مل 18: 14-16).

وفقًا لمنشور سنحاريب، فإن الثمن الذي دفعه حزقيا لم يكن كنزًا

فحسب، بل خسارة بعض أكثر الأراضي خصوبة في مملكته، وهي المنطقة الواقعة في سهل شفيلة التي ارتكز عليها ازدهار المملكة الجديد:

".. مدنه التي سلبتها، اقتطعتها من أرضه، وأعطيتها لميتنتي، ملك أشدود، وبادي، ملك عقرون، وسيليبل، ملك غزة. وهكذا حجّمت أرضه. لقد أضفت على الجزية السابقة جزية فرضتها عليه بتسليم أراضيه وضرائبه هدايا لجلالتي. أما حزقيا فغلبه بهاء جلالتي المرعب، فتخلى عنه العرب وجنوده المرتزقة الذين جلبهم لإسناد أورشليم؛ مدينته الملكية. بالإضافة إلى ثلاثين وزنة من الذهب وثمانمائة وزنة من الفضة والأحجار الكريمة والأنتيمون والمجوهرات والإبل الكبيرة والأرائك والكراسي المطعمة بالعاج، وجلود الفيل وأنيابها والأبنوس وخشب البقس وجميع أنواع الكنوز الثمينة، وبناته وحريمه والمغنيين والمغنيات الذين جاء بهم من بعدي إلى نينوى.."

وهكذا دمرت حملة سنحاريب وما أعقبها النظام الاقتصادي الذي بناه آحاز وحزقيا خلال السنوات السابقة. لقد أصبحت يهوذا الآن منكمشة إقليمياً، ومنتفخة ديموغرافياً، وخاضعة تماماً لآشور، ومثقلة بالديون الفادحة.

ومع ذلك فقد استمرت مملكة داود، وبقيت أورشليم قائمة. لقد استمرت الركائز التوأم للمجتمع اليهودي - الإيمان بأنه على الرغم من الانتكاسات المؤقتة، فإن مؤسس سلالتهم، داود، قد أختير من قبل الله، وأن مدينة أورشليم كانت محمية إلهيًا - حتى بعد أن حاصرتها أعظم الإمبراطوريات - فكانت شهادة فريدة على مرونة إحساس يهوذا الجديد بالهوية والمصير. ولكن مع الدمار الذي لحق بشفيلة والعبء الهائل من الجزية الذي كان لا بد من دفعه، كان على حكام يهوذا الآن أن يُطوروا استراتيجيات مختلفة للبقاء على قيد الحياة. ومع صياغة هذه الاستراتيجيات الجديدة ووضعها موضع التنفيذ في العقود التالية، ستضاف عدة طبقات أخرى على قصة داود وسليمان لإنتاج سردًا أكثر تفصيلاً إلى حد كبير عن مملكة إسرائيل الموحدة، بالشكل الذي لدينا في التوراة اليوم.

مراحل	المواد الكتابية	الخلفية التاريخية	الاكتشافات الآثارية
أوائل القرن 7 قبل الميلاد الفصل 5	تأريخ مكتوب لعصر سليمان كملك حكيم وغني على الطراز الإمبراطوري الآشوري العالي؛ التأكيد على ملكه الحكيم، وأنشطة البناء (بما في ذلك بناء الهيكل)، والبعثات التجارية إلى الأراضي الأجنبية.	استمرت الهيمنة الآشورية، بعد حملة سنحاريب المدمرة في يهوذا عام 701 قبل الميلاد. في محاولة للتعافي، يدمج مَنَسَّى يهوذا بالكامل في الاقتصاد الآشوري العالمي.	النشاط الآشوري في السهل الساحلي الجنوبي وأدوم. في يهوذا، إحياء المدينة التي دمرها سنحاريب. العودة المبكرة إلى شفيلة. نشاط قوي في وادي بئر السبع وبرية يهوذا. تزايد علامات الادارة المتقدمة: الأختام، طبعات الاختام، الأوزان، الشقف المرسومة.. إلخ. صعود عقرون المركز الفلسطيني الرئيسي في شفيلة مع أدلة على صناعة زيت الزيتون.

الفصل الخامس

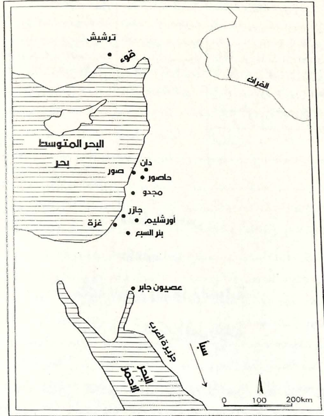
حكمة سليمان؟

ملكية الزبون والتجارة الدولية

أوائل القرن السابع قبل الميلاد

الوصف التوراتي لحكم الملك سليمان لأربعين سنة من الازدهار الملكي والعظمة (1 مل 3 : 10) زوّد الحضارة الغربية ببعض من أكثر صورها تألقًا للملكية المستنيرة، الموجهة بالحكمة والمباركة بثروة لا مثيل لها. مع تأثير ملكي لا تشوشه صورة داود الخلفية العنيفة والمحاربة، فيؤسس سليمان بهدوء بيروقراطية فعالة لإدارة مملكته

الشاسعة ويترأس بلاطًا وقصرًا يشتهران ببذخهما ودماثتهما. وهو يحكم في أصعب القضايا - حتى تلك المتعلقة بالأطفال المتنازع عليهم - بحكمة تامة. يتزوج ابنة فرعون ويبني هيكل أورشليم العظيم. وممتلكاته لا حصر لها: آلاف من الخيل والمركبات (1 مل 4: 26) وسبعمئة من



عالم الكتاب المقدس في عصر الملك سليمان

الحريم (1 مل 11 : 3)، وهو يُجند فرق العمل الإصلاحية في أورشليم والمراكز الإقليمية الأخرى، وينظم حملات تجارية بعيدة المدى "حامِلَةً ذَهَبًا وفِضَّةً وعاجًا وقُرودًا وطَواوِيسَ." (1 مل 10: 22). وسمعته كحاكم حكيم وقوي لا مثيل لها؛ وعندما تَقدِم ملكة سبأ إلى أورشليم من أرضها البعيدة لاختبار حكمة الملك سليمان، تجد أن ثروة سليمان وعظمته تجاوزت حتى أعظم توقعاتها البعيدة جدًا، حتى "أصابَها الذُّهولُ" (1 مل 10: 5). وكقصة عن الأخلاق الملكية والسلوك الأرستقراطي، زوّد السرد التوراتي عن سليمان على مدى قرون الفنانين والشعراء واللاهوتيين بصور خالدة للقيادة الملكية. ولكن؛ بِعدِّها سردًا دقيقًا لأحداث القرن العاشر - حيث تصف الحياة الفعلية لسليمان وأعماله - فليس لها أي قيمة تاريخية على الإطلاق. إن الأوصاف الفخمة للثروة السليمانية والسلطة الملكية التي لا يمكن تحديها تتعارض بشكل سخيف مع الواقع التاريخي لمملكة الريف الصغيرة النائية التي لم تكن تمتلك أي معرفة بالقراءة والكتابة، ولا أعمال بناء ضخمة، ولا إدارة واسعة النطاق، ولا يوجد أدنى علامة على الازدهار التجاري. وبالطبع يمكن للمرء أن يجادل بأن الإعجاب بأنواع الإنجازات المنسوبة إلى سليمان ربما كان من الممكن تصوره حتى في أفقر الممالك أو أكثرها تخلفًا. لكن السرد التوراتي مليء بكثير من التفاصيل المحددة حول المعاملات التجارية، والقيم النقدية، والإدارة الملكية المعقدة، حتى أن مؤلفيها يبدون وكأنهم يصفون واقعاً عرفوه من خلال تجربتهم الشخصية - وليس مجرد الحلم بالمدينة الفاضلة المخترعة أو المتخيلة.

إنه عالم من الروابط الدولية المُيسرة والاحتفاء بالازدهار التجاري، حيث يُنظر إلى عمل الحرفيين المهرة والعمال العاديين (لبناء الهيكل)، كسلعة سعرها قابل للتفاوض بما لا يقل قيمة عن جذوع الأرز أو التوابل. والدخل الذي يتحقق من إعادة بيع المركبات والخيول المستوردة (1 مل 10: 28-29) والحساب الدقيق لدخل المملكة

السنوي "المَفروضِ على التُّجّارِ وجميعِ المُلوكِ الأغرابِ ووُلاةِ أرضِ إسرائيل" (1 مل 10: 15)، يفترض فهمًا وتقديرًا للتفاصيل الإدارية والتجارية العظيمة. وفي الواقع، فإن قصص مفاوضات سليمان مع الملك حيرام ملك صور للمساعدة في بناء الهيكل، وتجارته الدولية في الخيول الأصيلة، وبعثاته البحرية المربحة، وهدايا البضائع الثمينة من ملكة سبأ، تحتفي بحماس بقيم ورؤية ما سوف نسميه اليوم اقتصادًا معولمًا.

وكما سنرى في هذا الفصل، فإن أشهر حلقات قصة سليمان تعكس ذاكرة تاريخية دقيقة، ليس لسليمان فحسب، بل للعصر الدرامي عندما تعافت مملكة يهوذا من حملة سنحاريب التدميرية بالانغماس في عالم التجارة الإمبراطورية. كان التطور الاقتصادي في يهوذا في عصر آحاز وحزقيا مجرد البداية، وقصة سليمان إنما تشير إلى الفصل التالي؛ إنها لا ترتدي سوى زي حكاية قديمة عن الأب المؤسس من أواخر القرن الثامن والسابع. وكما سنرى، فإن تفاصيل وقيم العصر الآشوري تُعد عنصرًا أساسيًا في فهم الدوافع وراء تأليف قصة أكثر ملوك إسرائيل ازدهارًا.

البعث من الرماد

يجلس سليمان التوراتي بشكل مهيب على قمة هرم شاهق من السلطة الملكية. كانت مملكته الممتدة من دان إلى بئر سبع (1 مل 4: 25)، أو، وفقًا لفقرة أخرى، من الفرات إلى حدود مصر (1 مل 4: 21) تفتخر بإدارة حكيمة موجهة من أورشليم بواسطة الملك وزمرة من الكهنة والأمناء والكتبة ومدراء القصر وضباط الجيش والمشرفين على زُمر السخرة. تمركز اثنا عشر ضابطًا محليًا، حُدّدوا بالأسماء مرتبطين بمناطق مُحدّدة بوضوح، في جميع أنحاء المملكة بمهمة توفير "الطّعامَ لَه ولأهلِ بَيتِه، كُلٌ واحدٍ شهرا في السَّنةِ." (1 مل 4: 7). وتدفقت

الحبوب والماشية والأغنام والطرائد البرية إلى أورشليم لتوفير مؤونة الملك اليومية. وجُند آلاف العمال لتنفيذ مشاريع البناء الطموحة للملك، بما في ذلك تحصين أورشليم، وبناء مجدو، وحاصور، وجازر، وإنشاء مستوطنات جديدة في البرية، وبناء "جميعَ المُدُنِ الّتي احتَفَظَ فيها سليمان بِمُستودَعاتِهِ ومَركباتِهِ وخَيلِهِ، وكُلَّ ما أحبَّ أنْ يَبنيَ في أورشليم ولبنانَ وسائِرِ أنحاءِ مَملكتِهِ » (1 مل 9: 19). وكانت المملكة آمنة وموحدة. وكما تقول التوراة: " وأقامَ شعبُ يهوذا وإسرائيل آمِنينَ، كُلُّ واحدٍ تَحتَ كَرمَتِهِ وتينَتِهِ، مِنْ دان إلى بئرِ سبع، كُلَّ أيّامِ سليمان" (1 مل 5: 5).

من الواضح أن هذه الرؤية المثالية لا علاقة لها بالقرى الفقيرة والظروف القاسية في أورشليم في القرن العاشر قبل الميلاد، كما أنها ليست وصفًا دقيقًا لمملكة آحاز وحزقيا سريعة النمو. إن صورتها للتنظيم الملكي الراسخ والبعيد المدى تشبه إلى حد كبير، على الأقل في خطوطها العريضة، إن لم يكن في كل المبالغة، مملكة يهوذا المنظمة والمركزية بشكل متزايد في أوائل القرن السابع قبل الميلاد. فأدوات السلطة الملكية – من التجارة، ومشاريع البناء، والإدارة - بدأت بالظهور في عهد حزقيا، ومورست على نطاق أوسع في عهد ابنه وخليفته مَنَسّى (698-642 ق. م). فإذا كانت هناك شخصية تاريخية تشبه سليمان المذكور في التوراة، فهو هو.

لقد أدى غزو سنحاريب إلى دمار بعيد المدى، مما أدى إلى تدمير المراكز الإقليمية الرئيسية في يهوذا وأغنى المناطق الزراعية. وبحلول وقت اعتلاء مَنَسّى العرش، كان اقتصاد يهوذا في حالة خراب. لقد كانت مدينة أورشليم معزولة وسط ريف مهجور؛ لقد أصبحت "كخَيمةٍ في كَرمٍ، ككوخٍ في مَزرَعةٍ، كمدينةٍ تَحتَ الحِصارِ" بوصف النبي إشعياء (1: 8) ، مدينة ضخمة ومزدحمة في وسط منطقة زراعية نائية مكتظة. لقد كشفت التنقيبات الآثارية في جميع أنحاء وادي شفيلة وبئر السبع في طبقات الرماد والفخار المحطم وحجارة الانهيار المتهدمة التي كشف

عنها في كل مستوطنة تقريبًا ازدهرت في عهد حزقيا في نهاية القرن الثامن قبل الميلاد عن مدى الدمار الذي حدث.

كان هذا إذن هو التحدي المزدوج الكبير الذي واجهه الملك مَنَسَّى: كان الآشوريون يطالبون بدفع جزية سنوية ضخمة، مما أدى إلى إضعاف الإمكانات الزراعية ليهوذا بشدة. فكان على ابن حزقيا وخلفه أن يصوغ استراتيجية اقتصادية جديدة من أجل البقاء. ومع فقدان منطقة شفيلة الحيوية لزراعة الحبوب، كان على يهوذا أن تجد وسائل بديلة للإنتاج الزراعي. وبما أنه لا يمكن الاعتماد على المدن وقرى سلسلة التلال الوسطى - المتخصصة في البستنة - لتعويض الفارق، فلا بد من العثور على أماكن أخرى في المملكة لتزويد المملكة بالحبوب والمحاصيل الحقلية الحيوية. وما تزال هناك حاجة إلى مصادر دخل أخرى للوفاء بالتزامات الجزية الآشورية. وهناك دلائل آثارية تشير إلى أن مَنَسَّى قد واجه التحدي، فالتغييرات الشاملة والانتعاش الاقتصادي الذي حدث في أوائل القرن السابع قبل الميلاد في يهوذا - كما هو واضح في السجل الآثاري - يعكس بشكل غريب أوصاف الاستعمار والإدارة الملكية المخططة التي تحتفي بها قصة سليمان بحماس شديد.

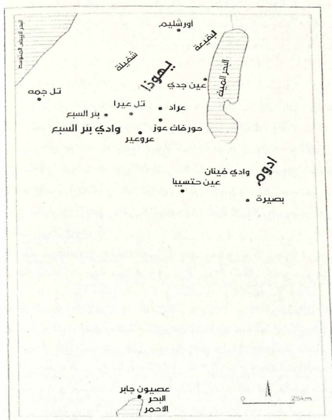
في البداية جاء تطوير المناطق الهامشية بيئيًا. فحتى في زمن أسلاف مَنَسَّى المباشرين، كانت برية يهوذا منطقة مقفرة مليئة بالوديان العميقة والكهوف والمعالم المعزولة في منطقة البحر الميت، وخلفية برية وخطرة لقصص هروب داود مع فرقته من الخارجين على القانون من انتقام الملك شاول. ومع ذلك، في القرن السابع قبل الميلاد، انشئت المزارع والمستوطنات الصغيرة في هذه المنطقة القاحلة التي لا تمطر تقريبًا، حيث كان الرعي منذ مدة طويلة هو أسلوب الحياة الرئيسي. وعلى أساس الاكتشافات الآثارية هنا، فهناك سبب وجيه للاعتقاد بأنه خلال مدة حكم مَنَسَّى الطويلة، انشئت مستوطنات في عين جدي وفي مواقع صغيرة على طول الساحل الغربي للبحر الميت. وفي الوقت نفسه، بدأت الزراعة في وادي البقيعة جنوب أريحا، وعلى المنحدرات

القاحلة شرق أورشليم. وفي أقصى الجنوب، في وادي بئر السبع - وهي منطقة أخرى جافة وذات كثافة سكانية منخفضة في المملكة لا ينتشر فيها سوى عدد قليل من القلاع لحراسة طرق القوافل - زاد الاستيطان بشكل كبير في القرن السابع قبل الميلاد. وانشئت مواقع جديدة في تل مشوش، وحورفات عوز، وحورفات رادوم، وتوسعت مستوطنات تل عروعير. وكشفت التنقيبات السطحية عن وجود المزيد منها. وكما هو الحال في برية يهوذا، كان الهدف زراعيًا بشكل واضح. ففي السنوات لجيدة، كان وادي بئر السبع وحده قادراً على إنتاج أكثر من خمسة آلاف طن من الحبوب سنوياً من خلال أساليب الزراعة الجافة التقليدية، في حين كانت الاحتياجات الأساسية لسكانه لا تتطلب أكثر من 5 بالمائة من هذا القدر. وهكذا، إذا كانت الزراعة في كل من وادي بئر السبع وبرية يهوذا منظمة بشكل جيد - مع أقصى قدر من الزراعة في سنوات هطول الأمطار الكافية، والري، والتخزين الفعال في أوقات الجفاف - فإن هاتين المنطقتين يمكن أن تحلا محل جزء على الأقل من أرض محصول الحبوب من شفيلة المقتطعة الآن وتوفير جزء كبير من احتياجات يهوذا الزراعية.

كان التوسع في المناطق القاحلة مسألة بقاء. ويبدو أنه كان جزءًا من سياسة ملكية مخططة وموجهة بعناية. وفي برية يهوذا بشكل خاص، توجد أدلة على إنشاءات زراعية طموحة، بما في ذلك حفر الصهاريج وبناء السدود للاحتفاظ بمياه الفيضانات الشتوية الثمينة. وفي مجتمعات النقب المستوطنة حديثًا، تشهد الأدلة على إعادة بناء القلعة الملكية في عراد وبناء حصن آخر في حورفات عوز على مستوى عالٍ من الإدارة والسيطرة الملكية. علاوة على ذلك، فإن الزيادة المطردة في عدد الأختام وطبعات الأختام على سفن التخزين والفقاعات[1] في يهوذا خلال هذه الحقبة نفسها تظهر أن المعاملات التجارية والمحاسبة الدقيقة للشحنات الزراعية أصبحت ذات أولوية عالية.

---

(1) الفقاعات عبارة عن كتل صغيرة من الطين، غالبًا ما تكون بحجم ظفر الإصبع وتكون على شكل أقراص مسطحة، والتي يتم تثبيتها عادةً بسلك يربط سلعة أو مستندًا ثم يتم ختمها بختم والفقاعات العبرية من زمن مملكة يهوذا معروفة من خلال الحفريات المسجلة وكذلك من سوق الآثار. انظر: JOURNAL ARTICLE; The Authenticity of the Bullae of Berekhyahu Son of Neriyahu the Scribe, by Yuval Goren and Eran Arie, Bulletin of the American Schools of Oriental Research, No. 372 (November 2014), pp. 147- 158. المترجم



المواقع الرئيسية في مملكة الملك منسى

عندما أعاد مَنَسَّى تنظيم مملكته، تجسدت العناصر الرئيسية لإدارة ملكية جيدة التخطيط، في المشهد العام، وفي حياة من المسؤولين والعمال والمستوطنين الذين تم ترتيبهم وتنظيمهم لتنفيذ أوامره. في هذا الوقت فقط، كان الوصف التفصيلي للضباط الملكيين والحصون الإقليمية وعواصم المقاطعات قد بدأ يكتسب أهمية مميزة في الاحتفال بإنجازات سليمان.[1] بالطبع كانت هناك اختلافات بين يهوذا في القرن السابع ونطاق سليمان الشاسع الموصوف في التوراة. في زمن مَنَسَّى، كانت يهوذا مقتصرة على منطقة التلال الجنوبية وأطراف البرية، وكانت أراضي مملكة إسرائيل السابقة تحت الحكم الآشوري المباشر. وعلى النقيض من ذلك، تُصوّر الأوصاف التوراتية إدارة سليمانية تمتد عبر المواقع الرئيسية لمملكة أرض إسرائيل بأكملها، تشمل جميع الأراضي والقبائل الشمالية في إسرائيل. ومن الواضح أن هذا يتطلب تفسيرًا. فإذا كان القصد هو الاحتفاء بشكل مقنع بنوع جديد وأكثر كفاءة من الإدارة الملكية في يهوذا، فلماذا وُصف النطاق الجغرافي لمملكة سليمان بأنه واسع جدًا؟

حاصور ومجدو وجازر

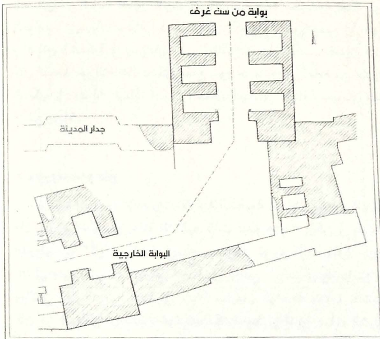
على النقيض من الإنجازات الإدارية العظيمة لمملكة إسرائيل الزائلة، فان جهود مَنَسَّى في إعادة التنظيم كانت تبدو هزيلة. ولكن في صياغة أيديولوجية "كُل إسرائيل" في عصر حزقيا، توسع تراث داود - وهو بالتالي حق سليمان الطبيعي - ليشمل أراضي كل من يهوذا وإسرائيل. وبالتالي فإن التوسع الجغرافي لإدارة سليمان الواسعة لتشمل الشمال كان من الممكن أن يكون خطوة منطقية وضرورية في إضفاء الشرعية

(1) إن وصف العصر الآشوري الواضح لزمن سليمان يمكن أن يتناسب أيضًا مع الظروف في يهوذا في عهد يوشيا (639-609 قبل الميلاد)، والذي جرى خلاله (كما سنرى في الفصل التالي) تجميع التاريخ التثنوي. ومع ذلك، فإن الصورة السلبية لسليمان في سفر الملوك الأول 11، والتي تعكس الأيديولوجيا المميزة لسفر التثنية، تبدو وكأنها نقد لوصف موجود بالفعل لحكم سليمان العالمي.

على النظام الملكي اليهوذائي الجديد - ونسبه الداودي - باعتباره تقليدًا جليلًا يمتد إلى أصول السلالة.

أقنعت فقرة توراتية مأخوذة من السرد السليماني، والتي تتناول ثلاثة مواقع شمالية مشهورة، في الآونة الأخيرة، عديد من علماء الآثار بأن إمبراطورية سليمان العظيمة كانت حقيقة تاريخية:

"وسَخَّرَ المَلِكُ سليمان عُمَّالا لِبِناءِ قصرِهِ والهَيكلِ، ولِبِناءِ مَلو وسُورِ أورشليم وحاصور ومجدو وجازرَ " (1 مل 9: 15).



بوابة مجدو ذات الغرف الست غرف

إن التنقيب عن البوابات ذات الست غرف المتماثلة في حاصور ومجدو وجازر - المرتبطة بهذه الفقرة التوراتية الوحيدة وبالتالي يُرجع تاريخها إلى القرن العاشر قبل الميلاد - قد وضع الأساس لعلم الآثار التقليدي لسليمان ومملكته الموحدة. ومع ذلك، فقد تم دحض هذا التفسير بشكل قاطع سواء على المستوى الطبقي أو لأسباب تاريخية.[1] فالبوابات السليمانية المفترضة تعود إلى فترات زمنية مختلفة، في القرنين التاسع والثامن قبل الميلاد، وعُثر على بوابات مدن مماثلة بشكل لافت للنظر خارج حدود مملكة سليمان، حتى وفقًا لوجهة نظر متشددة إقليميًا. لكن الإشارة المحددة في التوراة إلى بناء سليمان لحاصور ومجدو وجازر لها أهمية من ناحية مختلفة تمامًا. كانت المدن الثلاث تقع في أراضي صور للمملكة الشمالية وربما كانت أهم مراكزها الإدارية بعد عاصمتها السامرة. ومن هنا ربما ينبغي البحث عن الحقيقة التاريخية وراء الفقرة (1 مل 9: 15) في كيفية استيعاب التراث السليماني للذكريات الأثيرة من تاريخه في الشمال.

ازدهرت مجدو لأول مرة كمدينة إسرائيلية شمالية تحت حكم بيت عمري في القرن التاسع قبل الميلاد، عندما بُني قصران جميلان هناك. وفي القرن الثامن، على الأرجح في زمن يربعام الثاني، جُهزت المدينة ببوابة متقنة مكونة من ست غرف وتضم مجمعًا واسعًا من الاسطبلات، يحيط بها سور المدينة الضخم. وكان بها نظام مياه متطور: عمود عميق ونفق يؤدي إلى نبع عند سفح التل. وبالمثل، كانت حاصور مدينة بارزة في زمن بيت عمري، وقد احتلتها لمدة وجيزة مملكة دمشق وزينتها، وأعيدت إلى الحكم الإسرائيلي وأعيد بناؤها على نطاق واسع في زمن الملك الشمالي يربعام، في القرن الثامن قبل الميلاد. وفي حاصور أيضًا، بُني نظام مياه متقن مقطوع في الصخر في أوائل القرن

---

(1) لمزيد من التفاصيل حول الجدل الدائر حول الموثوقية التاريخية لأنشطة البناء السليماني العظيم، انظر الملحق 3..

الثامن قبل الميلاد. وكانت جازر أيضًا داخل حدود المملكة الشمالية ووصلت إلى أقصى حد لها في القرن الثامن قبل الميلاد، عندما كانت المدينة محاطة بسور حجري ضخم، مشابه للأسوار المكتشفة في مجدو وحاصور. بعد ذلك دُمجت بوابة مكونة من ست غرف - كبوابة داخلية - في نظام دخول متقن. وهكذا كانت مجدو وحاصور وجازر جميعها مدن إسرائيلية ازدهرت في النصف الأول من القرن الثامن، أيام يربعام الثاني العظيم، باعتبارها المراكز الإدارية الرئيسية للمملكة الشمالية. وليس هناك شك في أن ذكرهن في السرد السليماني يمثل محاولة لتعزيز مكانة سليمان ومواصلة دمج هيبة المملكتين الشمالية والجنوبية من خلال نسبة عظمتهما المعمارية إليه على نحو مفارقة تاريخية.

إن قائمة رؤساء مناطق سليمان (1 مل 4: 7-19) تحمل أيضًا توافقًا وثيقًا مع تنظيم المملكة الشمالية. وتشمل المناطق الملكية - التي تقع جميعها في الشمال - والتي تغطي تقريباً النطاق الجغرافي للمملكة الشمالية في ذروتها. وفي غرب الأردن، تمتد هذه المناطق من أشير ونفتالي في الجليل إلى المنطقة المحيطة بوادي أيلون وجبال بنيامين جنوبا، شرقي الأردن، وتمتدان من جلعاد إلى شمال موآب. ذُكرت عديد من المدن الرئيسية في المملكة الشمالية صراحةً، ولكن استبعدت يهوذا - بتلالها والنقب وشفيلة - مما يشير إلى أن القائمة تعتمد على الأرجح على نص إداري شمالي. ولكن عُدّل هذا المصدر بإضافة يهوذا في فقرة مختصرة؛ ومن الممكن بعد ذلك أن تُوضع في خدمة الاحتفال بالملك سليمان المقيم في أورشليم باعتباره أبو الدولة المنظمة في "كُل إسرائيل".

يبدو أننا نواجه هنا حالة من الكتابة الإبداعية، تتمثل في إدراج التاريخ الإداري الشمالي اللاحق في التراث التوراتي لسليمان. لأنه مثلما واجه حزقيا تدفق عدد كبير من اللاجئين من المملكة الشمالية المحتلة وسعى إلى دمجهم في يهوذا الجديدة وإسرائيل متحدين في أمة واحدة تحت

رايتي السلالة والهيكل، واجه ابنه مَنَسَّى المشكلة لتبرير الزيادة الهائلة في القوة الملكية للسكان المختلطين نفسهم، الذين أُعيد توطينهم وتنظيمهم وفقًا للإرادة الملكية.

إذا كان من الممكن إثبات أن مثل هذه الامتيازات الملكية كانت تحقيقًا طبيعيًا للوعد لآل داود، بالإضافة إلى تحقيق التقليد الملكي الموقر في الشمال في أيام مجد بيت عمري ويربعام الثاني، فإن الرواية السليمانية سوف تكتسب سلطة التراث من كل من يهوذا وإسرائيل. وبالتالي فإن رؤية المملكة الموحدة في عهد سليمان هي تعبير عن الأهداف السياسية والاقتصادية والاجتماعية في القرن السابع، والتي تعززها ذكريات التطور الإداري والسياسي الكبير في الشمال. لقد كان هذا هو التعبير النهائي عن الدولة اليهودية في القرن السابع قبل الميلاد.

إن إلقاء نظرة فاحصة على عنصر آخر من تراث سليمان - وهو ارتباطه بالخيل - يشير إلى أن عملية التطوير الأسطوري نفسها واستيعاب التراث الشمالي كانت تعمل فيما يتعلق بإضفاء الشرعية على مشاركة يهوذا الحيوية المتزايدة في التجارة الدولية.

كل خيول الملك

يُذكر الملك سليمان في التقليد التوراتي باعتباره أحد أعظم تجار الخيول في التاريخ:

وكانَ لِسليمان أربَعونَ ألفَ مَعلَفٍ لِخَيلِ مَركباتِهِ، واثنا عشَرَ ألفَ فرَسٍ. وكانَ وُكلاؤُهُ الاثنا عشَرَ يُؤَمِّنونَ الطَّعامَ لَه ولِجميعِ الّذينَ يَحضُرونَ مائِدَتَهُ، كُلٌّ واحدٍ في شهرِهِ، ولم يَترُكوهم في حاجةٍ إلى شيءٍ. وكانوا يَجمَعونَ الشَّعيرَ والتِّبْنَ لِلخَيلِ والبِغالِ إلى حَيثُ تَدعو الحاجةُ كُلٌّ حسَبَ مُهِمَّتِهِ. (1 مل 5: 6-8).

وجمَعَ سليمان مَركباتٍ وخَيلا، فكانَ لَه ألفٌ وأربَعُ مئةِ مَركَبةٍ واثنا عشَرَ

ألفَ فَرَسٍ. فاحتَفَظ بِبَعضِها في المُدُنِ المُحَصَّنةِ وبِبَعضِها الآخَرِ عِندَهُ في أورشليم. . (1 مل 10 : 26) ؛ انظر أيضًا (1 مل 9 : 19، 22).

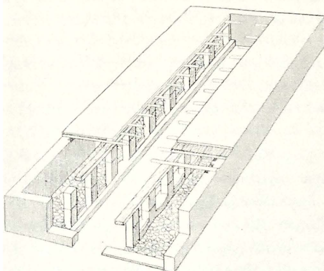
وفي عشرينيات القرن العشرين، اعتقد علماء الآثار خطًأ أن البقايا الفعلية لإصطبلات سليمان قد عُثر عليها في مدينة مجدو الشمالية الكبرى. فقد كشفت بعثة تابعة لجامعة شيكاغو عن سلسلة من المباني ذات الأعمدة المتقنة، المزودة بأكشاك ومعالف تغذية، والتي حددت على أنها إسطبلات سليمان. وقد دَحضت الأبحاث اللاحقة في مجدو التاريخ السليماني للمباني. ومن الواضح الآن أنها بنيت في وقت الازدهار الكبير في المملكة الشمالية في النصف الأول من القرن الثامن قبل الميلاد، في عهد يربعام الثاني. وعلى الرغم من أن بعض المتخصصين يواصلون التساؤل عما إذا كانت هذه الهياكل عبارة عن إسطبلات حقًا، فقد أثبتت الباحثة الأمريكية ديبورا كانتريل Deborah Cantrell بشكل مقنع أنها كانت تستخدم بالفعل للخيول. وفي أجزاء أخرى من الشرق الأدنى القديم، اكتشفت هياكل مماثلة - كما في بسطام في شمال إيران- وفي منطقة أورارتو القديمة، التي اشتهرت آنذاك بقوة سلاح الفرسان، وكشف الفحص الكيميائي للتربة في مبنى مماثل عن أدلة على وجود بول الحيوانات، مما يؤكد استخدام هذا النوع من الهياكل كإصطبلات. وبالقرب من نينوى، عاصمة آشور عُثر على أحواض حجرية مشابهة لتلك الموجودة في مجدو تحمل نقوشًا تشير بوضوح إلى أنها معالف خيول.

في الواقع، كانت مملكة إسرائيل معروفة جيدًا بمهاراتها في الفروسية. وتشهد النصوص الآشورية على الدور الخاص الذي لعبه سائقو المركبات الإسرائيلية في الجيش الملكي الآشوري بعد غزو الشمال. فتذكر "قوائم الخيول" الموجودة في حصن شلمانصر[1] والتي يرجع

(1) قوائم الخيول هي مجموعة مكونة من 23 لوحًا إداريًا تسجل أعداد الخيول والمركبات والجنود الذين جمعت من أجل التجمعات الكبرى للجيش التي كانت تقام بشكل دوري في الحصن.

تاريخها إلى أيام سرجون الثاني؛ سبع وحدات، إحداها - وهي الثانية من حيث الحجم - تتألف من ضباط عربات من السامرة. وهذه القوة الإسرائيلية هي الوحيدة خارج آشور التي ذُكرت كوحدة قومية، تحت اسم مدينتها. وقد عُومل سائقو المركبات الإسرائيلية هؤلاء معاملة خاصة، حيث فرضت عليهم ضريبة معتدلة فقط - مماثلة لتلك المفروضة على الآشوريين الأصليين. وتذكر النقوش الملكية لسرجون الثاني مجموعة من المسبيين الذين يتمتعون بالموهبة المهنية نفسها : "لقد شكلت منهم وحدة مكونة من 50 عربة [200 في نص موازٍ]، وسمحت للبقية بمتابعة مهاراتهم الخاصة". وربما كان ارتباط مملكة إسرائيل بالخيول أكثر اتساعًا من الحاجة لها في قوات المركبات وسلاح الفرسان الخاصة بها. فقد تمثل مجمعات المباني ذات الأعمدة في مجدو المجهزة بأكشاك لمئات الخيول في الواقع مشاركة إسرائيلية طموحة وناجحة في تجارة الخيول الدولية.

ما هي أنواع الخيول التي تم تداولها في هذه الحقبة؟ من بين جميع خيول الحرب التي كانت تحظى بتقدير كبير لدى الآشوريين، لم يكن أي منها أكثر طلبًا من الخيول الأصيلة الشهيرة من منطقة كوش، جنوب مصر، على طول أعالي النيل. وكانت هذه الخيول الكوشية تعتبر الأفضل للمركبات، وقد ورد ذكرها في النصوص الآشورية - كهدية أو مشتريات - منذ أيام تغلث فلاسر الثالث إلى عصر آشور بانيبال. وابتداءً من أواخر القرن الثامن قبل الميلاد، عندما انشئت المراكز التجارية الآشورية في فلسطين، على طول السهل الساحلي الجنوبي، حصل الآشوريون على خيولهم الكوشية عن طريق التجارة المباشرة مع مصر.



(اعادة بناء اصطبلات مجدو وفقا لديبورا كانتريل ولورانس بلكين).

بعد بضعة عقود، غزت آشور مصر اسميًا على الأقل، وحصل الملوك الآشوريون العظماء في القرن السابع قبل الميلاد - أسرحدون وآشور بانيبال - على خيولهم المصرية ليس من خلال التجارة ولكن من خلال فرض جزية سنوية للخيول. ومع ذلك، في عصر ما قبل الآشوريين الرسمي مع وجودها في مدن فلسطين وبعد ذلك في مصر، فإن تجارة الخيول لمسافات طويلة بين مصر وآشور - وهي حيوية للغاية للأغراض العسكرية - كانت ستتم بشكل غير مباشر. هنا قد يكون لدينا الرابط بين إسطبلات مجدو، والسجلات الآشورية، والتراث السليماني. فطوال معظم القرن الثامن قبل الميلاد، يبدو من المحتمل أن مملكة إسرائيل الشمالية قد اكتسبت ازدهارًا كبيرًا من خلال كونها المستورد الرئيسي والوسيط بين الخيول المصرية الشهيرة - وخاصة الكوشية أو النوبية - و آشور. رُبيت الخيول ودُربت في مجمع الإسطبل في مجدو، وهو أكبر مجمع إسطبل معروف في الشرق الأدنى القديم، ثم بيعت بعد ذلك إلى آشور ولإسطبل مجدو وربما لعملاء آخرين في عهد يربعام الثاني. وبحلول زمن منسّى، لم يكن هناك أي دليل على تجارة الخيول في يهوذا.

ومع ذلك، فإن ذكرى تجارة الخيول المربحة في المملكة الشمالية كانت لها قيمة إيجابية. ولعبت دورًا بارزًا في تعزيز بريق وثروة الملك سليمان. فيشير الوصف الذي عفا عليه الزمن لتعاملات سليمان مع الخيول إلى أنه كان مبنيًا على تفاصيل غامضة عن التجارة الإسرائيلية في القرن الثامن - وربما اليهوذائية الأكثر تواضعًا:

وكانَ تُجّارُ سليمان يَستَوردونَ الخَيلَ مِنْ كيليكيةً. والمَركَباتِ مِنْ مصر ويُصَدِّرونَها لِمُلوكِ الحِثِّيِّينَ والأراميِّينَ. وكانَتِ المَركبةُ بِستِّ مئَةِ قِطعَةٍ مِنَ الفِضَّةِ، والفرس بِمئةٍ وخمسينَ.. (مل1 : 10 : 28-29)

إن ذكر علاقات التسويق - التي حصلوا عليها من مصر وبيعها للممالك الشمالية - قد يعكس ذكرى الوضع في مجدو في القرن الثامن قبل

الميلاد، عندما كانت الخيول مصدرا هائلا للثروة والهيبة.[1] ومع ذلك، فإن التفاصيل المحددة للسعر، المقوم بالفضة، كما كانت الممارسة في الاقتصاد الآشوري المُعولم في القرن السابع، لا بد أن تكون انعكاسًا لعصر مَنَسّى.

على الأقل في بعض الدوائر في أورشليم، كان دمج تلك الذكرى في التراث السليماني طريقة أخرى لإقناع شعب مملكة يهوذا بأن التجارة مع آشور كانت مفيدة اقتصاديًا ومتأصلة بعمق في تراث مملكتي يهوذا وإسرائيل. ويمكن الآن النظر إلى الأعداد المتضخمة من الخيول والأكشاك والمركبات المذكورة في فقرات التوراة على أنها عناصر أسطورية لإبداع أدبي يهدف إلى إثارة إعجاب القارئ أو المستمع، بدلاً من تقديم وصف تاريخي دقيق له.

القوافل والجمال وملكة سبأ

وفقًا للتوراة، كان سليمان أعظم التجار في السلع الأخرى أيضًا. ووصف مدة حكمه مليء بالإشارات إلى العناصر التجارية الثمينة من الأراضي الغريبة. فقد بنى سليمان وحيرام ملك صور سفنا في عصيون جابر التي عند إيلة على شاطئ البحر الأحمر في أرض أدوم، وأبحرا من هناك إلى مكان اسمه أوفير ليجلبا الذهب (1 مل 9: 26-28؛ وأيضًا 10: 11). تقع عصيون جابر في موقع تل الخليفة على الطرف الشمالي لخليج العقبة. أما تحديد هوية أوفير فهو أقل تأكيدًا. وقد اقترح بعض

(1) تم تسجيل دور إسرائيل في تجارة الخيول في القرن الثامن في مكان آخر في التراث التوراتي، ولكن مع تطور سلبي بالتأكيد. فيشير نبي القرن الثامن عاموس إلى خيول إسرائيل (4: 10)، وإشعياء - الذي تنبأ في أيام يربعام الثاني - يدين " المُعتَمِدينَ على الخَيلِ، المُتَوكّلينَ على كثرةِ المَركباتِ وجَبروتِ الفُرسانِ". (31: 1). ويبدو أن النبي الشمالي هوشع، الذي عاش أيضًا في القرن الثامن قبل الميلاد، يلمح إلى علاقة الخيل الخاصة بين إسرائيل وآشور في إعلانه أن " آشور لا تُخَلِّصُنا ولا يُخَلِّصُنا رُكوبُ خيولِ الحربِ" (14: 3). وتجارة الخيل مع مصر مُدانة في تثنية 17: 16: " لِئلاَّ يتغَلَّبَ عليهِ أصلُهُ فيُكثِرَ مِنَ الخَيلِ ويَزيدَ على ما عِندَهُ مِنها لِيَرُدَّ الشَّعبَ إلى مِصْرَ". سنرى في نهاية هذا الفصل أن التقليد السليماني سيخضع أيضًا في النهاية لهذه الأزمة.

العلماء أنها ليست أكثر من مجرد أسطورة - أي ما يعادل إلدورادو الشرق الأدنى - لكن في جدول الأمم في (تك 10: 28-29) تظهر مع سبأ، التي لا شك أنها تقع في جنوب شبه الجزيرة العربية. وليس من مغامرات سليمان التجارية أشهر من زيارة دولة ملكة سبأ إلى أورشليم بجمال تحمل أطيابًا وذهبًا وأحجارًا كريمة.

كان الملوك والمعابد والبيوت الملكية في عالم البحر الأبيض المتوسط يبحثون عن وفرة من التوابل الثمينة والعاج والبخور، التي تتدفق شمالًا من شبه الجزيرة العربية والقرن الأفريقي. وكانت منافذ طرق التجارة العربية تسيطر عليها مدن فلسطين، لكن القوافل ظلت تنتقل من طريق صحراوي إلى آخر وفقًا للظروف السياسية والاقتصادية والأمنية المتغيرة. وفي أوائل القرن الثامن قبل الميلاد، يبدو أن الطريق المفضل كان من شبه الجزيرة العربية إلى رأس خليج العقبة، ومن هناك إلى غزة عبر شمال شرق سيناء. وتشير السجلات الآشورية في كثير من الأحيان إلى الشعوب العربية المختلفة التي سكنت الصحاري الجنوبية وشاركت بنشاط في التجارة. ويبدو أن مملكة إسرائيل كانت منخرطة أيضًا في التجارة الصحراوية. وفي موقع (قنطلة عجرود) على طريق القوافل بين العقبة وغزة، اكتشف مزار يضم مجموعة غنية من القطع الآثارية والرسومات والنقوش، مما يدل على التبادل الثقافي النشط في هذا المكان النائي والمعزول حيث كان السبيل والوكلاء التجاريون من فينيقيا وإسرائيل والجزيرة العربية للتوقف لمدة وجيزة أثناء رحلاتهم، مستعينين بآلهتهم المختلفة لتراقبهم أثناء مرورهم عبر الطرق الصحراوية الخطرة وغير المحمية.

وبقدر ما يمكننا أن نقول، فإن مملكة يهوذا الصغيرة غير الساحلية لم تلعب أي دور مهم في هذه المرحلة المبكرة من التجارة العربية.

ويبدو أن الأمور قد تغيرت بشكل كبير في أواخر القرن الثامن قبل الميلاد عندما تحرك الآشوريون بشكل حاسم لبسط سيطرتهم. ومع اهتمامهم

المتزايد بالتجارة العربية، قام الآشوريون بتحويل طريق التجارة الرئيسي إلى أدوم وجنوب يهوذا، حيث يُمكن مراقبة أمنها بعناية أكبر. وكانت الطريقة الآشورية للسيطرة على التجارة في المناطق النائية من الصحاري هي عقد اتفاقيات مع زعماء المجموعات العربية التي تمر القوافل عبر أراضيهم. ولكن في المناطق الأقرب إلى الأراضي المستقرة والموانئ البحرية، لا يمكن ترك أمن الطرق للدبلوماسية العرضية. فهناك أنشأ الآشوريون نظامًا من الحصون القوية والمراكز الإدارية، مثل عين حتسباه، جنوب غرب البحر الميت؛ والبصيرة، عاصمة أدوم، بالقرب من البتراء في الأردن؛ وتل الخليفة، في الطرف الشمالي لخليج العقبة. وربما كان أفراد من اليهود والأدوميين قد نُشروا في تلك الحصون تحت القيادة الآشورية. وأخيرا، على طول ساحل البحر الأبيض المتوسط، أنشأ الآشوريون عدة موانئ تجارية، والتي تم منها شحن البضائع العربية بمساعدة الوسطاء الفينيقيين. فقد اعتبر تغلث فلاسر الثالث غزة "مقر جمارك لآشور" وأعلن سرجون الثاني أنه فتح حدود مصر للتجارة، واختلط الآشوريين بالمصريين، وشجعوا التجارة المتبادلة - في إشارة إلى السلع العربية بلا شك. وقد كشف عن البقايا الآثارية لمثل هذه المتاجر التجارية على ساحل البحر الأبيض المتوسط بالقرب من أشدود وجنوب غزة.

وهكذا توسع النشاط المتنامي في وادي بئر السبع بشكل كبير في عهد مَنَسّى. إلى جانب الاستيطان المكثف والإنتاج الزراعي في هذه المنطقة الهامشية، وشاركت المملكة بشكل أكثر نشاطًا واستفادت من التجارة المزدهرة في الجنوب تحت السيطرة الآشورية. وشهدت المناطق الواقعة على طول طريق القوافل، من تلال أدوم عبر وادي بئر السبع، إلى المراكز التجارية الساحلية الخاضعة للسيطرة الآشورية، توسعًا اقتصاديًا وديمغرافيًا غير مسبوق خلال القرن السابع قبل الميلاد. وفي التلال الآدومية، انشئت عديد من المستوطنات الجديدة وتضاعفت المساحة المبنية في مدن وادي بئر السبع في غضون بضعة عقود فقط.

ويمكن الشعور بتأثير الإشراف الآشوري على مسافة بعيدة من طريق التجارة، مع وجود أوعية القصر الآشوري المميزة أو نسخها المقلدة في كل موقع تقريبًا جرى التنقيب فيه على طول مساره.

وقد أكدت الاكتشافات الآثارية الغنية مصدر هذه التجارة: حيث عُثر على نقوش عربية جنوبية وآثار حجازية في عدة مواقع في المنطقة، بما في ذلك أورشليم. وأصبحت طريقة النقل واضحة أيضًا من خلال تحليل عظام الحيوانات أثناء التنقيب في واحدة من أكثر محطات التجارة الآشورية تفصيلاً، تل جمة، داخل غزة. بقايا الجمال المستأنسة - رغم ندرتها في العصور السابقة - زادت بشكل كبير في القرن السابع قبل الميلاد، والعظام تكاد تكون حصرية بحيوانات بالغة، مما يوحي بأنها كانت من دواب متنقلة، وليست من قطعان مُرباة محليا (التي يمكن العثور بينها أيضًا على عظام صغارها).

ولا شك أن الآشوريين من خلال سيطرتهم على أطراف طرق التجارة العربية وعلى الدويلات التابعة لشرق الأردن ويهوذا، قد حصلوا على نصيب الأسد من عائدات التجارة. لكن القيمة الهائلة للسلع الثمينة التي شُحنت شمالاً ضمنت أنه حتى شركاء آشور الصغار سوف يزدهرون أيضًا من خلال مشاركتهم في التجارة. كانت أدوم، وهي أرض قاحلة ونائية ذات يوم، ذات أهمية استراتيجية بالنسبة للآشوريين كمنطقة عازلة ضد القبائل الصحراوية المعادية. فأنشئت مراكز السيطرة الآشورية هناك لضمان أمن التجارة وتعزيز هذه الدولة الحدودية شبه المستقلة.

وبالمثل استفادت يهوذا من الازدهار في المدن ومحطات الطرق في وادي بئر السبع، وهناك بعض الأدلة على أن بعض التجارة على الأقل قد حولت إلى أورشليم نفسها. لقد اكتشفت أثناء التنقيب في مدينة داود في أورشليم، على ثلاث شقف مكتوب عليها نص عربي جنوبي على الفخار اليهوذائي المحلي، ما يشير إلى أن مجتمعًا صغيرًا على الأقل من

العرب قد أقام هناك. إن العثور بالصدفة على ختم عبري من القرن السابع يحمل ما يُفترض أنه اسم عربي جنوبي - والفرضية القائلة بأن مَشُلَّمَةُ زوجة الملك مَنَسَّى، ابنة حاروص من يطبة (1 مل 21: 19)، كانت امرأة عربية - يعزز من قوة هذه الفرضية. على افتراض أن مَنَسَّى كان حريصا على توسيع مصالحه التجارية في الجنوب.

وكانت هذه استراتيجية اقتصادية حيوية بشكل متزايد ليهوذا؛ ويمكن اكتشاف الدليل على أهميتها في القصة التوراتية لزيارة الدولة التي قامت بها ملكة سبأ إلى أورشليم برفقة قافلة كبيرة تحمل بضائع تجارية ثمينة. وبحلول عصر مَنَسَّى، كانت مملكة سبأ النائية، في منطقة اليمن الحديث، مشهورة بالعطريات التي كانت تحملها قوافل الجمال إلى بلاد الشام. وقد ورد ذكرها في المصادر الآشورية في أواخر القرن الثامن قبل الميلاد، في أيام تغلث فلاسر الثالث، وسرجون الثاني، وسنحاريب. على الرغم من أن الأبحاث الآثارية الأخيرة كشفت على ما يبدو عن بقايا تعود للعصر الحديدي في اليمن، لكن من الواضح أن مملكة سبأ قد بدأت في الازدهار فقط منذ القرن الثامن قبل الميلاد فصاعدًا. فلا عجب أن رؤى شبه الجزيرة العربية اكتسبت مثل هذه الأهمية الكبيرة في تراث يهوذا.[1]

وحقيقة أن سفر الملوك يتحدث عن زيارة ملكة (وليس ملكًا) تضفي ملاحظة إضافية على المصداقية، فبالنسبة للوثائق الآشورية عن الجزيرة العربية فإنها تشهد على ظاهرة الملكات العربية أواخر القرن الثامن وأوائل القرن السابع قبل الميلاد (حتى 690 ق.م).

وبالتالي فإن قصة ألف ليلة وليلة التوراتية لسليمان وسبأ هي قصة عفا

(1) بعيدًا عن التراث السليماني، ظهرت سبأ بشكل بارز في أقوال أنبياء يهوذا في القرنين السابع والسادس قبل الميلاد. يتنبأ إشعياء أن" وقَوافِلُ الجِمالِ تملأُ أرضَكِ، ومِنْ مِديانَ وعيفَةَ بَواكيرُها، والّذينَ مِنْ سَبأٍ يجيئونَ كُلُّهُم حامِلينَ الذَّهبَ والبَخورَ ومُبَشِّرينَ بأمجادِ الرّبِّ .(60: 6). ويتساءل إرميا بغضب: « لِماذا يأتونَني بِالبَخورِ مِنْ شَبا وبِعيدانِ الطّيبِ مِنْ أرضٍ بعيدةٍ؟ » (6: 20) ويتهم حزقيال صور بأن « تُجّارُ شَبا ورعمةَ كانوا تُجّارَكِ وبأفضلِ أنواعِ الطيّبِ والأحجارِ الكريمةِ والذّهَبِ بادلوكِ بضائِعَكِ. " (27: 22).

عليها الزمن من القرن السابع الميلادي تهدف إلى إضفاء الشرعية على مشاركة يهوذا في التجارة العربية المربحة.

مَن بنى الهيكل؟

يُذكر سليمان بطبيعة الحال باعتباره باني الهيكل الكبير في أورشليم، ولكن كما لاحظنا، فإن علم الآثار صامت تمامًا فيما يتعلق بتاريخه المبكر. وليس هناك من شك في أن الهيكل الأول بُني على الجزء الشمالي الأعلى من سلسلة تلال مدينة داود. لكن هذه المنطقة - منطقة الحرم الشريف - تضم الآن اثنين من أكثر المعالم المقدسة في الإسلام، المسجد الأقصى وقبة الصخرة، ولأسباب دينية، لم يكن من الممكن إجراء أي تنقيب أثري واسع النطاق هناك.

وحتى لو كان من الممكن التنقيب تحت قبة الصخرة، فمن المشكوك فيه أن يُعثر على أي بقايا مهمة من العصر الحديدي. ففي القرن الأول قبل الميلاد كان جبل الهيكل مسرحًا لواحدة من أعظم عمليات البناء في تاريخ الأرض المقدسة، ذلك عندما أقام الملك هيرودس الكبير المصطبة الضخمة التي ما تزال قائما حتى اليوم (التي يقوم عليها المسجد الأقصى وقبة الصخرة). بُني كمصطبة رومانية نموذجية: كان التل الأصلي بأكمله محاطًا بجدران داعمة ضخمة - بما في ذلك الحائط الغربي، أو حائط المبكى في التراث اليهودي - وسُويت المنطقة الداخلية أو مُلئت أو بُنيت بأروقة وأقبية داعمة. وهناك احتمال ضئيل بأن تكون بقايا العصر الحديدي قد نجت من هذه العمليات الهائلة.

وهكذا، ومع عدم وجود بقايا آثارية، فإننا مجبرون على العودة إلى النص. فلا يمكن أن يكون هناك شك في أن الوصف التفصيلي للهيكل في سفر الملوك الأول (6-7) كتبه مؤلف كانت لديه معرفة وثيقة بالهيكل الأول قبل أن يدمره البابليون في أوائل القرن السادس قبل الميلاد. ولكن هل بنى سليمان الهيكل الأصلي؟ باعتباره ابنًا لزعيم محلي

لنظام حكم صغير ومعزول في التلال، فان سليمان لم تكن لديه إمكانية الوصول إلى الموارد للقيام بأكثر من مجرد إقامة أو تجديد ضريح محلي متواضع لسلالة حاكمة من النوع المعروف جيدًا في الشرق الأدنى القديم.

ولم يكن من الممكن بناء معبد أكثر ضخامة - من النوع الموصوف في التوراة - إلا من قبل أحد الملوك الداوديين اللاحقين، في الوقت الذي نمت فيه يهوذا لتصبح دولة أكثر تعقيدًا، مع مزيد من قوى عاملة، وموارد اقتصادية، ومهارات بناء. نحن ببساطة لا نعرف من الذي بنى أول هيكل متقن في أورشليم، والذي بحلول زمن حزقيا كان قد جمّع بالفعل ثروة كبيرة وأثاثًا باهظ الثمن (تم تجريده منه لتقديم الجزية لآشور (2 مل 18: 15-16)). ومن الممكن أن يكون الوصف الوارد في سفر الملوك الثاني 12 للتجديد الشامل للهيكل في أيام الملك يهوآش (حوالي 836-798 قبل الميلاد) مهمًا. كان هذا، كما رأينا، هو الوقت الذي بلغت فيه يهوذا سن الرشد، بعد حقبة من التفاعل المكثف مع بيت عمري في الشمال. هل يمكن أن تمثل "ترميمات" بيت الرب المذكورة في هذا المقطع التوراتي، في الواقع، بناء هيكل أورشليم الأكثر إثارة للإعجاب والذي كان ما يزال قائماً في وقت تجميع السرد السليماني؟ ومع عدم وجود بقايا مادية، ولا مصادر معاصرة، فإن أي مناقشة للتاريخ المعماري للمعبد يجب أن تظل مجرد تكهنات. إن أفضل دعم (وربما الوحيد) لأصل الهيكل السليماني هو مركزية الهيكل في صورة سليمان اللاحقة. وكما كان يُذكر داود باعتباره مؤسس السلالة اليهودية، يُذكر سليمان باعتباره راعي مكان العبادة المحلي في أورشليم، والذي لم يكن من الممكن أن يكون أكثر من مجرد مزار ريفي في القرن العاشر قبل الميلاد. ومع مرور القرون، ومع نمو أورشليم وتطور مؤسساتها، أصبح أكثر إثارة للإعجاب. ولو أن التراث الشعبي اليهودي حدد ملكًا داوديًا آخر باعتباره الباني الأصلي، فإن الفضل الممنوح لسليمان في هذا الإنجاز كان سيفتقر حتى إلى أبسط مصداقية.

مناجم الملك سليمان؟

إن الوصف التوراتي لتشييد سليمان للهيكل - مثل بقية التراث المفصل - مليء أيضًا بالقرائن التاريخية. والملك حيرام ملك صور مثال على ذلك. فعلى الرغم من ذكره عدة مرات في سفر الملوك باعتباره مورد أرز لبنان لبنائه وشريكًا تجاريًا لسليمان في عديد من الرحلات الخارجية، إلا أن وجود شخصية تاريخية بهذا الاسم في القرن العاشر قبل الميلاد لا يمكن التحقق منه من أي نص معاصر أو حتى لاحق.

حيرام صور التاريخي الوحيد في العصر الحديدي كان ملكًا يُدعى هيرومو، والذي ظهر مرتين في سجلات الملك الآشوري العظيم تغلث فلاسر في ثلاثينيات القرن الثامن قبل الميلاد وهو يدفع الجزية لآشور. وقد ورد ذكره مع مناحيم ملك إسرائيل ورصين ملك دمشق. وقد أطلق عليه العلماء اسم حيرام الثاني، للتمييز بين حيرام الأول (المفترض) في أيام سليمان، لكن من المحتمل أن حيرام في القرن الثامن كان يتاجر مع المملكة الشمالية، وأن اسمه وأفعاله استخدمت في تمجيد سليمان كملك عظيم -في مرحلة أخرى – في انتحال أسطوري للازدهار الأسطوري في الشمال.[1] إن ذكر سفن سليمان وحيرام المبحرة معًا إلى ترشيش (1 مل 10: 22) – التي ربما هي طرسوس في جنوب شرق تركيا - قد يعكس التعاون التجاري للمملكة الشمالية مع صور والفينيقيين في القرن الثامن. والنص الذي يصف بناء الهيكل والقصر في أورشليم مليء بالإشارات إلى العناصر النحاسية، وهي صلة أخرى تعود إلى القرن السابع قبل الميلاد. ويقال إن سليمان نفسه صهر كميات كبيرة من

---

(1) الدعم الوحيد من خارج التوراة لوجود حيرام تاريخي في زمن سليمان يأتي من المؤرخ اليهودي فلافيوس يوسيفوس، الذي يقتبس أعمال ديوس وميناندر الأفسسيين (المفقودة الآن)، وهما مؤرخان هيلينستيان من القرن الثاني قبل الميلاد. وقد وصف المؤرخ دورون مندلز Doron Mendels أعمال هؤلاء المؤرخين في القرن الثاني بأنها "التأريخات الإبداعية"، والتي تم استخلاصها من المصادر الموجودة في القرن الثاني قبل الميلاد، كان التوراة معروفة بالفعل لدى الكتّاب الهيلنستيين، ومن الممكن أن يكون مصدرًا لكثير من معلوماتهم، بما في ذلك الارتباط الأسطوري بين الملكين. لمزيد من التفاصيل حول أسباب هذه الإعادة، راجع الملحق 4

النحاس في وادي الأردن، "بين سكوت وصرتان" (ملوك 7: 46)، وفي الأيام الأولى لعلم الآثار التوراتي، في الثلاثينيات، أصبحت الإشارات إلى النحاس قضية رئيسية في البحث عن سليمان التاريخي. ومع ذلك، فإن اكتشاف "مناجم سليمان" في تمنة في جنوب فلسطين و"مصانع الصهر" التابعة له في تل الخليفة المجاورة (التي تم تحديدها باسم "عصيون - جابر" في التوراة والتي أعلن عالم الآثار الأمريكي نيلسون جلوك Nelson Glueck أنها "بيتسبورغ فلسطين" ثبت أنها أوهام آثارية. فتاريخ مناجم تمنة الآن يعود إلى ما قبل عصر سليمان بقرنين على الأقل. ويبدو من الواضح أن تل الخليفة قد تم استيطانها لأول مرة - كحصن وليس كمركز صناعي - بعد قرنين من اتصال سليمان بالتجارة العربية التي يهيمن عليها الآشوريون. وقد كشفت الدراسات الحديثة التي أجراها علماء ألمان وأمريكيون وأردنيون في مصدر آخر مهم للنحاس هو منطقة وادي فينان، على الحافة الشرقية من وادي عربة، على بعد حوالي ثلاثين ميلاً جنوب البحر الميت عن أدلة على وجود نشاط مستمر في العصر الحديدي، حيث ترجع إحدى الحقب المكثفة للتعدين والإنتاج إلى أواخر القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد.

ومثل جميع الأنشطة الاقتصادية المربحة الأخرى في المنطقة، كانت هذه الصناعة تجري تحت الرعاية الآشورية. ولا بد أن النحاس المستخرج قد نُقل بشكل رئيس إلى الغرب، إلى المراكز والموانئ الآشورية في فلسطين. وبما أن الطرق من فينان إلى الغرب كانت تمر عبر الأراضي اليهوذائية في وادي بئر السبع، فإن يهوذا - باعتبارها تابعة لآشور - كانت ستشارك في صناعة النحاس المربحة.

وبأخذ الأمور الأخرى بالاعتبار، فلدينا وضع؛ حيث تشبه الظروف الموصوفة في مملكة سليمان العظيمة إلى حد كبير تلك التي كانت في مملكة الملك مَنَسَّى، من المناطق ذات الإدارة الجيدة والأعداد الكبيرة من عمال السخرة الذين يقومون ببناء مدن ملكية جديدة؛ والاتصال التجاري مع القادة الأجانب؛ والقوافل المتجهة نحو الشمال عبر

الأراضي اليهوذائية؛ ووجود السفراء من شبه الجزيرة العربية في أورشليم - عندما يقترن ذلك بضباب الذكريات المستعارة من الذروة التجارية لشمال إسرائيل - كل ذلك عزز الإيمان بقدم وحكمة استراتيجية الملك مَنَسّى الجديدة المتمثلة في المشاركة الكاملة في التجارة والدبلوماسية الإمبراطورية.

خلق الأسطورة السليمانية

القصص السليمانية في التوراة عالمية بشكل فريد؛ فالزعماء الأجانب ليسوا أعداء يجب التغلب عليهم أو طغاة يجب المعاناة منهم؛ إنهم متساوون في التعامل معهم بأدب، ولو بذكاء لتحقيق النجاح التجاري. إن الحكايات التوراتية عن تعاملات سليمان مع حيرام الصوري وملكة سبأ هي أعمال أدبية للترويج للذات - في المفاوضات التجارية، وفي العلاقات الدبلوماسية، وفي مكانة الملك. فأسطورة سليمان التي كتبت لأول مرة في القرن السابع قبل الميلاد، تؤكد عظمة يهوذا - والمهارة الأساسية لملكها - في عالم التجارة الجديد الشجاع والتواصل بين الثقافات للإمبراطورية الآشورية.

ففي حكم شعبه وإدارته وتجارته وحكمه بحكمة، يُقدِّم سليمان كقائد مثالي على منال الملك الآشوري: "وكانوا يَقصِدونَهُ مِنْ جميعِ الشُّعوبِ لِسَماعِ حِكْمتِهِ، وكانَ يتَلَقّى الهدايا مِنْ جميعِ مُلوكِ الأرضِ الّذينَ سَمِعوا بِحكْمتِهِ." (1 مل 5: 14). "وفاقَ المَلِكُ سليمان على جميعِ مُلوكِ الأرضِ غِنىً وحِكمةً. وكانَت شُعوبُ الأرضِ تشتَهي لِقاءَهُ لِتَسمَعَ حِكمَتَهُ الّتي أودَعَها اللهُ في قلبِهِ" (1 مل 10: 23، 24). وحتى مدى الأراضي التي حكمها سليمان - في إحدى الروايات، من الفرات إلى غزة (1 مل 4: 24) - يعكس رؤية للملكية الآشورية باعتبارها المثل الأعلى المطلق. على الرغم من أن تاريخ هذه الفقرة غير مؤكد، إلا أن الأراضي الموصوفة تعادل تقريبًا الأراضي الغربية التي حكمها الملوك الآشوريون

في أواخر القرن الثامن والسابع قبل الميلاد.

وفي الصميم، تُعبر الأسطورة السليمانية عن الحنين إلى إنجازات مملكة إسرائيل الزائلة. وصف آخر لمدى مملكة سليمان - من دان إلى بئر سبع (1 مل 4 : 25) - يناسب في الواقع حدود يهوذا وإسرائيل مجتمعتين. وبينما استُخدمت قصص داود لدحض اتهامات الشماليين، فإن صورة سليمان تستعير بشكل كبير من التراث الملكي الشمالي – وهي لا تدحضها، بل تتبناها فتصوره على أنه مساوٍ أو حتى متفوق على أقوى ملوك شمال إسرائيل. فكما أبحروا في أعالي البحار بحثًا عن الكنوز؛ وكما كانوا يتاجرون بالخيول الأصيلة. وكما اجتذبت اهتمام الممالك العربية البعيدة، فقد فعل ذلك أبونا المؤسس المحبوب سليمان على نطاق أوسع وأكثر ربحًا. وهكذا، فبالإضافة إلى دمج ذكريات بني إسرائيل الأثيرة داخل المملكة الجنوبية مع هيبة سلالة داود، استخدمت الروايات السليمانية لإضفاء الشرعية لجميع شعب يهوذا على الثقافة الأرستقراطية والاهتمامات التجارية لبلاط مَنَسّى التي عززت مشاركة يهوذا في الاقتصاد الآشوري العالمي.

إن رؤية التوراة المركبة لحكمة سليمان وتجارته وعلاقاته الدولية البعيدة قد ملأت آلاف نوافذ الكنيسة والأناجيل المصورة لعدة قرون. فبينما كان داود رجل حرب، كان سليمان أمير السلام من خلال الدبلوماسية والتجارة. صورة سليمان تبشر بالأمن والاستقرار والسعادة في عالم تكون فيه الحدود مائعة ويجري فيه تحقيق المجد الوطني من خلال الحكمة والفطنة التجارية.

مع ذلك، فإن الظروف التي ولدت هذه الرؤية لم تكن لتدوم إلى الأبد. وكما سنرى في الفصل التالي، فبحلول نهاية القرن السابع عشر، فإن التوترات الداخلية داخل يهوذا والتغيير في المشهد الإمبراطوري من شأنها أن تفسد الإيمان بالعولمة على الطراز السليماني وتورثها جانبًا سلبيًا بالتأكيد. إن أولئك الذين سعوا إلى التراجع من العالم الإمبراطوري إلى رؤية متزمتة ومنغلقة لإسرائيل القديمة سوف يحولون قصة داود وسليمان بأكملها لتخدم مجموعة مختلفة تمامًا من القيم، ويغرسونها بالموضوعات المسيانية والتوتر المروع الذي ما تزال تمتلكه حتى اليوم.

مراحل	المواد التوراتية	الخلفية التاريخية	الاكتشافات الآثارية
أواخر القرن 7 قبل الميلاد الفصل 6	توضيح المصادر المكتوبة السابقة (تاريخ صعود داود، تاريخ الخلافة، تراث سليمان) وإدماجها في التاريخ التثنوي لإسرائيل؛ حُرر لتقديم رسالة لاهوتية موحدة لخدمة أهداف إصلاح يوسيا الدينية؛ جرى إضافة تفاصيل مثل قتال داود وجالوت والحقائق اليونانية الأخرى وإدانة سليمان.	تدهور آشور، الانسحاب من بلاد الشام. الإصلاح الديني في يهوذا؛ محاولات في التوسع الإقليمي. قتل يوشيا على يد ملك السلالة السادسة والعشرين الصاعدة في مصر.	التوسع اليهوذائي في شفيلة يتكثف. يستمر نشاط المستوطنات في وادي بئر سبع وبرية يهوذا: المزيد من الشقف والأختام وطبعات الأختام، دليل على زيادة معرفة القراءة والكتابة. الوجود المصري (مع المرتزقة الاغريق) على طول الساحل. تستمر صناعة زيت الزيتون في عقرون.

الفصل السادس

تحدي جالوت

الإرث الداودي وعقيدة التثنية

- أواخر القرن السابع قبل الميلاد

يُطارد سليمان التوراتي أرث كبير. ففي (1 مل 3-10) هو الخليفة العظيم لداود، حاكم أكبر من الحياة، الذي بنى الهيكل في أورشليم والذي يوفر معايير الحكمة والبذخ التي سيحاول عدد لا يحصى من الملوك اللاحقين تحقيقها. ومع ذلك، ففي (1 مل 11: 1-13) لا يصبح أكثر من مجرد مرتد خرف، يُضلل بسحر زوجاته الأجنبيات العديدات.

وكانَ لَه سَبْعُ مئةِ زَوجَةٍ مِنَ الأميراتِ وثَلاثُ مئةِ جاريةٍ، فأزاغَت نِساؤُهُ قلبَهُ. وفي زمَنِ شيخوخَتِهِ مالَت زَوجاتُهُ بِقلبِهِ إلى آلِهةٍ غريبةٍ، فلم يكُنْ قلبُهُ مُخلِصا لِلرّبِّ إلهِهِ كما كانَ قلبُ أبيهِ داود. وتَبِعَ سليمان عَشتَّروتَ إلهَةَ الصَّيدونيِّينَ ومَلكومَ إلهَ بَني عَمونَ. وفعَلَ الشَّرَّ أمامَ عينَي الرّبِّ ولم يَتبَعِ الرّبَّ بِكُلِّ قلبِهِ مِثلَ داود أبيهِ. وبَنى في الجبَلِ الّذي قُبالَةَ أورشليم مَعبَدا لِكموشَ إلهِ موآبَ، ولِمولَكَ إلهِ بَني عَمُّونَ. (1 مل 11: 3-7).

في الحقيقة، ان خطاياه خطيرة جدًا لدرجة أنها أدت إلى انقسام مرير بين يهوذا وإسرائيل وانهيار دولة داود العظيمة. فكيف يمكننا تقييم هذه التقييمات التوراتية المتضاربة بصراحة؟ لقد قبل عديد من العلماء أن الفصول الإيجابية تمثل مادة أرشيفية قديمة، يعود تاريخها إلى عصر التنوير العظيم المفترض في أيام الملكية الموحدة. فيما افترضنا بأن هذه الرؤية الإيجابية لسليمان كانت نتاجًا للبلاط اليهودي في أوائل القرن السابع قبل الميلاد. فينبغي النظر إلى حكايات حياة البلاط السليماني الرائعة في أورشليم، والهيكل المدهش، ومدن العربات، والمشاريع التجارية البحرية، والتجارة المربحة مع الجزيرة العربية على أنها بناء أدبي، ووصف لشخصية شاعرية ومثالية كان من شأنها أن تعود بالنفع على الملك مَنَسّى رجل الأعمال وتثلج قلوب الطبقة الأرستقراطية اليهودية التي استفادت بشكل مباشر من الازدهار الجديد الذي نتج عن دمج يهوذا في الاقتصاد الآشوري العالمي.

ولكن ما هو مصدر هذه النظرة السلبية لسليمان؟ ولمصلحة من كان تشويه سمعة الملك العظيم؟ إن ازدهار النظام التجاري الآشوري الذي جاء سليمان ليجسده كان له جانب مختلف تمامًا عن أولئك الذين كانوا ببوادق غير راغبة فيه وليسوا من المستفيدين منه. فربما تكون استراتيجية مَنَسّى للتجارة الدولية قد قللت من قيمة الاقتصاد الزراعي التقليدي الذي يتقاسمه اليهود منذ مدة طويلة وعديد من الفارين من الحكم الآشوري المباشر في الشمال. فقد كان اتصال الملك بعيد المدى بين الثقافات بمثابة تخل عن التقاليد العريقة، ليس فيما يخص الدين

فقط، بل في العلاقات الاجتماعية والاقتصاد. أولئك الذين دعموا مركزية عبادة والده حزقيا وثورته القومية ضد آشور لا بد أنهم قد فزعوا من حكم مَنَسَّى، وسرعان ما عادوا إلى السلطة، والأقلام في أيديهم.

يخصص سفر الملوك الثاني وصفًا موجزًا وغامضًا نسبيًا لحكم مَنَسَّى الذي دام خمسة وخمسين عامًا، والذي ينشغل بشكل رئيسي بسرد جرائمه الدينية وإلقاء اللوم مباشرة على الكارثة الكبرى التي ستواجهها يهوذا فيما بعد:

وفعَلَ الشَّرَّ في نظَرِ الرّبِّ، فمارَسَ رَجاساتِ الأمَمِ الّذينَ طرَدَهُمُ الرّبُّ مِنْ وجهِ بَني إسرائيل. وعادَ فبَنى على التلال تِلكَ المَعابِدَ الّتي هدَمَها حزقيا أبوهُ، وأقامَ مذابحَ لِلبَعلِ، ونصَبَ تِمثالا لأشيرةَ كما فعَلَ اخآب مَلِكُ إسرائيل، وسجَدَ لِكواكِبِ السَّماءِ وعبَدَها. وبَنى مذابحَ وثَنيَّةً في هَيكلِ الرّبِّ، وهوَ المكانُ الّذي قالَ عَنهُ الرّبُّ: «في أورشليم أجعَلُ اسمي». وبَنى مذابحَ لِكواكِبِ السَّماءِ في ساحتَيِّ الهَيكلِ. (2 مل 21: 2 6).

لقد فسر علماء التوراة تقليديًا الأخبار التي تتحدث عن ولع مَنَسَّى بالعادات الشعبية الوثنية كدليل على اندماج الطبقة الحاكمة في يهوذا بالجملة في التوفيق الديني في العصر الآشوري. لكنه وفي العالم القديم، لم يكن الفصل الدقيق بين الاقتصاد والسياسة عن الدين بهذه البساطة، فبالنسبة لبعض رعايا مَنَسَّى على الأقل، الذين استقروا في مدن التطوير الجديدة وخضعوا للأنظمة الملكية والضرائب، لا بد أن مدة حكمه الطويلة كانت مصدرًا لسوء الحظ والتفكك الاجتماعي بعيد المدى. لقد رأينا الأدلة الوفيرة في السجل الآثاري على ظهور طبقة حاكمة ثرية ومتعلمة ومؤثرة في أورشليم، ولكن لا يوجد دليل على ازدهار كبير بعد ذلك. جلبت استراتيجية مَنَسَّى الجديدة بقاء الدولة وازدهارًا لأولئك الذين استضافوا سفراء التجارة في منازلهم الأنيقة. ولكن بالنسبة لأولئك الذين لم يستفيدوا من هذا الازدهار، فإن الوعد بالسلامة والأمان - اليوم الذي يجلس فيه كل رجل راضيا "تَحتَ كَرمَتِهِ وتينَتِهِ" - لابد أنه بدا بعيدًا أكثر من أي وقت مضى.

كان التوتر يتصاعد بشكل واضح. ووفقًا للكتاب المقدس، فيبدو أن سلسلة من الأحداث العنيفة قد حطمت العقود الطويلة من حكم الأمميين اليهوديين بعد وفاة مَنَسَّى عام 642 ق.م، وخلافة ابنه آمون:

وكانَ آمون ابنَ اثنَتَينِ وعشرينَ سَنةً حينَ ملَكَ، ودامَ مُلكُهُ سنَتَينِ بأورشليم، واسمُ أُمِّهِ مَشُلَّمَةُ بِنتُ حاروصَ مِنْ يَطْبَةَ. وفعَلَ الشَّرَّ في نظَرِ الرّبِّ، كأبيهِ مَنَسَّى. واقتَدى بأبيهِ في كُلِّ أفعالِهِ، فعَبدَ الأصنامَ وسجدَ لها. وترَكَ الرّبَّ إلهَ آبائِهِ ولم يَسلُكْ في طريقِهِ. وثارَ علَيهِ رِجالُ حاشيتِهِ وقتَلوهُ في بَيتِهِ، فقَتَلَ شعبُ يهوذا جميعَ الّذينَ ثاروا علَيهِ وأقاموا يوشيا ابنَهُ مَلِكا مكانَهُ. (2 مل 21 : 19-24).

ولا نستطيع أن نحدد هوية «حاشية آمون» الذين قتلوه، على الرغم من أنهم كانوا على ما يبدو طائفة في البلاط الملكي في أورشليم. وعلى نحو مماثل، كانت هوية "شعب الأرض"[1] الذي نصّب الملك يوشيا الصبي البالغ من العمر ثماني سنوات موضع خلاف لمدة طويلة بين العلماء، والذي اقترح بعضهم أنهم يمثلون الطبقة الأرستقراطية في الريف، من الذين دعموا سياسات مَنَسَّى.

في الواقع، يبدو أن المعارضة لحكم مَنَسَّى جاءت من تحالف الجماعات غير الراضية داخل يهوذا، والتي سيتزايد نفوذها السياسي عندما بدأت قوة آشور في التضاؤل. سيكون لهم تأثير قوي في إعادة تشكيل مؤسسات مملكة يهوذا، وسوف يستخدمون مواهبهم في إعادة كتابة تاريخ داود وسليمان. وفي عهد يوشيا، جُمع بين التراث والقصائد والسجلات والأناشيد الموجودة مسبقًا حول أول ملكين ليهوذا، ما أدى إلى إنتاج قصة عاطفية وصلبة عن الخطيئة والخلاص والتي تظل رسالة مركزية في القصة التوراتية حتى اليوم.

(1) النص العبري يذكر עם־הארץ "شعب الأرض" بخلاف الترجمة العربية التي تقول: شعب يهوذا. المترجم

نسخة التثنية

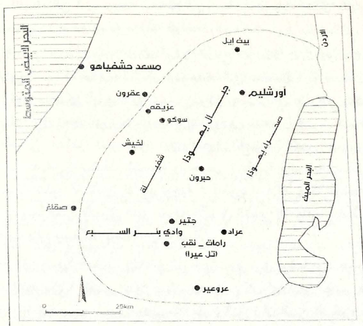
تقدم الملحمة الأدبية المعقدة والمترامية الأطراف لداود وسليمان، عندما تُقرأ من بدايتها في سفر صموئيل الأول إلى نهايتها المأساوية في سفر الملوك الأول - من مسح الصبي الراعي داود حتى موت الملك المسن سليمان وسط التمرد والاضطراب - درسًا أخلاقياً واحداً ورصيناً: إن الفاجعة إنما تتبع عصيان إرادة الله. فشاول، مخلص إسرائيل المضطرب، يفقد مسحته وحياته في النهاية بسبب خروقاته الدينية؛ ويعاني داود من سوء حظ عائلته بسبب نقاط ضعفه؛ ويدفع سليمان الملك المتألق ثمن تورطه الخاطئ مع زوجات أجنبيات وطرق وثنية بخسارة عظمته وتقسيم مملكته الواسعة.

وتتناقض هذه الدروس القاتمة بشكل صارخ مع مكافآت التقوى. لقد أظهرت مملكة داود وسليمان الموحدة، قبل سقوطها، في لحظات تألقها، ما يمكن أن يحققه شعب إسرائيل عندما كان يقودهم حاكم صالح وكانوا مخلصين تمامًا لشرائع الله. ومع ذلك، فإن هذا المخطط الأخلاقي الشامل ليس جزءًا من القصة الأصلية. كانت المجاميع المشتتة من الحكايات الشعبية والقصص البطولية والدعاية الملكية بمثابة تطورات متميزة للأيديولوجية المتطورة لسلالة يهوذا الحاكمة. ولم يبدأ السرد التوراتي الذي نعرفه الآن في التبلور إلا عندما ارتبطت قصة داود وسليمان برسالة دينية قوية.

لم تكن عملية التحرير والكتابة التي حدثت في زمن يوشيا هي المراحل النهائية لكتابة قصص داود وسليمان، ولكن كان لها تأثير حاسم على التوراة كما نعرفها. فيرى عديد من علماء التوراة أن السرد المركب من صموئيل الأول 16 إلى الملوك الثاني - من مسحة داود إلى موت سليمان - هو جزء من ملحمة أطول، تمتد من سفر يشوع إلى سفر الملوك الثاني، فهي جزء من ملحمة أطول تعرف باسم تاريخ التثنية. إن هذا السجل التاريخي الشامل لشعب إسرائيل، من التيه إلى الفتوحات

إلى العصر الذهبي وحتى السبي، له علاقة واضحة (في الواقع إنه يبين بوضوح) الأيديولوجية المعبر عنها في سفر التثنية. والسرد التوراتي لداود وسليمان يحمل طابعًا لا يُغفل للأيديولوجية العدوانية والقاسية غير الواضحة في التراث السابق: عقيدة التثنية المتمثلة بعبادة إله واحد، في هيكل أورشليم، بحماية مُلك داود، تطورت من خلال حماسة الحرب المقدسة.

لقد رُبط جوهر قانون التثنية (تث 4: 44 -28: 68) بشكل مقنع من



يهوذا في أيام يوشيا

قبل العلماء مع "سفر الشريعة" الذي "اكتشفه" فجأة رئيس الكهنة حلقيا في هيكل أورشليم في السنة الثامنة عشرة من حكم الملك اليهودي يوشيا حفيد مَنَسَّى وابن آمون عام 622 ق. م. وبحسب الرواية التوراتية (2 مل 22: 8- 23: 3)، تفككت يهوذا في أيام يوشيا.

لقد خلق اكتشاف "سفر الشريعة" (أو "سفر العهد" كما يُطلق عليه أحيانًا) ضجة وأزمة روحية في يهوذا. ولما قرئ السفر على الملك يوشيا، مزّق ثيابه وقال: «ما أعظَمَ غضَبَ الرّبِّ علَينا، لأنَّ آباءَنا لم يسمَعوا لِكلامِ هذا الكتابِ ويَعمَلوا بِكُلِّ ما ورَدَ فيه لأجلِنا" (2 مل 22: 13).

إن تصرفات يوشيا اللاحقة – على الأقل كما وُصفت في التوراة – تحمل علاقة مباشرة بوصايا سفر التثنية الصريحة. فبعد "تجديد" العهد الحصري بين الله وشعب إسرائيل، قام يوشيا بتطهير الهيكل من كل الأشياء الدينية الوثنية؛ فنجّس التلال الوثنية وعزل كهنة الأوثان وأمر الشعب أن يحفظوا "فِصْحًا لِلرَّبِّ إِلهِكُمْ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي سِفْرِ الْعَهْدِ هَذَا" (2 مل 23: 21)؛ وحظر الاستعانة بالوسطاء الروحانيين وبالساحرات. وكل هذه الإجراءات - من الالتزام الصارم بالشريعة، والحظر القاطع لعبادة الأصنام، وحصر العبادة في مكان واحد، وهو الهيكل في أورشليم - جرى التعبير عنها كوصايا صارمة في قانون شريعة التثنية.

وبسبب أعماله التقية في دعم هذا السفر الجديد، يوصف يوشيا، وهو من نسل داود في الجيل السابع عشر، في (2 مل 23: 25) بأنه قديس بشكل فريد: "وما كانَ قَبلَ يوشيا ولا بَعدَهُ مَلِكٌ مِثلُهُ، لأنَّهُ تابَ إلى الرّبِّ بِكُلِّ قَلبِهِ وكُلِّ قُدرَتِه كما هوَ مكتوبٌ في شَريعةِ موسى. "وعَمِلَ القويمَ في نظَرِ الرّبِّ، واقْتَدى بِداود جَدِّهِ، وما حادَ عَنْ طُرُقِهِ يَمينًا ولا يَسارًا. " (2 مل 22: 2). وفي رأي مؤلفي التوراة، جسد داود فكرة البر التي عُبر عنها في سفر التثنية؛ وكان يوشيا خليفته حقاً. إن الروابط بين يوشيا وداود، بين شرائع سفر التثنية وعظمة الملكية الموحدة، لا لبس فيها. وتُظهر

المفارقات التاريخية، والأدوات السردية، والتلميحات المعاصرة المنسوجة في الشكل النهائي لقصة داود وسليمان كيف تشكل السرد ومصالحهم التي عززتها عندما وصلت إلى شكلها التوراتي المميز في أواخر القرن السابع قبل الميلاد.

إن فهم هذه المرحلة الحاسمة في تطور التراث الداودي أمر أساسي ليس فقط لتحديد تاريخ يهوذا في القرن السابع ولكن أيضًا لابتكار مهم في التاريخ الديني للعالم الغربي؛ كان ذلك في عهد الملك يوشيا المشؤوم حيث تحول سحر سلالة داود فجأة وبشكل دراماتيكي من مجموعة من أساطير السلالات الحاكمة إلى عقيدة مسيانية من شأنها أن تستمر لمدة طويلة بعد استقلال مملكة العصر الحديدي الصغيرة، لتصبح الأساس غير القابل للاختزال للمعتقد الديني اليهودي - المسيحي.

إمبراطوريات في حالة اضطراب

من أجل فهم دوافع التحول الأيديولوجي لتراث داود وسليمان، يجب أن نصف بإيجاز الأحداث الدرامية التي اجتاحت المنطقة في عهد الملك يوشيا. فعندما تولى يوشيا العرش وهو صبي في الثامنة من عمره عام 639 ق.م، في أعقاب اغتيال والده، كانت آشور ما تزال في ذروة قوتها. كانت أراضي مملكة إسرائيل الشمالية السابقة ما زالت تحت الإدارة الآشورية المباشرة وكانت المدن الفلسطية الساحلية تُدار من قبل وكلاء الملوك الآشوريين. ولكن بعد بضع سنوات فقط، وبحلول عام 630 ق.م تقريبًا، كانت الإمبراطورية الآشورية في حالة من التفكك السريع. أدت الضغوط في الشمال والشرق إلى إجهاد موارد الإمبراطورية بشدة.

وقد تراجعت قوتها العسكرية بشكل خطير، رغم أنها كانت ما تزال هائلة. وعلى الرغم من أن السجلات الآشورية لهذه الحقبة مفككة، إلا أن الصورة العامة لا لبس فيها: فبعد قرن من الهيمنة التي لا ينازعها فيها

أحد في المنطقة، أصبحت قوة آشور أكثر بعدًا عندما انسحبت إلى الشرق لتحقيق هدفها النهائي الذي أوشك على النجاح في نهاية المطاف وهو الكفاح من أجل البقاء. لقد تخلت القوة العظمى التي كانت ذات يوم لا يمكن مجابهتها والتي هيمنت على الاقتصاد والحياة السياسية في العالم تدريجياً عن مطالبتها بمقاطعات الغرب.

كان انسحاب الحاميات والمسؤولين الآشوريين من المدن الفلسطينية ومقاطعات مملكة إسرائيل السابقة قد خلق فراغًا في السلطة. وظهرت سلالة جديدة صاعدة في مصر كخليفة لآشور، على الأقل على طول ساحل البحر الأبيض المتوسط. خلال حكم دام أكثر من نصف قرن، من 664 إلى 610 ق.م، فوسع بسماتيك الأول، من الأسرة المصرية السادسة والعشرين، قاعدة قوته تدريجيًا في غرب دلتا النيل لتوحيد مصر العليا والسفلى، ثم سار شمالًا وضم المدن التجارية المزدهرة في سهل فلسطين.

ويبدو أن هذا الاستيلاء قد جرى بموافقة ضمنية من الآشوريين، وفي مقابل سيطرتها على الممتلكات الآشورية السابقة، أصبحت مصر حليفة لآشور، ووافقت على تقديم الدعم العسكري ضد الانتفاضات المناهضة للآشوريين والنفوذ المتزايد لبابل في الشمال. ومع ذلك، وعلى الرغم من أن المصريين كانوا يسيطرون الآن على الساحل الفلسطيني والطريق الدولي الذي كان يؤدي إلى الداخل عبر مجدو إلى سوريا وبلاد ما بين النهرين، إلا أن شعوب ومدن التلال كانت ذات أهمية هامشية ليس إلا. وكما كان الحال في بداية عصر الإمبريالية المصرية خلال العصر البرونزي المتأخر، قبل أكثر من خمسة قرون، يبدو أن المصريين قد تركوا شؤون التلال - في يهوذا والأراضي السابقة لإسرائيل - لتأخذ مسارها الخاص، طالما لم تهدد السيطرة المصرية على الطريق الدولي بطول الساحل وعبر أودية الشمال.

نحن لا نعرف شيئًا تقريبًا عن الأحداث التي وقعت في أراضي مملكة

إسرائيل السابقة بعد انسحاب الآشوريين. فقد كان من الممكن أن يكون فقدان السيطرة المشددة على سكان المنطقة والإنتاج الزراعي قد أثار الآمال في انتعاش سياسي، لكن ليس لدينا أي مؤشر على أي محاولة من جانب الشماليين لإنشاء مملكة مستقلة مرة أخرى. ومن ناحية أخرى، لدينا في الجنوب تقارير التوراة عن الإصلاح الديني الغيور الذي قام به يوشيا في مملكة يهوذا، والذي بلغ ذروته بتدميره للمعبد الشمالي في بيت إيل.

هذه الأحداث موصوفة في التوراة بأنها أعمال دينية بحتة، لكن في الظروف السياسية المتغيرة للآشوريين بالشدة، فإنها تلمح إلى شيء أكثر من ذلك. وطالما ظلت آشور هي المهيمنة في المنطقة، كان استقلال يهوذا السياسي وحرية العمل محدودين للغاية. ومع سيطرة الآشوريين بقوة على التلال الشمالية، لم يكن هناك إمكانية للمطالبة بالحكم على السكان الإسرائيليين المتبقين، الذين دُمج تراثهم جزئيًا على الأقل في الأيديولوجية القومية الإسرائيلية في الجنوب. ومع ذلك، ومع انسحاب الآشوريين، ظهرت علاقات محتملة جديدة. تشير الأدلة الآثارية إلى أن مملكة يهوذا استفادت من الظروف الجديدة من خلال التوسع شمالًا وغربًا.

كان التوسع الإقليمي متواضعًا على ما يبدو. فقد عُثر على مصنوعات يهودية مميزة من القرن السابع قبل الميلاد مثل الأوزان المنقوشة والتماثيل الصغيرة الاسطوانية وأنواع مميزة من الأواني الخزفية فقط في أقصى الشمال مثل منطقة بيت إيل، على بعد حوالي عشرة أميال شمال الحدود التقليدية ليهوذا. ومع ذلك فمن الجدير بالملاحظة أن الأدلة على الوجود اليهوذائي تمتد إلى الموقع المذكور بشكل بارز في القصة التوراتية للإصلاح الديني الذي قام به يوشيا.

وتشير الاكتشافات الآثارية أيضًا إلى توسع النفوذ اليهوذائي في الغرب، في منطقة شفيلة، وهو توسع ربما يكون قد بدأ في أيام مَنَسَّى. فقد أُعيد

بناء وتجديد المركز الإقليمي الرئيسي لخيش، الذي ظل في حالة خراب لحقبة من الزمن بعد أن دمرته جيوش سنحاريب، في القرن السابع، مما يشير إلى احتمال إعادة تأكيد السيطرة السياسية اليهودية المباشرة هناك. وعُثر على أوزان يهوذائية تعود للقرن السابع قبل الميلاد في جميع أنحاء المنطقة المحيطة، مما يشير إلى دمج هذه المنطقة في النظام التجاري المميز ليهوذا. ولم تكن الأراضي الزراعية الغنية في منطقة شفيلة حيوية اقتصاديًا واستراتيجيًا فحسب؛ وانما جرى تبجيلها في التراث اليهوذائي. ومن المهم جدًا أن يذكر سفر الملوك الثاني 22: 1 أن أصل والدة يوشيا كان من بُصقَةَ وهي مدينة في شفيلة.

هل يمكننا أن نقول المزيد عن أهداف الملك يوشيا والمقاومة التي كانت ستواجهها محاولاته للتوسع الإقليمي؟ كان أي أمل في إعادة تأكيد سيطرة يهوذا على منطقة شفيلة السفلى، في الغرب، يهدد بمواجهة عسكرية مع القوة الناشئة في مصر والمدن الفلسطية. وإلى الشمال كان نجاح التوسع اليهوذائي في أراضي مملكة إسرائيل السابقة، التي خُلعت سلالتها الحاكمة وسُبيت، يكمن في التغلب على الولاءات الإقليمية وتأكيد مطالبات سلالة داود على كل أرض إسرائيل. وفي الواقع، عندما نتفحص تفاصيل القرن السابع قبل الميلاد المميزة التي تظهر في قصص التوراة لداود وسليمان، يمكن رؤية صورة واضحة بشكل مدهش لتصورات ونوايا اليهوذائيين - وتفسير جديد لقصة داود وسليمان.

داود والفلسطة

نال داود المذكور في التوراة شهرته كمحارب عظيم، إذ أطاح بجالوت الجبار (1 صم 17)، وقتل من قوات الفلسطة "عشَراتِ الأُلوفِ" (1 صم 18: 7)، وتغلب على الملك الفلسطيني أخيش الجتي (1 صم 27-29). وكما رأينا، فإن بعض هذه القصص ترجع بلا شك إلى حقبة مبكرة جدًا، لأن الإشارة البارزة لجت - باعتبارها مسقط رأس

جالوت، وعاصمة أخيش، والقوة الرائدة بين مدن الفلسطة - تعكس تصورات يعود تاريخها إلى حقبة ما قبل غزو جت وفقدانها لأهميتها السياسية، في نهاية القرن التاسع قبل الميلاد. لكن الصورة العامة التي تقدمها قصص داود التوراتية تتضمن عددًا من العناصر المهمة التي تكشف مدى عمق انعكاس شكلها النهائي على زمن يوشيا. في الواقع، يتم وصف الفلسطة الذين خدم داود تحت قيادتهم وحاربهم بمصطلحات مختلفة تمامًا عما نعرفه عن الفلسطة في المراحل المبكرة من تاريخهم.

إن معرفتنا بالفلسطة الأوائل، من القرن الثاني عشر إلى القرن العاشر قبل الميلاد، تأتي من عدة مصادر تاريخية وآثارية. فنقوش وجداريات من أيام رمسيس الثالث (1182- 1151 ق. م) تُخلد ذكرى انتصاراته البرية والبحرية على مجموعة تدعى بيلست Peleset وغيرهم من الغزاة الذين "تآمروا في جزرهم" وهاجموا مصر برًا وبحرًا في الوقت نفسه، وتذكر بردية مصرية لاحقة من أيام رمسيس الرابع (1151-1145 ق.م) أن هؤلاء الأعداء المهزومين استقروا في المعاقل المصرية. وفي ذلك الوقت، كانت مصر ما تزال تسيطر على السهل الساحلي الجنوبي لكنعان، وهو بالضبط المكان الذي تُحدد فيه التوراة مدن الفلسطة. لذلك، فقد تم قبوله على نطاق واسع من قبل العلماء أن البيلست والفلسطة كانوا المجموعة نفسها من المهاجرين المحاربين الذين وطّنهم المصريون في مدنهم المحصنة على طول الساحل الكنعاني الجنوبي. وفي الواقع، كشفت التنقيبات الآثارية في طبقات من العصر الذي أعقب رمسيس الثالث عن ظهور نمط خزفي جديد، لا لبس فيه بسبب زخارفه المرسومة المتقنة ذات الأشكال الهندسية والطيور والأسماك المنمقة، والتي ترتبط ارتباطًا وثيقًا بتراث الفخار في قبرص وبحر إيجه - المنطقة التي يُعتقد أن الفلسطة جاءوا منها.

ومع ذلك، فعلى الرغم من ادعاء عديد من العلماء بأن قصص الفلسطة في التوراة تعكس ذاكرة موثوقة من الأيام التي تلت غزوهم مباشرة

واستيطانهم في كنعان، فقد تم إغفال عديد من التفاصيل المهمة حول الفلسطة الأوائل لسبب غير مفهوم. فلا يوجد ذكر في التوراة للاضطرابات التي رافقت وصولهم إلى ساحل كنعان؛ ولم تُذكر علاقتهم بالإدارة المصرية البرونزية المتأخرة في كنعان، باستثناء تأكيد غامض ومتناقض في جدول أنساب الأمم في (تك : 10: 13-14؛ وأيضًا في أخ 1: 1: 11-12). يربطهم سلاليًا مع مصر.[1] ولا تعرف التوراة وجود مجموعات أخرى من شعوب البحر الذين وصلوا مع الفلسطة.[2] إن السمات الخاصة في الثقافة المادية للفلسطيين الأوائل - من الفخار والعبادة إلى عادات الدفن وممارسات الطهي - ليس لها أيضًا صدى في النص التوراتي. لقد كان من الممكن أن تصمت التوراة عن عديد من هذه الخصائص، ولكن من غير المرجح أن تتجاهلها جميعها. في حين ليس هناك شك في أن شعب يهوذا كانوا يعرفون جيرانهم الفلسطة جيدًا، ويبدو أن معرفتهم التاريخية عنهم مبنية على تراث شفهي كان غامضا وغير دقيق.

خذ على سبيل المثال: عندما يُذكر الملك أخيش فانه يوصف بأنه حاكم مدينة جت الفلسطية، ويلعب دورًا بارزًا في قصص داود، حيث منع أولاً داود المختبئ من الدخول إلى مدينته (1 صم 21: 10-15) ثم رحب به لاحقًا كحليف موثوق به، بل ومنحه ملكيته الإقليمية في منطقة شفيلة الجنوبية في صقلغ (1 صم 27: 2-6). وكان أخيش هو الذي سمح لداود بالرحيل بسلام مع أتباعه قبل المعركة المصيرية بين الفلسطة وشاول (1 صم 29: 6-11). في صيف عام 1996، اكتشف علماء الآثار تريد دوثان Trude Dothn وسي جيتين Sy Gitin نقشًا مثيرًا أثناء تنقيباتهم في تل مقني في منطقة شفيلة الغربية، وهو موقع طوبق

---

(1) يشير تقليد كتابي بديل (عاموس 9: 7 وإرميا 47: 4) إلى أن الفلسطة جاءوا من كفتور، وهو اسم جغرافي يرتبط عادة بكريت.

(2) تذكر النصوص المصرية مجموعتين أخريين على الأقل من شعوب البحر - السكيلا والشرداني - الذين استقروا على ساحل كنعان.

بشكل آمن مع مدينة عقرون الفلسطية القديمة. لقد كان إهداءً يعود إلى أواخر القرن السابع قبل الميلاد، منقوشًا على كتلة من الحجر الجيري، يحمل اسم إيكاوسو Ikausu، حاكم المدينة في ذلك الوقت. وقد ورد ذكر هذا الـ "إيكاوسو" أيضًا في السجلات الآشورية من زمني الملكين أسرحدون وآشور بانيبال باعتباره أحد الحكام الشاميين الذين دفعوا الجزية لآشور. ويشبه اسم إيكاوسو لغوياً اسم الملك الفلسطي أخيش؛ فاقترح عديد من العلماء أنه كان اسمًا ملكيًا فلسطيًا تقليديًا استخدم منذ القرن العاشر قبل الميلاد.

ومع ذلك، هناك مشكلة واضحة في إقامة علاقة مباشرة بين الملك الفلسطي إيكاوسو (الذي حكم في وقت قريب من زمن الملك يوشيا) وراعي داود؛ الفلسطي أخيش. فلقد كان إيكاوسو ملكًا على عقرون، وليس على جت. فلقد دُمرت جت العظيمة قبل قرنين من الزمان؛ وفي زمن إيكاوسو ، لم تكن جت أكثر من مجرد قرية؛ وكانت عقرون إلى حد بعيد أقوى دويلة مدينة فلسطية. وربما استخدم مؤلفو التوراة أخيش كاسم مناسب لملك فلسطيني قوي. لكن في القرن السابع قبل الميلاد، كان اسم إيكاوسو -أخيش معروفًا جدًا في جميع أنحاء يهوذا، مع أهمية معاصرة واضحة. لذا ربما كانت قصة التحالف بين داود وأخيش القديم تهدف إلى إضفاء الشرعية على العلاقة بين "داود الجديد" : يوشيا وبين مدينة أخيش الجديدة: عقرون.

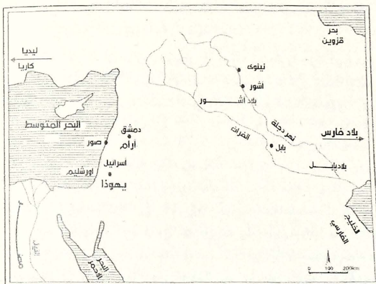
وهناك أدلة آثارية واضحة على ذلك: فقد كشفت التنقيبات في تل مقني عن حقبة رائعة من التطور الحضري التي نقلت عقرون من بلدة صغيرة إلى واحدة من أكثر المدن الهامة في المنطقة في زمن يوشيا. وفي وقت متأخر القرن الثامن قبل الميلاد، وخاصة في النصف الأول من القرن السابع في القرن التاسع، وتحت السيطرة الآشورية، نما حجم عقرون لتصبح منشأة معالجة زيت الزيتون الأكثر إثارة للإعجاب التي تعرفها في أي مكان الشرق الأدنى الفني. فداخل أسوار المدينة المهيبة، كُشف عن أكثر من مائة وحدة من وحدات إنتاج زيت الزيتون، بما في

ذلك المخازن والمكابس والأوعية. وامتدت هذه المنطقة الصناعية القديمة في جميع أنحاء المدينة بأكملها، فكان لديها قدرة إنتاجية مقدرة بحوالي ألف طن سنويًا. وفي الاقتصاد الآشوري، كان هذا من الأصول الهامة.

وطوال القرن السابع الميلادي، سبق ان شهدت عقرون الازدهار كمركز لإنتاج الزيت لموقعها المناسب على شبكة الطرق الرئيسية وقربها من بساتين الزيتون في تلال يهوذا وفي شفيلة العليا.

وفي الواقع، فلا بد أن مزارعي الزيتون في يهوذا قد وفروا جزءًا كبيرًا من إمدادات عقرون، أولاً كجزء من الجزية لآشور بعد غزو سنحاريب، ولاحقًا، في عهد مَنَسَّى، حيث سعى إلى توسيع مشاركة يهوذا في الاقتصاد الإمبراطوري الآشوري.

وعلى الرغم من أنه كان هناك انخفاض معين في إنتاج زيت الزيتون في عقرون بعد انسحاب الآشوريين من المنطقة حوالي عام 630 ق.م، إلا أن الصناعة استمرت طوال أواخر القرن السابع قبل الميلاد تحت هيمنة الأسرة المصرية السادسة والعشرين. ولأسباب اقتصادية



الشرق الأدنى القديم

وسياسية على السواء، ربما استمرت يهوذا في إرسال الزيتون المقطوف إلى عقرون في زمن يوشيا. ولم تكن هناك طريقة أفضل لإضفاء الشرعية على هذا الارتباط الاقتصادي المستمر مع الغرباء (من الواضح أنه رجس في عيون المؤرخين التثنويين المتزمتين) من "تذكير" شعب يهوذا بالصداقة والتعاون بين مؤسس سلالة أورشليم - داود التقي مع ملك فلسطي اسمه أخيش.

تحتوي القصص التوراتية لداود وأخيش على عنصر آخر يثير الاهتمام المباشر في أيام الملك يوشيا. فالاكتشافات الآثارية تشير إلى أنه كان هناك توسعا يهوذائيا بطيئا غربًا لاستعادة الأراضي المفقودة في شفيلة، ومن المهم أن يجري تنظيم سلطة أخيش في القصة التوراتية لتبرير مطالبات يهوذا الإقليمية في القرن السابع. وإحدى أكثر الأساليب الأدبية المميزة في التاريخ التثنوي، والتي تكشف أصوله في القرن السابع، هي عبارة "إلى يومنا هذا". فيجري استخدامها في عشرات المناسبات، مبثوثة في أسفار التثنية، ويشوع، والقضاة، وصموئيل، والملوك، للإشارة إلى المعالم القديمة أو شرح المواقف غير العادية التي ما يزال من الممكن ملاحظتها في وقت جمع النص. الاستخدام النموذجي لهذه العبارة هو وصف داود للاستحواذ الشرعي على الأراضي من يد ملك الفلسطة أخيش :

وقالَ داود لأخيش: «إنْ كنتُ أنعَمُ بِرِضاكَ، فأعطِني مكانا في إحدى قُرى البَرِّيَّةِ لأسكنَ فيهِ. فلِماذا أسكنُ يا سيِّدي المَلِكُ في المدينةِ معَكَ؟» فأعطاهُ أخيشُ في ذلِكَ اليومِ صَقْلَغ الّتي صارت لمُلوكِ يهوذا إلى هذا اليومِ. (1 صم 27: 5-6)

كانت صقلغ تقع في منطقة شفيلة السفلى، على الحدود الجنوبية الغربية ليهوذا، في مواجهة فلسطية، في منطقة ذات أهمية كبيرة للدوائر الحاكمة في يهوذا في أواخر القرن السابع قبل الميلاد. وتحتوي القصص التوراتية في المدة التي قضاها داود في صقلغ على بعض المفارقات التاريخية المذهلة الأخرى في القرن السابع، فبعد عودته من مجلس حرب الفلسطة، وجد داود أن صقلغ قد نهبت من قبل العماليق الذين يسكنون البرية، والذين سيطاردهم ويهزمهم ويطالبهم بغنيمة وفيرة - والتي سيوزعها بعد ذلك على رفاقه من بني يهوذا (1 صم 30: 26-31). ومن الأماكن التي حصلت على الغنائم، كان هناك عدد

بارز بشكل خاص في زمن يوشيا، ولا سيما بيت إيل (التي ضمتها يهوذا على ما يبدو بعد انسحاب آشور)، وكذلك عروعير ورامات نقب في بئر السبع الوادي الذي على تخم يهوذا الجنوبي مقابل أدوم. وأظهرت التنقيبات أن كلاً من عروعير ورامات نقب ازدهرتا فقط في أواخر العصر الملكي. ومن الجدير بالملاحظة أن مكانًا آخر من الأماكن الموجودة في القبضة، وهو جتير – الذي تم تحديده بموقع خربة يتير جنوب حبرون - لم يكن مأهولًا حتى قبل القرن السابع قبل الميلاد.

بشكل عام، يكشف النص عن تفصيل وتوسيع للتراث المبكر مع وضع هدف محدد من القرن السابع في الاعتبار: التحقق من صحة التوسع الإقليمي ليهوذا نحو أراضي المدن الفلسطية. إنها حقبة يوشيا، في الواقع، التي توفر سياقًا مدهشًا للقصة الأكثر شهرة في بداية سيرة حياة داود.

من قتل جالوت؟

إن المحارب الفلسطي الجبار جالوت الجتي هو أشهر أعداء داود. إن ذكر تلك المدينة المدمرة منذ مدة طويلة باعتبارها مسقط رأس جالوت يعكس تقليدًا مبكرًا، ولكن في الوقت نفسه، تخفي هذه القصة الخالدة أيضًا دليلًا زمنيًا مفاجئًا.

في التوراة، يُروى كيف ان الإيمان اشعل حماسة الراعي داود في مواجهته للعملاق الفلسطي، الذي يوصف بتفاصيل مخيفة:

" فخرَجَ رَجُلٌ مُبارِزٌ مِنْ صُفوفِ الفِلسطيِّينَ اسمُهُ جُلياتُ مِنْ مدينَةِ جَتٌّ، وكانَ طُولُهُ سِتٌّ أذرُعٍ وشِبرا، وعلى رأسِهِ خوذَةٌ مِنْ نحاس، وكانَ لابسا دِرعا مَزْرودَةً، وزنُها رُبعُ قِنطارٍ نحاس، وعلى رِجلَيهِ ساقانِ مِنْ نحاس، وبينَ كَتِفيهِ رُمحٌ مِنْ نحاس، وقَناةُ رُمحِهِ غليظَةٌ كَنولِ النُّساجِ ووزنُ رأسِ الرُّمحِ، رَطلانِ مِنْ حديدٍ. وكانَ معَهُ رَجُلٌ يَحمِلُ تُرسَهُ.." (1 صم 17: 4-7).

وبينما كان جالوت المحتدم يسخر من خصمه الضعيف، مد داود يده إلى جرابه وأخرج حجرًا ورماه بمقلاه فصَك الفلسطي على جبهته؛ غاص الحجر في جبهته، فسقط على وجهه إلى الأرض. (1 صم 17: 49). يحمل هذا اللقاء كل علامات القصة التثنوية المميزة، بما في ذلك خطاب مملوء بالإيمان من الشاب داود، معلنًا لجالوت المتغطرس عندما يصل إلى ساحة المعركة:

«أنتَ تَجيئُني بِالسَّيفِ والرُّمحِ والتُّرسِ وأنا أجيئُكَ باسمِ الرّبِّ القديرِ، إلهِ جيشِ إسرائيلَ الّذي أنتَ تَحدَّيتَهُ. في هذا اليومِ يُسَلِّمُكَ الرّبُّ إلى يَدي، فأقتُلُكَ وأقطَعُ رأسَكَ عَنْ كَتِفَيكَ، وأجعَلُ جُثَثَ جُنودِ الفِلسطيِّينَ لِطُيورِ السَّماءِ ووحوشِ البَرِّيَّةِ، حتّى تعلَمَ الأرضُ كُلُّها أنَّ لإسرائيلَ إلهًا، ويعلَمَ جميعُ الّذينَ هُنا أنَّ الرّبَّ لا يحتاجُ إلى السَّيفِ والرُّمحِ لِيُخَلِّصَ شعبَهُ، لأنَّ الرّبَّ سيِّدُ الحربِ، وهوَ يُسَلِّمُكُم إلى أيدينا». (1 صم 17: 45 - 47).

المشكلة هي أنه في مجموعة سابقة من الحكايات الشعبية البطولية عن رجال داود الأقوياء هناك نسخة أخرى مختلفة تمامًا عن موت جالوت، مخفية كحاشية منسية تقريبًا:

"ثُمَّ نشبَت معرَكةٌ أُخرى في جُوبَ معَ الفِلسطيِّينَ، فقتلَ ألحانانُ بنُ يائيرَ الّذي مِنْ بيت لحم جِلياتِ الجتيِّ، وكانت قناةُ رُمحِهِ سميكةً كنولِ النُّسّاجِ" (2 صم 21 : 19) [1]

ولطالما تكهن العلماء بأن "داود" كان اسم عرش، فيما كان يسمى في الأصل الحنّان، أو أن رجلا آخر اسمه الحنّان هو البطل الحقيقي للقصة، والذي جرد منه مجده في الاستيلاء اللاحق على الأسطورة من قبل أنصار السلالة الداودية. وسواء أكان الحنّان أو داود فهل حدث

(1) سبق ان أشرنا إلى ان النص الذي أورده المؤلفان هنا قامت الترجمة العربية المشتركة بتحريفه على خطى نسخة الملك جيمس فقد تخلصت من الاشكال بوضع لفظة (أخ) (فقتلَ ألحانانُ بنُ يائيرَ الّذي مِنْ بَيتَ لحمَ أخا جِلياتِ الجتيِّ) (slew the brother of Goliath the Gittite). المترجم

القتل في الحكاية الأصلية، فإن الوصف التفصيلي لدرع جالوت يكشف أن القصة التوراتية الشهيرة هي تأليف يعود تاريخه إلى أواخر القرن السابع قبل الميلاد ويعبر عن أيديولوجية الحرب المقدسة والأعداء المحددين الذين واجههم يهوذا في زمن يوشيا.

القتال الهوميري والمرتزقة اليونانيون

إن درع جالوت، كما هو موصوف في التوراة، لا يشبه كثيرًا المعدات العسكرية للفلسطة الأوائل كما كشف عنها علم الآثار. فبدلاً من ارتداء الخوذات البرونزية، يرتدي الفلسطة الذين يظهرون على جدران المعبد الجنائزي لرمسيس الثالث في صعيد مصر، أغطية رأس مميزة يعلوها الريش. وبدلاً من أن يكونوا مدرعين مثقلين يحملون الرمح والمزراق والسيف، كانوا يحملون الرمح وحده، ولا يرتدون الجرموق المعدني المعروف باسم greaves، ومع ذلك، فإن الوصف التوراتي لدرع جالوت ليس مجرد خلق خيالي؛ فكل عنصر على حدة له أوجه تشابه واضحة مع أسلحة ودروع بحر إيجة الموثقة أثريًا من الحقبة الميسينية إلى العصور الكلاسيكية. ففي جميع الحقب ضمن هذا الإطار الزمني العام، يمكن للمرء أن يجد خوذات معدنية، ودروع معدنية، وجراميق معدنية. ومع ذلك، حتى القرن السابع قبل الميلاد، كانت هذه العناصر نادرة نسبيًا في العالم اليوناني. ومع ظهور جنود المشاة اليونانيين المدججين بالسلاح في القرنين السابع والخامس قبل الميلاد فقط، أصبحت المعدات القياسية تشبه معدات جالوت. في الواقع، كانت تجهيزات الهوبليت[1] القياسية مطابقة لتجهيزات جالوت، وتتكون من خوذة معدنية، ودرع صفيحي، وجرموق، ورمحين، وسيف، وترس كبير. وهذا يشير إلى أن مؤلف القصة التوراتية لداود وجالوت كان لديه معرفة

(1) جندي الهوبليت، هو الجندي المدني في دويلة المدينة في اليونان القديمة. وكان الهوبليت يجهّز كمقاتل رمح ويقاتل في مجموعة هي التشكيلة السلامية. المترجم

وثيقة بالجنود المشاة اليونانيين في أواخر القرن السابع قبل الميلاد.

ما هي الصلة؟ في ذلك الوقت بالتحديد، جاء التجار اليونانيون القادمون من سواحل آسيا الصغرى ليلعبوا دورًا متزايد الأهمية في حروب الشرق الأدنى. فيذكر المؤرخ اليوناني هيرودوت أن المرتزقة الكاريين والأيونيين خدموا في الجيش المصري وتمركزوا في الحصون الحدودية المصرية في أيام بسماتيك الأول، الذي استولى على الساحل الفلسطي في أواخر القرن السابع قبل الميلاد. وهذه الشهادة مدعومة بالمصادر الآشورية، التي تشير إلى ليديا كمصدر لهذه القوات، وبمجموعة واسعة من الأدلة الآثارية كشفت التنقيبات في دلتا النيل عن وجود لا لبس فيه للمستعمرات اليونانية في القرن السابع قبل الميلاد من خلال أدلة الفخار اليوناني المستورد وغيرها من المصنوعات اليدوية. و عُثر على نقوش يونانية و كاريانية في أبو سمبل. ويذكر نقش من القرن السابع قبل الميلاد عُثر عليه بالقرب من بريني في غرب آسيا الصغرى على اسم بسماتيك الأول في إهداء تركه جندي يوناني كان بمثابة مرتزق له.[1]

وعلى الرغم من وحدات متفرقة من القوات اليونانية ربما تكون قد استخدمت قبل الملوك البابليين في جيوشهم الضخمة كوحدات قتالية متخصصة، إلا ان الملك المصري بسماتيك الأول استخدمهم كقوة ضاربة واحتلال أكثر أهمية بكثير، فبدروعهم الثقيلة وتكتيكاتهم العدوانية، جسّد جنود المشاة اليونانيون صورة العدو المهدد والمتغطرس الذي كان من الممكن أن يكون معروفًا جيدًا لعديد من اليهود في أواخر القرن السابع قبل الميلاد.

هناك مصدر آخر للتأثير اليوناني في القصة. فقد جرت مقارنة الرواية التوراتية لجالوت ودرعه بالوصف الهوميري لأخيل (الإلياذة 480 :XVIII،

---

(1) على الرغم من أنه ربما جرى استخدام وحدات متفرقة من القوات اليونانية. يذكر هيرودوت (II: 159) أن الفرعون الأول كرّس الدرع الذي انتصر به في معارك إلفانت لمعبد أبولو في ديديما على الساحل الغربي لآسيا الصغرى - ليس بعيدًا عن بريني-.

12-608؛ XIX. 153، 369-385). فتقدم الإلياذة، في وصفها الملحمي للحرب بين اليونانيين وطروادة، عدة مقارنات إضافية لسيناريو قصة داود وجالوت، خاصة في مبارزات الأبطال من الجانبين المتحاربين. فتُروى المبارزة بين باريس ومينلاوس (الإلياذة III . 21ff وما بعدها) مثل الحكاية التوراتية، بأسلوب مبارزة واحدة تقرر نتيجة الحرب. ويمكن مقارنة المبارزة بين هيكتور وأياكس (الإلياذة XV. 206ff) بلقاء داود وجالوت من حيث المفهوم العام وكذلك من حيث تسلسل الأحداث: يُتحدى البطل؛ ويعيش شعبه حالة من الرعب. البطل يقبل التحدي؛ توصف اسلحة الأبطال. والمقاتلون يلقون الخطب. ويبدأ القتال. يقاتل نيستور البيلوسي أيضًا في مبارزة، ويوصف خصمه بأنه محارب عملاق.

إن تأثير هوميروس على مؤلفي التوراة أمر مستبعد إلى حد كبير قبل أواخر القرن الثامن، لكنه يزداد احتمالًا خلال القرن السابع، عندما أصبح اليونانيون جزءًا من مشهد شرق البحر الأبيض المتوسط. يجب أن تكون التفاعلات شائعة إلى حد ما. ففي أماكن مثل عسقلان على الساحل الجنوبي، وحصن مسعد حشفياهو الصغير الذي يعود تاريخه إلى أواخر القرن السابع قبل الميلاد شمال أشدود، يشهد الفخار اليوناني على وجود التجار أو المرتزقة أو المهاجرين. وتشهد شقفة مكتوبة بالعبرية وُجدت في حصن مسعد حشفياهو على وجود اليهوذائيين في الموقع. بالإضافة إلى ذلك، ذُكرت مجموعة تسمى كيترين Kittirn في اوستراكا Ostraca، يعود تاريخها إلى حوالي 600 ق.م، والتي عُثر عليها في الحصن اليهوذائي في عراد في وادي بئر السبع. فإذا كانت كلمة كيترين مفهومة – كما يرى بعض العلماء – على أنها تعني اليونانيين أو القبارصة (من مكان اسمه كيتيون Kition في قبرص)، قد تشير كلمة "أوستراكا" إلى المرتزقة اليونانيين في الخدمة المصرية، الذين يحرسون طرق التجارة الحيوية التي تؤدي إلى الساحل. وهذا من شأنه أن يجعل عراد على وجه الخصوص ووادي بئر السبع بشكل عام أماكن أخرى للاتصال المحتمل

بين سكان يهوذا ومرتزقة الهوبليت اليونانيين.[1]

ليس هناك من سبب لإنكار احتمال وجود حكاية قديمة عن مبارزة بين بطل يهودي (داود أو الحنّان) ومحارب فلسطي. ولكن ما هي الرسالة التي حاول مؤرخ التثنية إيصالها من خلال إلباس جالوت كجندي هوبليت يوناني وسرد القصة بأسلوب هوميروي؟ في أواخر القرن السابع قبل الميلاد، اصطدم حلمان عظيمان للنهضة: حلم يهوذا في "إعادة تأسيس" الملكية الموحدة لداود وسليمان، ورؤية مصر لإحياء إمبراطوريتها القديمة في آسيا. لكن حلم يهوذا في استعادة الأراضي الغنية في منطقة شفيلة الغربية كان مهددًا من قبل قوة مصر التي سيطرت الآن على أجزاء كبيرة من سهل فلسطين. كانت المبارزة بين داود وجالوت - الذي كان يرتدي زي أحد مرتزقة الهوبليت اليونانيين الذين كانوا يحمون مصالح مصر وقوتها - ترمز إلى التوترات المتزايدة بين اليوشيائية اليهوذائية ومصر الأسرة السادسة والعشرين.[2]

بالنسبة لليهوذائيين في ذلك العصر، مع وعيهم بالوجود اليوناني المهدد، كانت مضامين القصة واضحة وبسيطة: داود الجديد؛ يوشيا، سيهزم قوات النخبة اليونانية في الجيش المصري بالطريقة نفسها التي هزَم بها داود جيشه الشهير. لقد تغلب الجد على جالوت الجبار الذي يبدو أنه لا يقهر، بالقتال "باسمِ الرَّبِّ القديرِ، إلهِ جيشِ إسرائيل " (1 صم 17: 45).

(1) يتحدث إرميا (44: 1؛ 46: 14) عن اليهود الذين عاشوا في دلتا النيل. ومن الممكن أيضًا أن يكونوا على اتصال وثيق بالمرتزقة والتجار اليونانيين الذين أنشأوا مستعمرات تجارية هناك. لمزيد من الأدلة حول المرتزقة اليونانيين وارتباطهم المحتمل بقصة داود، انظر الملحق 6 حول وصف الكريتيين والبليثيين بأنهم الحراس الملكيين الشخصيين لداود..

(2) من الجدير بالذكر أن اسم جالوت قد تم مقارنته اشتقاقيًا بالاسم الليدي (أي المنسوب إلى ليديا = غرب آسيا الصغرى) ألياتس Alyattes. كان ألياتس التاريخي، ملك ليديا (حوالي 610-560 قبل الميلاد)، هو الحفيد الأكبر لغيغس Gyges - الملك الذي يقال إنه أرسل قوات هوبليت لمساعدة بسامتيك الأول ملك مصر..

هناك دليل في حاشية قصة داود وسليمان الواردة في التوراة، وهو أنه كان من المعتقد أن الملك يوشيا هو "الذي من نسل داود" الذي سيحيي أمجاد الملكية الموحدة بشكل كامل. فيُقال أنه بعد وقت قصير من وفاة سليمان، في وقت تقسيم مملكتي إسرائيل ويهوذا، أقام الملك الشمالي المنشق يربعام مذبحًا في مزار بيت إيل القديم - وبذلك أنشأ رمزًا لاستقلال شمال إسرائيل وتوحيد الخطيئة الدينية الأصلية لإسرائيل. لقد افترضنا أن فكرة مركزية هيكل أورشليم لم تسبق إصلاحات حزقيا، ومن المؤكد أنها لم تدون قبل جمع التاريخ التثنوي في أواخر القرن السابع قبل الميلاد. لكن المهم في رواية التوراة ليس افتقارها إلى الدقة التاريخية، بل بالأحرى النبوءة الاسترجاعية التي تقدمها. رد فعل نبي يهوذائي لم يُذكر اسمه على إعلان يربعام الهرطقي الاستقلال عن هيكل أورشليم وعن الدين الحقيقي لإسرائيل من خلال نطق الوحي التالي، في خطاب مباشر إلى المذبح الوثني في بيت إيل:

«يا مذبَحُ، يا مذبَحُ، هذا ما قالَ الرّبُّ: سَيُولَدُ لِبَيتِ داود ابنٌ يُسمَّى يوشيا، وهوَ سيذبَحُ علَيكَ كهَنةَ الأصنامِ الّذينَ يَحرقونَ علَيكَ البَخورَ، وسَيُحرِقُ علَيكَ عِظامَ بشَرٍ». (1 مل 13: 2).

لم تكن بيت إيل مجرد مكان عبادة منعزل؛ لقد كان أحد المزارات المركزية لمنافس يهوذا الأكبر، مملكة إسرائيل. وباعتبارها مركزًا لطقوس وتراث شمال إسرائيل، وتقع على بعد عشرة أميال فقط شمال أورشليم[1]، فقد كانت مكانًا واضحًا للحج والتعبد الذي يحتمل أن ينافس هيكل أورشليم. تشير الإشارات المعادية المتكررة إلى بيت إيل في تاريخ التثنية إلى أنها ظلت مكانًا مهمًا ونشطًا للعبادة حتى بعد الغزو

(1) جرى التعرف على الموقع القديم مع تل بيتين، ويقع تحت مباني القرية الحديثة ولم يجري التنقيب فيه بشكل منهجي. كشفت التحقيقات التي أجريت هناك بداية من الثلاثينيات عن بقايا واسعة من العصر البرونزي والحديدي.

الآشوري لإسرائيل، وهناك قصة غريبة في سفر الملوك الثاني تتعلق بالحقبة التي جُلب فيها المستوطنون الأجانب إلى منطقة بيت إيل وعبادتهم هناك:

«وجلَبَ مَلِكُ آشور قَوما مِنْ بابل وكوثَ وعَوّا وحماةَ وسَفَروايِمَ وأسكنَهُم مُدُنَ السامرة مكانَ بَني إسرائيل، فامتَلكوها واستَوطَنوها. ولم يَعبُدوا الرّبَّ في بِدايةِ إقامَتِهِم هُناكَ، فأرسلَ الرّبُّ علَيهِم أسُودا فتَكَت بِهِم. فقيلَ لِمَلِكِ آشور: «هؤلاءِ القَومُ الّذينَ سَبيتَهُم وأسكنتَهُم في مُدُنِ السامرة لم يَعرِفوا شريعةَ إلهِ تِلكَ الأرضِ، فأرسلَ الرّبُّ علَيهِم أسُودا فتَكَت بِهِم». فقالَ مَلِكُ آشور: «أرسِلوا إليهِم واحدا مِنَ الكهنَةِ الّذينَ سَبيتُهُم، فيذهَبَ إليهِم ويُقيمَ بَينَهُم ويُعَلِّمَهُم شريعةَ إلهِ تِلكَ الأرضِ». (2 مل 17 : 24 - 28).

لقد ذكرنا بالفعل كيف أن إصلاح حزقيا لهيكل أورشليم، في وقت الهجرة الإسرائيلية الكبيرة من المنطقة المحيطة ببيت إيل، ربما كان القصد منه تثبيط الحج إلى المزار المنافس وتوحيد تنوع السكان من خلال خلق عبادة وطنية واحدة. ولكن طالما حَكم الآشوريون أراضي المملكة الشمالية السابقة - وطالما ظلت يهوذا تابعة للآشوريين - فإن معارضة ضريح بيت إيل يجب أن تظل مجرد أيديولوجية.

وبعد انسحاب الآشوريين في عهد يوشيا تغير الوضع بشكل كبير. فمن ناحية، سيكون لسكان المنطقة الحرية في تطوير تراثهم الخاص وربما حتى الحلم باستقلال متجدد في ظل إحياء مملكة إسرائيل الشمالية. ولكن في الوقت نفسه، ومع عدم وجود تهديد بالانتقام الآشوري، كان بإمكان يهوذا أن تبدأ بالتطلع نحو الشمال ووضع أحلامها الخاصة بمملكة داود "المنبعثة" الشاسعة موضع التنفيذ. تصف رواية إصلاح يوشيا استيلائه الوحشي على بيت إيل وتدنيسه للمقابر المحيطة بها باعتباره تحقيقًا للنبوة :

وهدَمَ يوشيا مذبَحَ بيت إيل، الّذي في المَعبدِ هُناكَ، والّذي أقامَهُ يربعام

بنُ نَباطَ الّذي خَطِئَ وجعَلَ شعبَ إسرائيل يَخطَأُ، وحطَّمَ المَعبدَ وسحَقَ حجارَتَه غُبارا، وأحرَقَ صنَمَ أشيرةَ. والتَفَتَ يوشيا، فرأى القُبورَ الّتي هُناكَ في الجبَلِ، فأرسلَ وأخذَ العِظامَ مِنها، فأحرقَها على المذبَحِ ونَجَّسَهُ، فتَمَّ قولُ الرّبِّ الّذي نادى بهِ رَجُلُ اللهِ مِنْ قَبلُ.. (2 مل 23: 15-16)

كان تدمير المزار في بيت إيل وإعادة الإيمان الحقيقي لهيكل أورشليم من المكان المشين القديم هو الخطوة الأولى والرمزية للغاية نحو إلغاء قرون من الارتداد الشمالي وإحياء الملكية الموحدة الشاسعة والمحمية إلهيًا.

وفي غياب الأدلة الآثارية الواضحة من موقع بيت إيل، لا يمكننا أن نعرف ما إذا كانت هذه القصة بكل تفاصيلها صحيحة. ولكن كما ذكرنا، فقد عُثر على قطع آثارية مميزة من القرن السابع قبل الميلاد، مثل الأوزان المنقوشة والتماثيل الصغيرة على شكل أعمدة وأنواع مميزة من الأواني الخزفية، في أقصى الشمال حتى منطقة بيت إيل، مما يشير إلى انتشار النفوذ الجنوبي هناك في عهد يوشيا. ويشير تفصيلان في التاريخ التثنوي إلى أن غزو بيت إيل كان بالفعل مرتبطًا بشكل وثيق في الوعي المعاصر بتحقيق يوشيا لميراث داود. والنصب الوحيد الذي يقال إن يوشيا تركه في بيت إيل هو قبر النبي الذي "تنبأ" بتدميره للمزار. والتفصيل الثاني لا يقل دلالة: ورود ذكر بيت إيل كواحدة من الأماكن التي توجه إليها داود وهو يوزع الغنائم بعد غارته على العماليق الجنوبيين (1 صم 30: 27). ويبدو أن يوشيا كان يتصرف بوعي ذاتي للعب دور داود الجديد. وبحلول عصره، لم يعد التراث الداودي المتقن مخصصًا للاستهلاك اليهوذائي الداخلي فحسب، بل أصبح العقيدة التوجيهية للحرب المقدسة لإخضاع كل أرض إسرائيل لحكمه.

وهكذا يمكن قراءة التاريخ التثنوي كبرنامج سياسي، من غزو يشوع إلى أيام القضاة، إلى صعود داود، مروراً بالمملكة الموحدة وانهيارها إلى أيام

الدولتين المنفصلتين، وإلى أيام الدولة الثانية. ذروة القصة مع حكم يوشيا، أكثر ملوك داود تقوىً. لقد انهارت الإمبراطورية الآشورية، وبدا أن مصر كانت مهتمة فقط بممتلكاتها الساحلية، وكانت يهوذا حرة في تحقيق أحلامها القومية الإسرائيلية. ومن الواضح أنه كان وقتًا مليئًا بالبهجة والتوقعات العظيمة في ظل الحكم الصالح لداود الجديد وتحت رعاية هيكل سليمان، ستعيش جميع الأراضي والشعوب الإسرائيلية قريبًا في دولة واحدة، وتعبد إلهًا واحدًا في معبد واحد في أورشليم، وترث كل بركات الله الأبدية.

إعادة تصوير داود وسليمان

كُتب سفر التثنية والتاريخ التثنوي، الذي يحتوي على ملحمة داود وسليمان، لخدمة استراتيجية إصلاح عبادة يوشيا والأيديولوجية الإقليمية (أو الدولة). فمن هم الأشخاص المسؤولون عن هذه المساهمة الأساسية في التراث التوراتي؟ على الرغم من عدم وجود اتفاق علمي على هوية قادة هذه الحركة، إلا أن التحالف الأساسي للقوى واضح نسبيًا. فيشير الاهتمام العميق بقدسية هيكل أورشليم إلى أن كهنة الهيكل لعبوا دورًا مهمًا في صياغة وتعزيز الأيديولوجية التثنوية. ويشير الاهتمام بالعلاقات الاجتماعية العادلة بين الأغنياء والفقراء، والذي عُبر عنه في قوانين سفر التثنية، إلى وجود مقاومة شعبية ضد تجاوزات الحقبة الآشورية وأولئك الذين استفادوا منها. ولكن في جوهر الأمر كان هناك تبجيل عميق لسلالة داود لا يمكن التعبير عنه إلا من قبل أولئك الذين يتعاطفون من كل قلوبهم مع خير البلاط الملكي. وقصص داود وسليمان - التي تصف أيام مؤسس السلالة التقي، وتأسيس أورشليم عاصمة له، وفتوحاته العظيمة، وبريق الملكية الموحدة، وبناء ابنه للهيكل - تم وضعها في قلب التاريخ التثنوي.

لقد قُبلت القصص السابقة للآباء المؤسسين لمملكة يهوذا إلى حد

كبير. ومع ذلك، فإن الروايات الحية عن عيوب داود الشخصية - والتي كان من شأنها أن تقضي على أي زعيم آخر وفقًا لمعايير سفر التثنية الصارمة - لا يمكن ببساطة تجاهلها في جمع التراث والأساطير والحكايات والذكريات والروايات التاريخية لإسرائيل القديمة جنوبها والشمال على حد سواء، في تاريخ واحد محدد. ويبدو أن محرري التاريخ التثنوي قد احتفظوا بكل أو كثير من المواد السابقة، التي كتبت لأول مرة في أواخر القرن الثامن وأوائل القرن السابع قبل الميلاد، مضيفين فقط خطابات ذات صيغة محددة (مثل تحدي داود لجالوت في 1 صم 17: 45 - 47)، والتعليقات التحريرية، وتفاصيل الثقافة المعاصرة، وبالطبع؛ حبكة القصص لخدمة أهدافها اللاهوتية.

استمدت الملحمة المُركّبة الجديدة نطاقًا واسعًا من التراث كطريقة مجربة لمواصلة تنمية الإجماع الوطني بين دوائر منفصلة فقط - ولتعزيز خطة يوشيا للتوسع في الأراضي التي كانت تنتمي سابقًا إلى المملكة الشمالية، وهي خطة تحققت بالفعل في حالة هضبة بنيامين ومنطقة بيت إيل. ومن ثم فإن التراث الشمالي عن شاول - حتى لو كانت تحتوي على لهجة سلبية عن داود - احتفظ بها في القصة، على الرغم من أنها بالمقارنة مع داود، فإنها تشوه وتقلل من مكانة شاول.

كما احتفظ مؤرخو التثنوي أيضًا بالقصص السابقة عن ثروة سليمان وحكمته وعظمته المستمدة من ذروة عصر الإمبريالية الآشورية. ويمكن استخدام هذه الأوصاف التفصيلية للثروات والقوة التي لا يمكن تصورها لإظهار ما قد يخبئه المستقبل ليهوذا مرة أخرى، إذا جرى إطاعة القانون وأمكن بناء مملكة موحدة لكل إسرائيل "مرة أخرى". لكن قصة سليمان (1 مل 11: 1-10) قدمت أيضًا درساً مفاده أن التجارة العالمية والنزعة الدولية يمكن أن تولد الارتداد – وتعريض تراث يهوذا وهويتها القديمة للخطر.

ووفقاً لهذه الأيديولوجية، يبدو أن مؤلف "قانون الملك" في سفر

التثنية قد استخدم عظمة سليمان وبذخه للتعبير عن رسالة إدانة للملوك الذين طلبوا الجلال على حساب التُقى:

إذا دخَلتُمُ الأرضَ الّتي يُعطيكُمُ الرّبُّ إلهُكُم وامْتَلَكْتموها وسكَنتُم فيها وقلتُم: «نُقيمُ علَينا مَلِكا كسائرِ الأُمَمِ الّذينَ حَوالَينا»، فأقيموا علَيكُم مَلِكا يختارُهُ الرّبُّ إلهُكُم مِنْ بَينِ إخوَتِكُم بَني قومِكُم، ولا تُقيموا رَجُلا غريبا عَنكُم لِئلاً يتَغَلّبَ علَيهِ أصلُهُ فيُكثِرَ مِنَ الخَيلِ ويَزيدَ على ما عِندَهُ مِنها لِيَرُدَّ الشّعبَ إلى مصر لأنَّ الرّبَّ قالَ لكُم: «لا تُعاوِدوا الرُّجوعَ مِنْ هذِهِ الطَّريقِ ثانيةً». وعلى المَلِكِ أنْ لا يُكْثِرَ مِنَ النِّساءِ لِئلاً يَزيغَ قلبُهُ ولا يُبالِغ في الإكثارِ لِنَفسِهِ مِنَ الذَّهَبِ والفِضَّةِ. (تثنية : 17: 14-17)

كان الدرس واضحًا لا لبس فيه: حكمة سليمان وهيكله فقط هما المهمان. وكل زخارف القوة الدنيوية الأخرى التي كان يعتز بها كثيرًا - الخيول، والزوجات، والثروة - كانت بمثابة تحويلات خاطئة عن مراقبة إرادة الله الحقيقية، في الماضي والحاضر.

إن الوصف الطويل والمعقد للبناء والتخطيط الداخلي للهيكل، والذي - كما لمحنا إليه في الفصل السابق - يمكن أن يرجع تاريخه إلى وقت سابق لأيام يوشيا بقليل، ربما يكون قد خدم في تعزيز تطهيره الشامل لكل الأشياء الوثنية. من خلال إظهار أن الهيكل الحالي المنقى يشبه حرم سليمان الأصلي الموحى به إلهيًا في كل شيء. وبالفعل يلاحظ في العبارة المميزة للمؤرخ التثنوي عن أن أعمدة تابوت العهد في هيكل سليمان "كانتِ القُضبانُ طويلَةً، أطرافُها تُرَى مِنْ قُدسِ الأقداسِ أمامَ المِحرابِ، لا مِنَ الخارِجِ. وهيَ هُناكَ إلى هذا اليومِ. (1 مل 8: 8).

هذه الطبقة من المراجعة التثنوية أكملت إلى حد كبير القصة التوراتية لداود وسليمان في أسفار صموئيل والملوك الأول المألوفة لنا اليوم. لقد أدرجت عناصر ثانوية لاحقًا، لكن روح القصة ونغمتها العامة - بالإضافة إلى آثار جميع طبقاتها السابقة من صناعة الأساطير الإبداعية، وسرد القصص، وجمع الذاكرة، والتطور الأيديولوجي، والنشاط الأدبي - ظلت سليمة.

ومع تطور الأمور، لم يتحقق الحلم التثنوي الأصلي، على الأقل على المستوى الأرضي. في عام 609 ق.م، شرع الفرعون نخو، ابن وخليفة بسماتيك الأول، في حملة عسكرية ضخمة لمساعدة بقايا الإمبراطورية الآشورية المحتضرة في استعادة مدينة حران، في أقصى الشمال. ويقدم سفر الملوك الثاني وصفًا مقتضبًا لحدث سيكون له آثار هائلة، ليس فقط على يهوذا وتراث داود، بل أيضًا على التاريخ الديني اللاحق للعالم الغربي:

وفي أيّامِهِ صَعِدَ فِرعَونُ نَخوَ، مَلِكُ مصر، إلى نهرِ الفرات لِمُساعَدةِ مَلِكِ آشور، فاعتَرَضَهُ المَلِكُ يوشيا فقتَلَهُ فِرعَونُ في مجدو. فعادَ بهِ رِجالُه مَيتا مِنْ مجدو، وجاؤوا بهِ إلى أورشليم ودَفَنوهُ في قبرِهِ. (2 مل 23 : 29-30).

ولا يمكننا إلا أن نتكهن بأسباب هذا الإعدام - لأن الحدث لم يُذكر خارج التوراة.[1] - فيما إذا كان ذلك بسبب جرأة أسلوب يوشيا تجاه الفرعون - الذي كان يتوقع أن يؤدي ملك يهوذا قسم التبعية، أو كان ذلك بسبب التقارير المحتملة عن التوسع اليهودي غير المصرح به والتهديد في منطقة شفيلة والتلال. ولكن هناك قسم واحد واضح: فعلى الرغم من أن يهوآحاز ابن يوشيا قد جرى مسحه على النحو الواجب كخليفة شرعي من نسل داود، فإن المصطلح العبري الذي يعني "الممسوح"، مشيحا (المسيح) سوف يحمل من الآن فصاعدا أهمية جديدة. لقد تم استثمار كثير من الأمل في مصير يوشيا، داود الجديد، وكان أنصاره واثقين جدًا من حتمية انتصارهم الموعود إلهيًا لدرجة أن موته على يد الفرعون تسبب في صدمة وطنية لن تُشفى أبدًا. حتى اسم مكان اغتيال - مجدو - لم يُنسى أبدًا. هار مجدو (تلة مجدو)، والتي

(1) يذكر سفر أخبار الأيام الثاني أن يوشيا قُتل في مجدو في معركة ضد نخو، لكن يجب على المرء أن يفضل الشهادة القريبة من المُعاصرة لسفر الملوك على رواية أخبار الأيام اللاحقة التي تعود إلى القرن الرابع قبل الميلاد..

تُرجمت من العبرية إلى اليونانية بعد قرون باسم "هرمجدون"، ستُذكر دائمًا على أنها البقعة المصيرية حيث ستتقاتل قوى الخير والشر يومًا ما لتحديد مصير العالم، إن أي ملك صالح من نسل داود سيعود يومًا ما إلى المكان الذي هلك فيه آخر ملك بار من نسل داود. مع وفاة يوشيا عام 609 ق.م، ولد تقليد علم آخر الزمان اليهودي - المسيحي والمسيانية الداودية.

أصبحت أيام مملكة يهوذا معدودة. ففي عام 597 ق.م، حاصر الجيش البابلي أورشليم وأسر الملك يهوياكين مع حاشية من الكهنة والنبلاء. وبعد أحد عشر عامًا، اضرمت النار في أورشليم وهيكلها، وانتهى حكم سلالة داود. ولكن على الرغم من تدميرها وسبي الطبقات الحاكمة، فإن قصة مملكة يهوذا عاشت في فن السرد للملحمة التوراتية - وإن لم تكتمل في شكلها النهائي بعد. سيتم سرد نهاية اسطورة داود وسليمان، باعتبارها محور الملحمة ونموذجًا لخلاص إسرائيل النهائي، وإعادة روايتها لعدة قرون، مما يفقد تدريجيًا ارتباطها بالتاريخ ويتخذ أبعادًا كونية ومعنى روحيًا بشكل متزايد، لن تتراجع عنه أبدًا.

الجزء الثالث

كيف شكلت الأسطورة التاريخ؟

مراحل	المواد التوراتية	الخلفية التاريخية	الاكتشافات الآثارية
القرون الرابع والسادس قبل الميلاد الفصل 7	ثانيا، التنقيح التثنوي للسبي، ترقية القصة إلى: تاريخ. وتفسير السبي. نبوءات حقبة السبي (على سبيل المثال، حجي وزكريا). استخدام داود وسليمان كرموز دينية في السجلات.	نبوخذ نصر يدمر يهوذا وأورشليم. السبي البابلي. ملك بلاد فارس يسمح لبعض السبي بالعودة إلى يهودا، بناء الهيكل الثاني. نهاية الآمال في الاستعادة السياسية لسلطة آل داود.	تدمير أورشليم. المصفاة ما تزال قائمة، طبعات اختام في يهودا. أورشليم تتعافى ببطء. بناء الهيكل السامري على جبل جرزيم

الفصل السابع

شفعاء الهيكل

من الدعاية الملكية إلى المُثل الدينية

من القرن السادس إلى الرابع قبل الميلاد

لماذا ما يزال تراث داود وسليمان يؤثّر فينا، إذا كانت أسطورتهم قد ولدت وتشكلت من خلال المخاوف السياسية للعصر الحديدي المنقرض منذ مدة طويلة؟ تكمن الإجابة في تحولها التدريجي من برنامج سياسي واقعي إلى تجسيد رمزي لعقيدة دينية تنتشر في جميع أنحاء العالم. ولأن موت يوشيا في مجدو وتدمير أورشليم بعد ثلاثة وعشرين

عامًا في عام 586 ق.م لم يضع فقط تطورًا مأساويًا لا رجعة فيه عن أسطورة سلالة داود؛ بل أنهى فائدتها السياسية العملية. فلن يملك ملك من آل داود في أورشليم مرة أخرى؛ ناهيك عن امتلاك سلطة سياسية دائمة. ومن الآن فصاعدا، سيحكم الشرق الأدنى إمبراطوريات عظمى. إن قيامة مملكة داود - من النوع الذي تصوره يوشيا والتثنويون - لن يكون من الممكن تصوره. سوف تتعاقب الإمبراطوريات القوية واحدة بعد أخرى في حكم وإدارة أراضي المنطقة وشعوبها: وسيفسح البابليون الطريق للفرس، ويفسح الفرس المجال للممالك الهيلينستية الكبرى في مصر وسوريا.

سوف تنمو المدن، وسوف تتطور اقتصادات جديدة، وسوف تظهر هويات عرقية جديدة وتفاهمات تاريخية. ومع ذلك، فإن قصة داود وسليمان لن تُنسى أبدًا. لقد قدمت صورة خالدة للآباء المؤسسين، للعصر الذهبي، والوعد الإلهي الذي من شأنه أن يخدم وظائف أيديولوجية جديدة قوية لم يحلم بها شعراء البلاط في أورشليم في القرن التاسع قبل الميلاد، أو أتباع الملوك حزقيا ومَنَسّى، أو محررو التثنية في عهد يوشيا. سيحدث هذا عندما يتحول تركيزها بشكل دائم من الاهتمامات السياسية والمتعلقة بالسلالة الحاكمة في الوقت الحاضر إلى رؤية أكثر شمولاً للخلاص - لا ترتبط بالملكية الأرضية بل بقواعد المعتقد الديني.

لعدة أجيال بعد تدمير أورشليم، ظلت الآمال في الاستعادة الوشيكة لبيت داود تومض بشكل مشرق، على الأقل في بعض الدوائر، على الرغم من عدم جدواها المتزايد. كانت أورشليم في حالة خراب، وقد سُبيت النخبة في المملكة، وانضمت إلى مجموعات سابقة من المسبيين اليهوذائيين (بما في ذلك حاشية الملك يهوياكين حفيد يوشيا) الذين أعيد توطينهم في قلب بابل[1]. ومع ذلك، فقد استمر إبداع الكتبة بين

(1) للحصول على تقدير لأعداد المسبيين، انظر الملحق 7.

مجتمعات السبي في بابل والناجين في يهوذا المدمرة، - معتمدًا جزئيًا على النصوص التراثية للمملكة، وجزئيًا على رؤى جديدة وأقوال نبوية - مما ساعد على إبقاء تراث سلالة داود المخلوعة الآن حيًا. وكان يهوياكين حفيد يوشيا ما يزال يُعدّ على ما يبدو الوريث الشرعي لداود على الأقل بين المسبيين في بابل،[1] واستمرت الآمال في عودته المحتملة إلى يهوذا. وهذا الإصرار على الإيمان في مواجهة الإمبراطورية البابلية المنتصرة (التي تبدو غير قابلة للزعزعة) تطلب تبريرًا ميتافيزيقيًا بشكل متزايد. وبدأ تراث داود وسليمان، الذي يجسد جوهر الأيديولوجية الملكية اليهودية، في الخضوع لسلسلة من التغييرات التي من شأنها أن تحوله في النهاية من منبر سياسي إلى مثال ديني موحد.

كانت الخطوة الأولى هي المراجعة المطلوبة بشكل عاجل للتاريخ التثنوي. لقد لاحظ الباحث التوراتي الأمريكي فرانك مور كروس Frank Moore Cross منذ عدة عقود مضت، وجود طبقتين رئيسيتين في تكوين التاريخ التثنوي تعكسان هذه العملية الأدبية. الطبقة السابقة والتي سماها Dtr1، تمثل التجميع الأصلي، الذي يعبر عن الأيديولوجية والفهم التاريخي للملكية المتأخرة في يهوذا. وكما افترضنا في الفصل الأخير - حيث نقدم بيانات آثارية تؤكد بشكل أساسي نظرية كروس الأصلية - تبلورت هذه النسخة من تراث داود وسليمان في عهد يوشيا باعتبارها إثباتًا وحافزًا لبرنامج سياسي طموح. ولكن مع موته والغزو البابلي ليهوذا، لم تسفر استراتيجية يوشيا الكبرى عن شيء. إذا كان لتاريخ التثنية أن يحافظ على سلطته، فلا بد من تقديم تفسيرات معينة عن لماذا لم ينجح يوشيا في توحيد كل أرض إسرائيل تحت ملكه؟ وكيف يمكن لملك يهودي تقي أن يُقتل على يد ملك أجنبي؟ ولماذا سمح إله إسرائيل فيما بعد للبابليين بنهب وحرق الهيكل وتدمير

(1) النبي حزقيال، الذي كان ينتمي إلى جماعة السبي، قام بحساب تواريخ أقواله حسب سنوات سبي يهوياكين (١: ٢؛ ٣٣: ٢١؛ ٤٠: ١) - على ما يبدو صيغة تأريخ ملكية محلية بديلة تقترح استمرار الولاء للملك المسبي.

مدينة أورشليم المقدسة؟ لقد كانت هناك حاجة إلى مراجعة للتاريخ التثنوي. وهذه النسخة الموسعة، المكتوبة أثناء السبي، أطلق عليها كروس وعلماء آخرون اسم Dtr 2.

فمع بعض اللمسات التحريرية والإضافات البارعة، استمرت القصة لتشمل وفاة يوشيا وكارثة عام 586 ق.م. وبذلك أُعيد تشكيل الرسالة الشاملة للتاريخ التثنوي. وبدلاً من توقعات يوشيا باعتباره خليفة داود الذي طال انتظاره، أصبح تدمير المملكة وسبي بابل يحتل الآن مكانًا أساسيًا في تاريخ إسرائيل. ادرجت المقاطع التي تتنبأ بالسبي في جميع أنحاء التاريخ التثنوي. وأُلقي اللوم في فشل إصلاحات يوشيا وحتى التدمير الكامل لمملكة يهوذا على شر مَنَسّى الذي لا يُغتفر، والذي كان على كُل إسرائيل ان تكفر عنه، على الرغم من تقوى يوشيا:

فقالَ الرّبُّ على ألسِنَةِ عبيدِهِ الأنبياءِ: لأنَّ مَنَسّى مَلِكَ يهوذا فعَلَ الأرجاسَ، وعَمِلَ أسوأَ مِما عَمِلَهُ الأموريُّونَ قَبلَهُ، ولأنَّهُ جعَلَ شعبَ يهوذا يَخطَأُ بِعِبادةِ الأصنامِ، لذلِكَ أقولُ أنا الرّبُّ إلهُ إسرائيل: ها أنا جالِبٌ على أورشليم ويهوذا شرًّا يَصعَقُ الآذانَ، وأُعاقِبُ أورشليم كما عاقَبْتُ السامرة وبَيتَ اخآب فأمسَحُها كما يُمسَحُ الصَّحنُ وينقَلَبُ بَعدَ مَسْحِهِ رأسا على عَقِبٍ. وأتخَلّى عَنْ بَقيَّةِ شعبي وأُسَلِّمُهُم إلى أعدائِهِم. (2 مل 21 : 10 - 14).

وفي الواقع، فإن قصة إسرائيل والمصير النهائي لبيت داود - كما تُروى في تاريخ التثنية - لم تصل إلى نهايتها في أورشليم، بل في بابل البعيدة، حزينة لكنها ملئت بالأمل الخافت بإطلاق سراح الملك يهوياكين من السجن في السنة السابعة والثلاثين من منفاه، أي ما يزامن سنة 561 ق.م (2 مل 25: 27-3).

ظلت الأسرة الداودية تحتل المركز في التعبيرات الأدبية عند تعريف اليهود لأنفسهم، ولكن مع انهيار المملكة وسقوط الأسرة من السلطة الأرضية، أصبحت تلك التعبيرات شعرية ومجازية بشكل متزايد. عُبر عن بعض من أكثر الاستحضارات التوراتية بلاغة وتأثيراً للإيمان ببعث داود في أعمال نبوات القرن السادس قبل الميلاد، والتي بدأت في تحويل التركيز إلى التجديد الوطني وبعيداً عن شرعية الأسرة الحاكمة البحتة أو الاستراتيجية السياسية قصيرة المدى. فعلى الرغم من أن سفر إشعياء، يُنسب إلى نبي من أواخر القرن الثامن إلا انه يتضمن أيضًا مادة تعبر عن آمال الأجيال اللاحقة، حتى نهاية القرن السادس قبل الميلاد على الأقل. أن تصويرها لعودة مخلص داودي هي صورة كونية في نطاقها وعالمية في مداها - ولم تعد مقتصرة على المصير السياسي لورثة ابن يسى، الراعي من بيت لحم:

يخرُجُ فرعٌ مِنْ جِذعِ يَسّى وينمو غُصنٌ مِنْ أُصولِهِ. روحُ الرّبِّ ينزِلُ علَيهِ، روحُ الحِكمَةِ والفَهْمِ والمَشورةِ روحُ القوَّةِ والمَعرفةِ والتَّقوى، ويبتَهِجُ بمخافةِ الرّبِّ. لا يقضي بحسَبِ ما ترَى عيناهُ ولا يحكُمُ بحسَبِ سَماعِ أُذُنَيهِ، بل يقضي للفُقراءِ بالعَدلِ ويُنصِفُ الظَّالِمينَ بكلامٍ كالعصا، ويُميتُ الأشرارَ بنَفخةٍ مِنْ شَفَتيهِ. يكونُ العَدلُ حِزاما لوَسطِهِ والحَقُّ مِئزَرا حَولَ خَصرِهِ. فيَسكُنُ الذِّئبُ معَ الخروفِ، ويبيتُ النَّمرُ بجانِبِ الجَدْيِ. ويَرعى العِجلُ والشِّبلُ معا وصبيٌّ صغيرٌ يسوقُهُما. وتُصاحِبُ البقَرَةُ الدُّبَّ ويبيتُ أولادُهُما معًا. ويأكُلُ الأسدُ التِّبنَ كالثَّورِ. يلعبُ الرَّضيعُ على وكرِ الأفعى، ويضَعُ يَدَهُ في مَكمَنِ الثُّعبانِ. لا يُسيءُ أحدٌ ولا يُفسِدُ أينما كانَ في جبَلِي المُقدَّسِ لأنَّ الأرضَ تَمتلئُ مِنْ مَعرفةِ الرّبِّ، كما تملأُ المياهُ البحرَ. العودة من السبي في ذلِكَ اليومِ يرتفعُ أصلُ يسَّى رايةً للشُّعوبِ. تطلُبُهُ الأُمَمُ ويكونُ موطِنُهُ مجيدًا. (إشعياء : 11: 1-10)

إن الوحي في سفر إرميا ليس أقل إدهاشًا في رؤيته لبعث داود كتحول

أخلاقي كامل لمجتمع يهوذا، الذي يعيش بأمان في أرضه:

«ستأْتِي أيّامٌ يقولُ الرّبُّ، أُقيمُ مِنْ نسل داود مَلِكا صالحا، يَملِكُ ويكونُ حكيما ويُجري الحَقَّ والعَدلَ في الأرضِ. في أيّامِهِ يُخَلَّصُ شعبُ يهوذا ويَسكُنُ بَنو إسرائيل في أمانٍ، ويكونُ اسمُهُ: «الرّبُّ صادِقٌ معَنا. (إرميا 23: 5-6).

وفي نبوءة حزقيال الشهيرة، تصبح فكرة الراعي - التي تأسست تاريخياً في الخلفية الرعوية في تلال يهوذا - كناية عن القيادة الأخلاقيَة الخيرة:

وأُقيمُ علَيها راعيًا واحدًا ليرعاها كعبدي داود، فهوَ يرعاها ويكونُ لها راعيًا صالحًا. وأنا الرّبُّ أكونُ لغنَمي إلهًا ويكونُ الرّاعي الّذي كعبدي داود لها رئيسًا. أنا الرّبُّ تكلَّمتُ. وأُعاهِدُ غنَمي عَهدَ سلامٍ وأرُدُّ الوحشَ الضّاريَ عَنِ الأرضِ، فتسكنُ في البرّيَّةِ آمنةً وتنامُ في الغابِ. (حزقيال 34: 23 - 24).

تعكس هذه الفقرات كلها رجاءً عامًا بالخلاص تجاوز بكثير الأهداف الإقليمية والاستراتيجية السابقة لسلالة داود الأرضية. وبحلول القرن السادس قبل الميلاد، كان عصر الممالك الصغيرة المستقلة قد أفسح المجال لتنافس الإمبراطوريات الكبرى. لم يبق حكم بابل على منطقة الشرق الأدنى دون منازع لمدة طويلة. نهض الميديون في غرب بلاد فارس لبسط السيطرة على اعلى وادي دجلة والفرات. وغُزوا بدورهم من قبل الأخمينيين الجنوبيين الفرس، بقيادة كورش الكبير (559 -530 ق.م) الذي اكتسحهم شرقًا وغربًا لبناء إمبراطورية عظيمة لنفسه. رُوقبت هذه التطورات عن كثب من قبل المجتمع اليهودي في بابل ومصر ويهوذا، الذين اعتبروها دليلاً على خطة الله على نطاق أوسع من أي وقت مضى. أعلن بعضهم، مثل كاتب النبوءة في (إش 45: 1) أن الملك الفارسي - وليس أحد من نسل داود - هو مسيح الرب الممسوح لخلاص العالم. ولكن مع غزو كورش لبابل عام 539 ق.م، ارتفعت الحظوظ السياسية لسلالة داود فجأة مرة أخرى.

ومن خلال إنشاء أساس جديد لإمبراطوريته، قلب كورش السياسة البابلية القديمة المتمثلة في الترحيل والسبي. لقد تسامح الفرس مع الطوائف المحلية في إمبراطوريتهم الشاسعة، بل وعززوها بمنح الحكم الذاتي للنخب المحلية الموالية. وبالفعل، أصدر كورش مرسومًا يمنح الإذن للمسبيين من يهوذا بالعودة إلى أورشليم وإعادة بناء الهيكل. لدينا فقط شهادة لاحقة من سفر عزرا (1؛ 6: 3-5) عن التطورات في هذه الحقبة، ولكنها تتوافق جيدًا مع السياسة الفارسية المعاصرة فيما يتعلق بترميم المقامات الإقليمية الأخرى. سُلمت أواني الهيكل إلى "شيشباصر أمير يهوذا"، الذي عُين حاكمًا لإقليم (يهوده) الفارسي الذي تشكل حديثًا، والتي تسمى بهذا الاسم الآن (عز 1: 8 ؛ 5: 14). كما عاد إلى أورشليم أعضاء بارزون من مجتمع السبي (عز 2: 2 ؛ 3: 2)، ومن بينهم كاهن اسمه يشوع بن يوصاداق والأمير الداودي زربابل، حفيد يهوياكين.[1] ويبدو أن الآمال كانت كبيرة في إمكانية استعادة الحياة الوطنية في يهوذا تحت قيادة الأسرة الداودية. ومع ذلك، فإن ما حدث كان عبارة عن سلسلة من التطورات بعيدة المدى التي من شأنها أن تضع نهاية نهائية للادعاءات الأرضية لسلالة داود، وتبدأ في تحويل عبادة يهوذا الوطنية إلى الدين الذي نعرفه الآن باسم اليهودية.

بريق مملكة داود الأخير

في وقت وصول الموجات المتعاقبة من المسبيين اليهوذائيين من بابل، كانت مقاطعة يهوده ظلًا شاحبًا لوجودها السابق كمملكة يهوذا.[2] تقلصت حدودها، وتضاءل عدد سكانها بشكل كبير، وظلت

(1) ذكر نسب داود في أخبار الأيام الأول 3: 19. اسمه، الذي يعني "بذرة بابل" باللغة الأكادية، هو إشارة إلى مدى اندماج النخبة اليهودية - وحتى الأرستقراطية الداودية - في المجتمع البابلي في غضون بضعة عقود فقط من المنفى.

(2) راجع الملحق 7 لمزيد من التفاصيل حول أعداد المنفيين اليهود العائدين وحجم ومكانة مقاطعة يهوده في حقبة ما بعد السبي

أورشليم في حالة خراب، ولم تعد المركز الرسمي لدولة ولا لعبادة، ولا اقتصاد متطور ومتنوع. كان الإنتاج - ربما باستثناء الحرف اليدوية - مخصص بالكامل للزراعة. لقد أنتجت التنقيبات الآثارية الشاملة في السنوات الأخيرة صورة معقولة عن الوضع الديموغرافي في هذه الحقبة. إنها تؤكد إلى حد كبير التفاصيل غير الواضحة التي يمكن العثور عليها في نصوص التوراة. فيخبرنا سفر الملوك الثاني وسفر إرميا أنه بعد تدمير أورشليم عام 586 ق.م، تمركزت القيادة الرائدة لبقية السكان في بلدة مصفاة، على بعد حوالي ثمانية أميال شمال أورشليم. وأظهرت التنقيبات في تل النصبة - موقع المصفاة التوراتية، بالقرب من رام الله الحديثة - أن الموقع لم يدمر في الحملة البابلية وأنه أصبح المركز الحضري المركزي والأكثر أهمية في هذه المنطقة. وفي الواقع، ظلت مواقع أخرى في نفس المنطقة شمال أورشليم، بما في ذلك بيت إيل وجبعون، مأهولة بالسكان في أوائل القرن السادس قبل الميلاد دون أي دليل على تدميرها أثناء الحملة البابلية.

ومن ناحية أخرى، تعرضت المنطقة المحيطة بأورشليم للدمار الشامل. وأظهرت التنقيبات المكثفة في أورشليم أن المدينة تعرضت للتدمير المنهجي على يد البابليين وأن المناطق المجاورة لها ظلت قليلة السكان لعقود من الزمن. وإلى الجنوب، حول بيت لحم، يبدو أن الحياة الريفية استمرت دون انقطاع، خاصة على شكل قرى صغيرة لا تصل جنوباً إلى محيط بيت صور. كان عدد سكان المقاطعة بأكملها أقل بكثير مما كان عليه في القرن السابق. قام المؤرخ التوراتي عوديد ليبشيتس Oded Lipschits بتحليل البيانات الآثارية من هذه الحقبة وقدر إجمالي المساحة المبنية في جميع أنحاء يهوده بما لا يزيد عن حوالي 350 فدانًا (140 هكتارًا). وضرب هذا الرقم بمعامل كثافة يبلغ حوالي مائتي شخص لكل هكتار (وهو التقدير المقبول لمتوسط عدد سكان القرى في مجتمعات الشرق الأوسط ما قبل الحداثة)، يوصلنا إلى رقم إجمالي يبلغ حوالي ثلاثين ألف شخص - حوالي 40 بالمائة من سكان مملكة يهوذا

المتأخرة. باختصار، كانت مقاطعة يهوده التي عاد إليها المسبيون البابليون عبارة عن منطقة ريفية تضم مجتمعات متفرقة من الناجين، بالإضافة إلى مدينة مدمرة كان يوجد فيها هيكل وعاصمة ملكية ذات يوم.

تُقدم أسفار عزرا ونحميا، جنبًا إلى جنب مع نبوءات حجي وزكريا، صورة مفككة للمحاولات المبكرة لترميم هيكل أورشليم - وهي عملية البداية والتوقف التي تمت تحت أعين الإدارة الفارسية الساهرة، وعداء الشعوب المجاورة، وشكوك السكان المحليين المتبقين، الذين كانوا يخشون التجريد من ممتلكاتهم أو هيمنة المسبيين العائدين. ومع ذلك، فقد حدث تطور كبير في التراث الديني الغربي وسط هذا المجتمع الصغير.

شارك زربابل، وريث داود، في أول عملية ترميم، عندما وُضِع أساسات الهيكل الجديد. ولكن بعد بضع سنوات، عندما اندلعت الثورات في جميع أنحاء الإمبراطورية الفارسية، احتل بيت داود مركز الصدارة. جلبت محنة الملك داريوس في مواجهة التمردات في ميديا وبابل ومصر وآسيا الصغرى الآمال لأنبياء يهوذا بأن النظام العالمي على وشك أن يهتز مرة أخرى. وربما كانت اللحظة قد حانت لاستعادة داود الذي طال انتظاره. فأصبح زربابل، الذي عُيّن رسميًا حاكمًا ليهوده في هذه الأثناء، محط آمال مسيانية متجددة. يُعرّفه النبي حجي بوضوح على أنه المخلص الداودي الذي طال انتظاره والذي سيبدأ عصرًا جديدًا :

«قُلْ لزربابل حاكمِ يهوذا إنِّي سأزلزِلُ السَّماءَ والأرضَ وأقلِبُ عرشَ مَمالِكِ الأمَمِ وادمرُ قُدرتَها، وأقلِبُ المَركباتِ ورُكَّابَها، وأسقِطُ الخيلَ وفُرسانَها، كُلُّ واحدٍ بسيفِ الآخَرِ. في ذلِكَ اليومِ، يقولُ الرّبُّ القديرُ، آخذُكَ يا زَربابل بنُ شألتّئيلَ عبدي وأرسُمُكَ حاكما. فإنِّي اخترتُكَ، يقولُ الرّبُّ القديرُ». (حجي 2: 21-23).

يربط النبي زكريا نجاح زربابل بإكمال الهيكل، مستخدمًا استعارة إرميا

الشعرية "الغصن الصالح" للإشارة إلى وريث داود:

وقُلْ لَه: «هذا ما قالَ الرّبُّ القديرُ: ذلِكَ الرّجلُ الّذي اسمُهُ الغُصْنُ سيَطلَعُ مِنْ تَحتُ ويبني هَيكلَ الرّبِّ. هوَ يَبني هَيكلَ الرّبِّ، وهوَ يَحمِلُ الجلالَ ويَجلِسُ سيِّدا على كُرسيِّهِ ويكونُ كاهنا على كرسيِّهِ، وعَهدُ سلامٍ يكونُ بَينَهُما. (زك 6: 12-13).

ومن الجدير بالذكر أن زكريا يرى أن قيادة أورشليم المستردة يتقاسمها الملك والكاهن. لقد انتهى بناء هيكل أورشليم وتكريسه حوالي عام 516 ق.م، وبعد ذلك يختفي زربابل من التاريخ، وسواء كان اختفائه بسبب الاضطرابات الناجمة عن هذه التوقعات المسيانية، أو خوف السلطات الفارسية (أو الجيران المعادين) من أن المكانة المتزايدة للزعيم الداودي قد تُعرض المصالح الإمبراطورية للخطر، أو لأي سبب آخر منسي، فلا يمكننا التأكد من ذلك. والأمر الواضح هو أنه بعد نهاية القرن السادس قبل الميلاد، اختفى بيت داود الأرضي كعنصر في حياة يهوده السياسية المعاصرة. ولن يسعى أحد من أحفاد داود مرة أخرى إلى حكم أورشليم، ولن يخدم تراث داود وسليمان مرة أخرى الأهداف السياسية لسلالة عائلية يمكن إرجاع وجودها المستمر إلى خمسمائة عام. فداود وسليمان ينتميان الآن إلى التاريخ. وسوف تولد رؤية مختلفة تماماً لهؤلاء الآباء المؤسسين.

من الملوك إلى الكهنة.

طوال القرن الخامس قبل الميلاد، انتعشت أورشليم ببطء كمدينة معبد وعاصمة مقاطعة إمبراطورية صغيرة نائية. البقايا الآثارية لهذه الحقبة متواضعة: فهي تقتصر بشكل رئيسي على سلسلة جبال مدينة داود، حيث كانت توجد مستوطنة العصر الحديدي المبكر. ومن المعقول أن نفترض، كما اقترح عالم الآثار داود أوسيشكين، أن إعادة بناء أسوار أورشليم الموصوفة في (نح 3: 1-32) تشير إلى القيام بتجديد

التحصينات التي أنشأها حزقيا لأول مرة، على الرغم من تضاؤل عدد سكان المدينة بشكل كبير. فبعد أن كانت مدينة كبيرة نسبياً تبلغ مساحتها حوالي ستين هكتاراً قبل التدمير البابلي، تقلصت أورشليم في الحقبة الفارسية إلى مستوطنة تقل مساحتها عن عُشر هذا الحجم.

في مركزها – وهو السبب الرئيسي لوجودها – كان هناك الهيكل المُعاد ترميمه والأنشطة الدينية التي تُمارس في حرمه المقدس. ومع انعدام وجود ملك لقيادة الأمة، انشئ نظام حكم مزدوج في مقاطعة يهوده؛ فقد كان الحاكم المعين من قبل الفرس يتعامل مع الأمور العلمانية مثل تحصيل الضرائب والإدارة الإمبراطورية، بينما كان كهنوت الهيكل، بقيادة رئيس الكهنة، يشرف على طقوس التضحية ويشرف على جمع القرابين. وهذه الازدواجية واضحة بالفعل في تقسيم السلطة بين الوالي زربابل ورئيس الكهنة يشوع في أواخر القرن السادس قبل الميلاد (حج 1: 1). وتضمنت الأنشطة الدينية للكهنة المسؤولية عن الكتابات المقدسة للمجتمع، وتحريرها ومراجعتها على مدار الأجيال، ولكن أيضًا إنتاج أعمال جديدة أيضًا.

ومن بين أهم الأعمال التاريخية الجديدة سفر أخبار الأيام، الذي يلعب فيه داود وسليمان أدوارًا مركزية، على الرغم من اختفاء الأسرة الداودية. ويتفق معظم علماء التوراة على أن سفر أخبار الأيام (وهو عمل واحد من كتابين) كتب في دوائر هيكل أورشليم، لكن الوقت الدقيق لتأليفه أقل وضوحًا. وبما أنه يذكر مرسوم كورش بشأن إعادة بناء هيكل أورشليم في آياتها الختامية، فمن المؤكد أنه كتب بعد عام 539 ق.م. وهناك دليل آخر يضعه في وقت لاحق: الإشارة إلى العملة الفارسية المسماة داريك daric فيما يتعلق بالمساهمات في الهيكل (أخ 1: 29: 7) ولا يمكن أن يكون السفر مكتوبًا قبل سك تلك العملة الأولى في عهد داريوس، سنة 515. ق.م. وتتراوح التواريخ المحددة لتأليفه من أواخر القرن السادس قبل الميلاد وحتى أوائل الحقبة الهيلينستية، حوالي 300 ق.م. ومع ذلك، فإن سجلات الأحداث لا تُظهر أي تأثير للثقافة

اليونانية أو اللغة اليونانية، لذا فمن المحتمل أن يعود تاريخها إلى ما قبل الحقبة الهيلينستية. وعلى العكس من أسفار عزرا و نحميا، لا يُظهِر سفر أخبار الأيام اهتمامًا كبيرًا بالمؤسسات المميزة للإمبراطورية الفارسية، التي اختفت من يهوده مع غزوها على يد الإسكندر الأكبر عام 332 ق. م.[1] وبالنظر إلى هذه القرائن وغيرها، يختار معظم العلماء الخيار الوسط الذي يُعيد تاريخها إلى أواخر القرن الرابع قبل الميلاد، مع احتمال أن تتضمن أخبار الأيام مواد أقدم إلى حد ما.

على أية حال، فإن سفري أخبار الأيام قد كتبا في أورشليم، بعد وقت طويل - ربما ثلاثة قرون - بعد جمع تاريخ التثنية. وكُتبت هذه الأسفار في ظل ظروف مختلفة للغاية: فلم يعد هناك ملوك داوديين في السلطة؛ وكانت يهوده جزءًا من إمبراطورية عالمية. وكان مجتمع أورشليم بقيادة الكهنة. فلا عجب أن هذه الأعمال الأدبية تعبر عن أهداف ومُثُل مختلفة عن تلك الموجودة في الأسفار السابقة كصموئيل والملوك. ومع عدم وجود ملك داودي لقيادة المجتمع، وعدم وجود أمل في الاستقلال في عصر الإمبراطوريات العالمية، أصبح الهيكل مركز هوية المجتمع. وتولى كهنتها قيادة يهوده الروحية والاجتماعية. ولكن على الرغم من كل هذه التغييرات، فلماذا ظل داود وسليمان محوريين في رواية أخبار الأيام؟

(1) علماء التوراة، مثل هيو ويليامسون Hugh Williamson من جامعة أكسفورد، لاحظ أنه في عديد من القضايا المركزية يقدم مؤلف أخبار الأيام وجهة نظر مختلفة عن تلك التي تم التعبير عنها في سفري عزرا ونحميا. يبدو أن أخبار الأيام وعزرا - نحميا - على الرغم من كتابتهما تقريبًا في نفس الحقبة - يروجان لأيديولوجيات مختلفة، على الرغم من أنهما ليسا في معارضة تامة لبعضهما البعض. كان مؤلفوها ينتمون إلى نفس المجتمع في أورشليم ما بعد السبي، لكنهم يعبرون عن وجهات نظر مختلفة حول التاريخ الإسرائيلي واحتياجات مجتمعهم.

يُقدم سفرا أخبار الأيام صورة مختلفة تمامًا لداود وسليمان، فهما مجردين من سمات الشخصية المعقدة ومجردين من كل نقاط الضعف البشرية. وبنظرة سطحية، قد يعتقد المرء أن الوصف الموجود في أخبار الأيام يكرر رواية أسفار صموئيل والملوك بكلمات مختلفة، مع حذف بعض المواد الأصلية وتوضيح موضوعات أخرى معينة. ومع ذلك، فإن قصة مؤسسي سلالة أورشليم كما صُورا في أخبار الأيام بعيدة كل البعد عن أن تكون تكرارًا طيعًا. فالأجزاء الرئيسية من القصة التي تظهر في اسفار صموئيل والملوك - مثل وصف صعود داود إلى السلطة، وخلافة سليمان على عرش داود، و ردة سليمان المسن - لا تظهر ببساطة في أخبار الأيام. ولا يوجد ذكر لخدمة داود بعدّه تابعًا للفلسطة؛ ولا ترد كلمة واحدة عن كل جرائم القتل والصراعات التي حدثت أثناء صعوده إلى السلطة؛ ولا توجد إشارة إلى علاقته الحرام مع بَتشابَع وعواقبها المأساوية، أو إلى تمرد أبشالوم. ولا يوجد أي نقاش حول سلوكيات سليمان الوثنية أو زوجاته الأجنبيات. وهذه ليست مجرد مسألة اختصار. فلقد حذفت جميع القصص الناقدة أو المسيئة لداود وسليمان بشكل عمدي و انتقائي. وكل قصة كان من الممكن أن تلقي ضوءًا سلبيًا على داود وسليمان استأصلت بعناية من أجل تصويرهما على أنهما ملوك لا تشوبهما شائبة، وشبه معصومين. والمواد المضافة في أخبار الأيام - والتي لا تظهر في تاريخ التثنية - تتناول بشكل حصري تقريبًا الهيكل وأفراده.

ففي سفري أخبار الأيام، ان الهيكل هو تحقيق وعد الله لداود، وليس أملاً بعيد المنال، بل حقيقة حية. وأكثر من نصف الفصول التاريخية لسفري أخبار الأيام (إذا استثنينا سلاسل الأنساب في بداية أخبار الأيام الأول) مخصصة لزمن المملكة الموحدة. والقصة منشغلة بالكامل تقريبًا ببناء الهيكل ومفروشاته وطقوسه. وهذه ليست مجرد مسألة تفصيلية. لقد تحولت أهمية انتخاب داود وحكم سليمان من السلطة

الأرضية والغزو الإقليمي إلى تأسيس عبادة الهيكل. ويجري الآن وضع هيبة سلالة داود وسليمان بالكامل في خدمة الشرعية الكنسية: حيث يُظهر شعب مقاطعة يهوده ومجتمعات أقاربهم المنتشرة في جميع أنحاء الشرق الأدنى - والتي تُعرف الآن على نحو متزايد باسم "اليهود" - أن الخلاص الذي طال انتظاره يجب ألا يتم السعي إليه عن طريق استعادة السلالات الحاكمة ولكن في طقوس وشرائع هيكل أورشليم.

بالنسبة لمؤلفي أخبار الأيام، كان الهيكل هو قلب الوجود الإسرائيلي، وتحقيقًا أساسيًا لخطة الله الأبدية. ويلعب داود دورًا أكثر أهمية بكثير في بناء الهيكل وأنشطة موظفيه مما لعبه في تاريخ التثنية السابق. فقصة إحضاره التابوت المقدس إلى أورشليم (أخ 1: 15-16) مليئة بتعليمات مفصلة حول الأدوار المناسبة للكاهن واللاويين في الأنشطة الطقسية مثل صنع الموسيقى والقرابين والترتيل بالمزامير، والتي كانت غائبة تمامًا في رواية الحدث نفسه في (2 صم 6)، علاوة على ذلك، لعب داود دورًا أكثر نشاطًا في بناء الهيكل، في حين أن النسخة التوراتية السابقة حرمته من هذا العمل " مِنْ جَرَّاءِ الْحُرُوبِ الَّتِي خَاضَهَا" (1 مل 5: 3)، ويكرس داود في سفري أخبار الأيام نفسه بكل إخلاص للمشروع، كمنظم، ومعماري، ومهندس رئيسي. باختصار، صوّر على أنه مؤسس عبادة الهيكل. فيدعو داود مجلسًا كبيرًا ليعلن بداية المشروع وتسليم مخطط تفصيلي:

ثُمَّ شرَحَ داود لابنِهِ سليمان صورةَ الهَيكلِ بِأروِقَتِهِ وخَزائنِهِ وغُرَفِهِ العاليةِ ومَخادِعِهِ الدَّاخِليَّةِ وبَيتِ التَّكفيرِ عَنِ الخطايا. كذلِكَ أدواتِ خِدمةِ الهَيكلِ وخَزائِنَ الهَيكلِ المُكَرَّسَةَ للرَّبِّ، ..... وقالَ داود: «هذا كُلُّهُ تلَقَّيتُهُ مكتوبا بِيَدِ الرَّبِّ، حتَّى يكونَ كُلُّ شيءٍ واضحا لي لِلعمَلِ بهِ».. (أخ 1: 28: 11-19).

وكانت كل هذه العناصر التفصيلية جزءًا من المخطط الأساسي للهيكل والطقوس كما نُفذت في أورشليم بعد السبي. إن رواية دور داود المركزي

في بنائه ربطت بشكل مباشر بين سلطة الكهنوت وقدسية العبادة وتصرفات الأب المؤسس. وكان تأثيره هو رفع مستوى الكهنوت وتمكينه بشكل كبير باعتباره الحامل الحقيقي لوعد داود - بدلاً من النظام الملكي الذي توقف الآن.

كان سليمان أيضًا بمثابة الراعي المؤسس لممارسة الهيكل اللاحقة، أكثر مما كان عليه في الرواية التوراتية السابقة حتى. ففي سفري أخبار الأيام، كانت ثروة سليمان وسلطته وحكمته موجهة بالكامل تقريبًا إلى مشاركته في الهيكل. وحذفت المؤامرة المحيطة بخلافته على العرش. إنه يحكم بمهمة شاملة واحدة: إكمال بناء الهيكل وبدء الخطة المعقدة لتشغيله بنفس الطريقة التي ورث بها يشوع القيادة على بني إسرائيل لوضع القوانين التي تلقاها موسى في سيناء موضع التنفيذ. بالنسبة لمؤلفي أخبار الأيام، فإن الهيكل والسلالة مترابطان بشكل لا ينفصلان؛ الوعد لداود مشروط بإكمال الهيكل وعمله بشكل سليم حسب الشريعة. ولم يعد ميراث شعب إسرائيل مجرد مملكة داودية أرضية، بل مملكة الله من خلال شرائع وطقوس هيكل أورشليم.

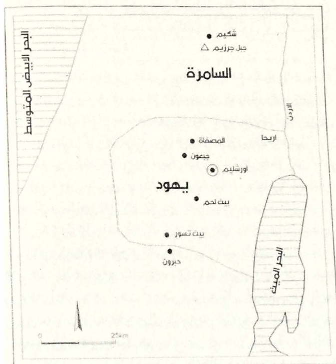
وهكذا بحلول عصر كتابة سفر أخبار الأيام في القرن الرابع قبل الميلاد، نرى انقلابًا أساسيًا في أهمية تراث داود وسليمان. ففي حين أن "الهيكل" والعبادة فيه قد خدما تعزيز المكانة السياسية لسلالة داود أثناء حكمها لمملكة يهوذا، فإن ذكريات الحنين إلى الملكية المستقلة أصبحت الآن بمثابة دعم لمركزية الهيكل وطقوسه في حياة (يهود) ما بعد السبي، وفي التصورات الروحية للمجتمعات (اليهودية) في جميع أنحاء العالم القديم.

لقد اقترح عديد من علماء التوراة إن تحول صورة داود وسليمان في سفر أخبار الأيام لا يعتمد فقط على جهود كهنة أورشليم لتأمين موقعهم داخل يهوده، ولكن أيضًا للتغلب على التنافس السياسي والديني الوارد من الشمال. فلقد احتفظ ملوك الفرس بالتقسيم الإداري الذي وضعه أسلافهم البابليون والآشوريون وقاموا بتنظيم المنطقة الواقعة مباشرة إلى الشمال من مقاطعة يهوده، قلب مملكة إسرائيل الشمالية السابقة، باسم مقاطعة السامرة. التي كان سكانها الذين هم خليط من الإسرائيليين السابقين الذين لم يذهبوا إلى السبي ومن المجموعات الأجنبية التي أعاد الآشوريون توطينهم في المنطقة يعرفون الآن باسم السامريين. وفي اسفار عزرا ونحميا، نسمع عن عداء السامريين المستمر لإعادة بناء أورشليم وتأسيس الهيكل. وقد بُعث هذا العداء بشدة. فقد رأى سكان السامرة أنفسهم خلفاء للمملكة الشمالية، وتحديدًا كأعضاء من قبيلتي مَنَسَّى وأفرايم الذين لم يُرحلوا من قبل الآشوريين. وعلى النقيض من ذلك، كان كهنة أورشليم ينظرون إليهم على أنهم غرباء ووثنيون من أحفاد الشعوب الأجنبية التي جلبها الملوك الآشوريون ووطّنوهم في هذه المنطقة. ولا شك أن الحقيقة التاريخية تكمن في مكان ما بين هذه الرؤى المتعارضة. ومهما كانت صلة نسبهم الدقيقة بسكان مملكة إسرائيل الشمالية، فقد حافظ سكان التلال الشمالية على ارتباطهم بتراث شعب إسرائيل من خلال اعتمادهم نسخة مميزة وطائفية في نهاية المطاف من أسفار موسى الخمسة - هي التوراة السامرية. إن التراث التوراتي المرتبطة بالمناطق الشمالية مثل شكيم وبيت إيل، والشخصيات التوراتية المهمة مثل يعقوب ويوسف ويشوع، ترتبط بشكل واضح بالشمال.

في وقت كتابة أخبار الأيام، لم تكن المملكة الشمالية أكثر من مجرد ذكرى غامضة، بعد أن دمرها الآشوريون قبل أربعة قرون. ومع ذلك، فإن استمرار القوة السياسية والدينية للسامرة كان مصدر قلق كبير

لقادة يهوده. لقد أشارت التنقيبات الآثارية في تلال السامرة إلى استمرارية كبيرة في الاستيطان منذ نهاية الحقبة الآشورية وحتى القرون التالية. وبين اكتشاف أرشيف من البرديات المنقوشة التي تعود إلى القرن الرابع قبل الميلاد في كهف على أطراف برية السامرة عن مدى تعقيد الحياة السياسية والاجتماعية والنشاط القانوني في المقاطعة خلال الحقبة الفارسية اللاحقة.

لعدة قرون كان هناك تنافس طبيعي بين التلال الشمالية والجنوبية؛ وقد عبر هذا عن نفسه في مسائل الممارسة الدينية والاستراتيجية السياسية. فقد أدى إنشاء مقاطعة يهوده وإعادة بناء هيكل أورشليم إلى تسليط الضوء على تلك التوترات مرة أخرى وأدى إلى انقسام نهائي بين اليهود والسامريين. فقد شكل بناء معبد سامري مركزي واحد على جبل جرزيم بالقرب من شكيم بديلاً دينيًا شماليًا - وتهديدًا خطيرًا - لإيديولوجية أورشليم. لقد كان تاريخ بناء معبد جبل جرزيم موضع نقاش منذ مدة طويلة. فقد أرخ المؤرخ اليهودي فلافيوس يوسيفوس في القرن الأول الميلادي تاريخ تأسيسه إلى العصر الهلنستي المبكر في عهد الإسكندر الأكبر، ومع ذلك فإن التراث السامري يؤكد أن معبدهم بني في وقت أقرب إلى وقت إعادة بناء هيكل أورشليم في العصر الفارسي. واستندت هذه الحجج إلى النصوص التاريخية فقط، حيث لم يتم التحقيق في موقع المعبد السامري من الناحية الآثارية. لكن أخيرًا، في الثمانينيات، أجريت حفريات واسعة النطاق في الموقع من قبل عالم الآثار يتسحق ماجن Yitzhak Magen. فاتضح الآن أن المعبد السامري بُني في العصر الفارسي، ربما في وقت مبكر من النصف الأول من القرن الخامس قبل الميلاد؛ وأنها كانت مخصصة لعبادة إله إسرائيل؛ وأن تصميمه كان مشابهًا بشكل لافت للنظر لأوصاف الهيكل في أورشليم. وفي الواقع، تمثل رؤية داود وسليمان في سفري أخبار الأيام استجابة مباشرة للتحدي السامري من خلال إعادة تعريف مفهوم إسرائيل ذاته.



المقاطعات الفارسية يهود والسامرة

وفقاً لتاريخ التثنية، كانت الممارسات الدينية للشماليين خاطئة. فالأخطاء الدينية التي ارتكبها شاول، والبناء المزعوم الذي قام به الملك الشمالي الأول، يربعام، للمعابد الوثنية في بيت إيل ودان، وعبادة البعل عند آل عمري في السامرة، كانت انتهاكات للأمر الإلهي دفعوا ثمنها غاليًا. وعلى الرغم من أن المملكة الشمالية وملوك الشمال عُدّوا غير شرعيين، إلا أن سكان الشمال ظلوا مع ذلك جزءًا من شعب وأرض إسرائيل التي حكمها داود وسليمان والتي سيحكمها خليفة صالح من سلالتهم مرة أخرى في يوم من الأيام. ومن ناحية أخرى، فإن أخبار الأيام لا تتناول الصراع بين داود وشاول على الملكية أو صراع يهوذا المستمر مع ملوك الشمال. إن الرسالة الإلهية لداود وسليمان واضحة بذاتها؛ في نسختهم للتاريخ من آدم إلى مرسوم كورش لإعادة بناء الهيكل، فتقول اسفار أخبار الأيام أن خطة الله لشعبه تركزت على إعطاء الشرائع التي لا يمكن تطبيقها إلا في أورشليم. وإن أي سلالة أخرى غير بيت داود وأي مكان عبادة آخر غير هيكل أورشليم لم يكن لها أي صلة بالموضوع ببساطة - ولم تكن جزءًا من التاريخ الحقيقي لشعب إسرائيل.

ولذلك، يجب أن يتم تعريف شعب إسرائيل من خلال الولاء الديني وليس الجغرافيا أو المؤسسات السياسية. ولن يتم تحقيق وحدة إسرائيل عن طريق الغزو الإقليمي أو الحرب المقدسة ولكن عن طريق خيار ديني واضح، وسفر أخبار الأيام لا يجعل من عهد داود وسليمان مجرد عصر ذهبي يمكن استعادته يومًا ما، بل يجعل منه معيارًا للسلوك الديني المقبول الذي سيستمر إلى الأبد. لقد أصبح داود وسليمان - ومملكتهما الموحدة - نموذجًا ورمزًا لوحدة الأمة، ونموذجًا أوليًا لمجتمع مقدس في كل إسرائيل. وهكذا فإن أخبار الأيام تشير إلى الطريق أمام أفراد من الشمال للانضمام إلى جماعة الله. إن الخطاب في أخبار الأيام لأبيا حفيد سليمان إلى بني إسرائيل الشماليين (الذي لا يظهر في سفر الملوك!) يعبر بقوة عن هذه الرؤيا الجديدة:

وأنتُمُ الآنَ تَظُنُّونَ أنَّكُم قادِرونَ على مُقاوَمَةِ السُّلطَةِ المَلكيَّةِ الّتي وضَعَها

الرّبُّ في يَدِ بَني داود، لأنّكُم كثيرونَ ومعَكُم عُجولُ الذَّهَبِ الّتي صنَعَها يربعام لِتكونَ آلِهةً لكُم. طَرَدْتُم كهَنَةَ الرّبِّ بَني هرونَ واللاّويّينَ وأقَمْتُم لكُم كهَنةً كما يفْعَلُ سائرُ شعوبِ الأرضِ، فكُلُّ مَن جاءَ بِثَورٍ مِنَ البقَرِ أو سَبعَةِ كِباشٍ يُكَرَّسُ ويَصيرُ كاهنا لِتِلكَ الآلِهةِ الكاذِبةِ الّتي تَعبُدونَها. أمّا نحنُ، فالرّبُّ هوَ إلهُنا ولم نَترُكْهُ، والكهَنةُ الّذينَ يَخدُمونَهُ هُم بَنو هرونَ يُعاوِنُهُمُ اللاّويُّونَ. وهُم يُقَرِّبونَ للرّبِّ كُلَّ صباحٍ وكُلَّ مساءٍ مُحرَقاتٍ وبَخورَ أطيابٍ، ويَضَعونَ خُبزَ التَّقدِمَةِ على المائِدَةِ الطَّاهِرَة، ويُوقِدونَ سِراجاتِ مَنارَةِ الذَّهبِ كُلَّ مساءٍ. فنَحنُ نعمَلُ بِما أمرَ الرّبُّ إلهُنا، وأمّا أنتُم فتَرَكْتُموهُ. واللهُ معَنا وهوَ يَقودُنا، وكهَنتُهُ هُنا بِأبواقٍ يَهتِفونَ لِقِتالِكُم. فلا تُحارِبوا الرّبَّ إلهَ آبائِكُم يا بَنيَ إسرائيل لأنَّكُم لا تَنجَحونَ. (أخ 2 : 13 : 8-12).

لا يؤكد سفرا أخبار الأيام فقط على أن داود وسليمان قد وضعا هذا المعيار للسلوك الديني؛ فهو يؤكد على دعوة اثنين من ملوك داود الأتقياء، فسيأتي حزقيا ويوشيا من الشمال ويتعبدان في أورشليم ويصبحان جزءًا من شعب الله. وباختصار، فقد ركز سفرا أخبار الأيام على الشخصية الأكثر يهودية، داود؛ والمدينة الأكثر يهودية، أورشليم؛ والمؤسسة الأكثر يهودية، الهيكل، من أجل إظهار أن محاولات السامريين لاغتصاب تراث إسرائيل هي حماقة. فلا يمكن لأي مملكة أو شعب أو فرد أن يدعي أنه جزء من إسرائيل دون أورشليم، ودون اتباع الأسس الدينية الصالحة التي وضعها داود وسليمان. ويُقدم مجتمع هيكل أورشليم في زمن أخبار الأيام على أنه الوريث الشرعي الوحيد لإسرائيل المثالية والعظيمة في عصر داود وسليمان.

مع الاعتراف بداود وسليمان باعتبارهما محك السلطة الدينية في هيكل أورشليم، نُسبت إليهما تدريجيًا مجموعات أدبية مهمة من الشعر والنثر وأناشيد الحمد. وعلى الرغم من أن سفري أخبار الأيام كانت تعبيرًا متبلورًا عن مكانتها في التراث الديني، إلا أن السرد السابق في التاريخ التثنوي أثبت أنه مصدر غني للإشارات والارتباطات التي قدمت صلات مع الممارسات والمعتقدات الدينية الأخرى. إن التراث عن مهارة داود في العزف على القيثارة لتهدئة روح الملك شاول المعذبة - المذكور في (1 صم 16 : 14-23) - أصبح الأساس الذي ينسب إليه تأسيس الموسيقى الطقسية في الهيكل بالإضافة إلى تأليف العشرات من المؤلفات. من المحتمل أن المزامير أنشدت هناك. وكذلك حكمة سليمان الأسطورية: «وقالَ ثَلاثَةَ آلافِ مَثَلٍ، وكانَت أناشيدُهُ ألفا وخَمْسَةَ أناشيدَ" (1 مل 4: 32) - مما يشير إلى أنه كان مصدر مجموعات الحكمة التراثية الواردة في "أمثالُ سليمان بنِ داود مَلِكِ إسرائيل" (أم 1: 1). وسمعته كمحب عظيم ربطته إلى الأبد بالآيات المثيرة لمقطوعة أخرى محفوظة في الكتاب المقدس العبري: "نشيدُ الأناشيدِ لِسلَيمان" (نش 1: 1).

ويختلف العلماء حول تاريخ تأليف هذه الأسفار من التوراة. فيحتوي كتاب المزامير على ترانيم التسبيح والرثاء والاحتفال التي ربما تم انشادها في الهيكل في العصور الملكية. ومع ذلك، فإن شكلها الحالي يعود إلى ما بعد السبي. ومن الصعب تحديد أصول سفر الأمثال ونشيد الأناشيد، لكن يُعتقد عمومًا أنها تعود إلى ما بعد السبي. وقد حُفظت جميعًا وحررت وطورت في دوائر الكتبة في الهيكل؛ وإن نسبتهم إلى داود وسليمان ليس مفاجئًا نظرًا لمركزيتهم اللاهوتية. ويمكن للمرء أن يذكر أيضًا سفر راعوث - الذي وضعه مؤلفه في حقبة القضاة، ولكن على الأرجح جُمع في عصر ما بعد السبي. إنها القصة الرومانسية عن الخادمة الموآبية التي اختارت البقاء مع أصهارها اليهوذائيين "لأَنَّهُ حَيْثُمَا ذَهَبْتِ

أَذْهَبُ وَحَيْثُمَا بِتِّ أَبِيتُ. شَعْبُكِ شَعْبِي وَإِلهُكِ إِلهِي" (را: 1: 16) لا يجسد فقط مبدأ الاختيار الديني كأساس للعضوية في بيت إسرائيل؛ بل يحدد بوضوح على ان راعوث هي جدة داود نفسه.

نعتقد أنه بحلول نهاية حقبة ما بعد السبي، وبالتأكيد في العصر الهلنستي، أصبح داود وسليمان أيقونات: تجسيدات بعيدة تشبه الحلم للعبادة واللاهوت الرسمي لهيكل أورشليم - ومن وسط الهيكل، إلى مجتمعات اليهود في كل مكان. ومع ترجمة الكتاب المقدس العبري إلى اليونانية خلال الحقبة الهيلينستية، وصلت صور داود وسليمان إلى جمهور أوسع، ولم تكن مرتبطة بالمصير السياسي للسلالة الداودية التي اختفت منذ مدة طويلة ولا بغزو يهوذا الإقليمي لمدن وقرى التلال في الشمال. لقد تحول داود وسليمان من ملوك من العصر الحديدي إلى نموذجين للفضيلة الدينية. لقد أصبحا محورًا للولاء الديني الشخصي الذي ستحافظ عليه اليهودية الحاخامية والمسيحية، كما سنرى. وهذه الحقيقة المركزية وحدها تفسر لماذا ما يزال تراثهم قويا للغاية.

مراحل	المواد التوراتية	الخلفية التاريخية	الاكتشافات الآثارية
القرن 3-5 قبل الميلاد الفصل 8	ترجمة يونانية لسفري الملوك والأخبار؛ إصدارات مطورة للمزامير، والأمثال، ونشيد الانشاد؛ ومواد التوراة الإضافية وما بعد العبرية مع إيحاءات مسيانية: مزامير سليمان، فلافيوس يوسيفوس، مخطوطات البحر الميت. يربط العهد الجديد يسوع بالتراث الداودي؛ الأدب الحاخامي، ويقوم آباء الكنيسة بتوسيع وتطوير التداعيات والاستعارات الدينية.	الحقبة الهيلينستية: حكم البطالمة والسلوقيين؛ السلالة الحشمونية. الحقبة الرومانية، هيرود الكبير، الثورات اليهودية التي غذتها الأيديولوجيات الميسيانية. المسيحية المبكرة التي جرى تأسيسها الرسمي في الحقبة البيزنطية.	زيادة التأثير الهلنستي على الثقافة والاقتصاد؛ نشاط بناء الحشمونيين في أورشليم والمناطق الصحراوية. تدمير المعبد السامري على جبل. جرزيم. هيرودس الكبير يبني الهيكل مجددا؛ يبني مدن وحصون أخرى، مثل مسعدة. مخطوطات البحر الميت. أورشليم التي دمرها الرومان. الرومان والبيزنطيون: المعابد الرومانية والبيزنطية. الكنائس البيزنطية

الفصل الثامن

رؤى مسيانية

داود وسليمان، من اليهودية إلى المسيحية

من القرن الثاني قبل الميلاد إلى القرن الخامس الميلادي

إذا كان مؤلفو سفري أخبار الأيام يعتقدون أن داود وسليمان سيظلان إلى الأبد مجرد قديسين للهيكل المعاد بناؤه وطقوسه، فقد كانوا مخطئين بشدة. فبمرور الوقت، ومع تحول المشهد السياسي والاقتصادي في المنطقة تدريجيًا، قدّم التراث القوي للآباء المؤسسين ليهوذا - وإسرائيل الموحدة - مشهدًا من الصور المذهلة الأخرى التي

كانت مفيدة بطرق جديدة: انتصارات كاسحة على الغزاة الأجانب؛ واصطفاء مُعجز للملوكية؛ والتوبة الملكية والاهتمام بالمضطهدين، والثروة الهائلة، والحكمة والمعرفة الباطنية: كل هذه القصص سيجري استخدامها على نطاق أوسع بكثير من تنظيم القرابين اليومية والمهرجانات السنوية من قبل المؤسسة الكهنوتية في أورشليم.

مصادرنا للتاريخ اللاحق وتطور تراث داود وسليمان متناثرة. ولا يمكننا أن نكون متأكدين من أن الوثائق العبرية والآرامية والسريانية واليونانية واللاتينية المتنوعة التي ما زلنا نمتلكها من القرون التالية تعبر في الواقع عن جميع الاستخدامات التي جرى تطبيق تراث داود وسليمان عليها في النهاية. ومع ذلك، فمن الواضح أن التحول الأيديولوجي الكبير الذي حدث في حقبة ما بعد السبي - أي استخدام داود وسليمان كتجسيدين للمعتقد الديني اللاحق، بدلاً من ثروة الأسرة الحاكمة - أدى إلى ظهور مجموعة واسعة من التفسيرات التي من شأنها أن تكون مؤثرة بين الاختلافات الدينية الجديدة التي تطورت تدريجيًا داخل اليهودية، ولاحقًا في المسيحية.

بحلول الحقبة الهيلينستية، أصبحت هيبة داود وسليمان منتشرة بين مجتمعات اليهود في جميع أنحاء الشرق الأدنى والبحر الأبيض المتوسط. ومع بدء انتشار الالتزام بشكل ما من أشكال التراث التوراتي إلى ما هو أبعد من شعب إسرائيل، سيُنظر إلى داود وسليمان على أنهما التجسيدان القديمان للإيمان الحقيقي والمبشرين بالخلاص المقبل، وكيفما كان فان مترجمًا - أو مجموعة من المترجمين. - آمنوا بهذا الاعتقاد والخلاص الذي سيقع.

في العصور الهيلينستية، استمر هيكل أورشليم في كونه النقطة المحورية للممارسة اليهودية. واستمر تطوير الدور الأساسي لداود وسليمان كمؤسسين في الأوساط الكهنوتية واحتفي بهما في مجموعة متنامية من أدب الحكمة. بالإضافة إلى الأشكال النهائية لسفر المزامير (المنسوب إلى داود إلى حد كبير) وسفر الأمثال ونشيد الأناشيد (المنسوب إلى سليمان)، فإن عديد من الأعمال الأخرى للحكمة الدنيوية والإرشاد الشخصي استمدت سلطتها من علاقتها المفترضة بداود و سليمان أنفسهم. وهكذا، على سبيل المثال، فإن كتاب قوهيلث Qoheleth "الواعظ"، المعروف باسم " الجامعة" في نسخته اليونانية والذي من المحتمل أنه كتب في أواخر القرن الثالث قبل الميلاد، يقدم رؤى وملاحظات حكيم يهودي مرهق من العالم تحت الاسم المستعار "ابنِ داود مَلِكِ أورشليم" (1: 1). في سفر (ابن سيرا) الملفق، المعروف أيضًا باسم (سفر الجامعة)، والذي ألف في أوائل القرن الثاني قبل الميلاد، وُصف كل من داود وسليمان أيضًا على أنهما نموذجان للفضيلة الدينية والصلاح.

مع ذلك، كان معنى الملكية يتغير حتى أثناء كتابة هذه الأعمال أو تفصيلها في أشكالها النهائية. لقد نشأ تراث داود وسليمان من بيئة الشرق الأدنى القديمة التي كانت فيها نماذج الملكية الإلهية السائدة هي الأشكال المصرية وبالأخص الآشورية. وبحلول الحقبة الهيلينستية، ظهرت مفاهيم جديدة للملكية، متأثرة بشدة بالمفاهيم اليونانية للحاكم المثالي باعتباره ملكًا فيلسوفًا. ويمكن رؤيتها بوضوح في صور داود وسليمان في الترجمة اليونانية للكتاب المقدس، الترجمة السبعونية، التي جمعت الأجزاء الأولى منها في القرن الثالث قبل الميلاد، ربما في مصر البطلمية، ووصفها لتقوى داود وسليمان وحكمته، فإن الصفات شبه الإلهية للملك الهلنستي واضحة: فبالإضافة إلى التقوى، يتمتع الملكان ببصيرة فلسفية ومعرفة عملية غير عادية

بالعلوم الأكثر قيمة في الأوساط الهيلينستية. مؤلف يهودي هلينستي بعنوان (حكمة سليمان) يوضع على لسان الملك اليهودي القديم أنشودة طويلة لصوفيا، الانبثاق الأنثوي لحكمة الله، التي يسعى معها إلى الاتحاد الصوفي، مع نية فلسفية يونانية لا لبس فيها.

لقد فقدنا أثر الاحتفاء المكتوب بتراث داود وسليمان في يهوده[1] خلال معظم حقبة حكم أسرة الحشمونيين، التي امتدت من 165 إلى 37 ق.م. والسبب بسيط. فعلى الرغم من أن الحشمونيين (أو المكابيين، كما كانوا يُطلق عليهم في الأصل على اسم قائدهم العظيم الأول يهوذا المكابي) قد وصلوا إلى السلطة على رأس ثورة وطنية وأنشأوا أول دولة مستقلة في يهوده بعد أكثر من أربعة قرون من الخضوع الإمبراطوري، وعلى الرغم من أن عاصمتهم كانت أورشليم وكان تركيزها على الهيكل، إلا أنهم لم يكونوا أنفسهم من نسل داود. ومما زاد الطين بِلة أنهم طردوا الخط الكهنوتي الصدوقي (الذي تعود أصوله إلى زمن داود) من الخلافة إلى الكهنوت الأعظم، وبذلك كسبوا لأنفسهم معارضة دينية مريرة داخل اليهودية و أثاروا - كما سنرى - شرارة بينهم جددت اهتمام المعارضين بداود وسليمان. ومع ذلك، فحتى الحشمونيين لم يتمكنوا من تجاهل قوة التراث الداودي بشكل كامل. كان قلب أورشليم القديم ما يزال يُعرف باسم مدينة داود، ونسبت الأسطورة المحلية الخط الداخلي للتحصينات الهيلينستية إلى مشاريع البناء التي قام بها داود وسليمان. (يوسيفوس، الحرب اليهودية 5. 137-43.) وفي الواقع، عندما تولى سمعان الحشموني ألقاب الزعيم الوطني ورئيس الكهنة، كان تعيينه مشروطًا - "إِلَى أَنْ يَقُومَ نَبِيٌّ أَمِينٌ،" (مك 1: 14: 41) - وهذا يعني أنه من المفترض أن يُستأنف مُلك داود في أورشليم.

كان هيرودس الكبير، عميل روما سيئ السمعة وطاغية يهوده ذو

---

(1) تغير الاسم مرة أخرى في الحقبة الهلنستية، فالكلمات اليونانية "يوديا Ioudaia " و"جوديا Judea " اللاتينية في الحقبة الرومانية تحل محل الكلمة الآرامية "يهوده" في الحقبة الفارسية، والتي بدورها حلت محل الكلمة العبرية الأصلية "يهوذا " أو "يوذا".

القبضة الحديدية من 37 إلى 4 ق.م هو أعظم مدير لإحياء ذكرى داود وسليمان على الطراز الهلنستي. فعلى الرغم من أنه ليس من أصل يهودي، حصل هيرودس على الدعم الروماني لتولي الحكم على يهوده، مما أدى إلى الإطاحة بآخر حكام الحشمونيين في حرب أهلية دامية. ومع ذلك، فبمجرد وصوله إلى السلطة، أظهر احترامه للتراث الوطني من خلال تشييد معبد وقصر جديدين عظيمين في أورشليم، على غرار هيكل سليمان المذكور في التوراة - إن لم يكن بالأسلوب نفسه والحجم تمامًا. بعد تطهير قمة جبل الهيكل، حيث كانت توجد معابد أورشليم السابقة، فقام هيرودس بتجنيد الآلاف من العمال لإقامة منصة ضخمة سيتم بناء عليها أعمدة وأفنية متقنة والحرم الهيرودي العظيم.

هناك دلائل أخرى على أن هيرودس قدم نفسه عن وعي كخليفة رمزي لداود، كحاكم لما يقرب من كامل أرض إسرائيل التوراتية، وكخليفة لسليمان باعتباره الراعي والمهندس المعماري الرئيسي للهيكل العظيم.

ومع ذلك، وباعتباره ملكًا فرضته روما البعيدة، لم يستطع إجبار أي شخص على احترامه، نظرًا لأن حكمه على يهوده كان وحشيًا، كما أن خضوعه المتملق لأسياده الرومان أثار غضب المشاعر اليهودية المحلية. وفي النهاية، عزز هيرودس الأيقونية الدينية للتقليد الداودي دون أن يفعل الكثير لقمع الاضطرابات السياسية. ومن المفارقات أنه ضمن بذلك أن داود وسليمان سيصبحان رمزين أكثر فعالية للأمل السياسي والأخروي.

رؤى مسيانية

أدى حكم الملوك غير الداوديين في يهوده ومصادرة الكهنوت الصدوقيين في القرن الثاني قبل الميلاد إلى ظهور تيارات مضادة من شأنها أن تنشّط مرة أخرى تراث داود وسليمان. فأثناء حكم الحشمونيين، عندما انفصلت مجموعات طائفية مختلفة عن التيار

الديني السائد، ظهرت رؤية جديدة لداود وسليمان - ليس كآباء مؤسسين للمؤسسة، ولكن كنماذج للسلوك الصالح الذي يجب اتباعه من أجل استعادة السيطرة على الهيكل من الكهنوت الشرير وغير الشرعي وقيادة شعب إسرائيل بالتقوى.

على سبيل المثال، تمتلئ مخطوطات البحر الميت بإشارات إلى داود باعتباره معيار التقوى الذي سينتصر في النهاية. ألفت هذه المجموعة المكونة من أكثر من ثمانمائة نص، والتي صدرت في القرنين الثاني والأول قبل الميلاد، والتي اكتشفت في الكهوف القريبة من الشاطئ الغربي للبحر الميت بين عامي 1947 و1956، على عديد من الأعمال الشعرية والتعليم الديني والنبوة التي لم تكن معروفة من قبل والتي يمكن فيها رؤية تقديس لا هوادة فيه لداود. في الوقت الذي اعتقد فيه المؤلفون أن الهيكل بأيدي كهنة اشرار وغير تقاة، يرى أحد النصوص (المعروف لدى العلماء باسم (4Q505) أن داود هو القائد المنتخب إلى الأبد، والذي أقام الله معه عهدًا "لكي يكون كالراعي ورئيسًا على شعبك ويجلس على كرسي إسرائيل إلى الأبد». ويتوقع آخرون بوضوح أن غصن داود سوف يقوم لتدمير مضطهدي إسرائيل الداخليين وأعداءها الخارجيين.

هذه التلميحات المسيانية تتبع بشكل وثيق عبارات الأنبياء السابقين، لكنها تضعها في سياق معاصر بالتأكيد. وكان لدى مجموعات أخرى رؤى حية بالقدر نفسه فبدأت ترى عودة المخلص الداودي كمرشد أخلاقي بقدر ما هو قائد عسكري، من شأنه أن يدمر الهيمنة الأجنبية والمعصية بضربة واحدة. وفي مجموعة من الترانيم عنونت من قبل المحررين اللاحقين ب(مزامير سليمان)، وصفت محن القرن الأول قبل

الميلاد في آيات مؤثرة شبه كتابية[1]، وركزت على وجه الخصوص على شر النخبة في أورشليم والرعب الذي لا يوصف من نهب المعبد من قبل الجنرال الروماني بومبي في 63 ق.م. ومع ذلك، كان لديهم إيمان كبير بأن التغيير سيأتي في شخص وريث داود، كما تنبأ الأنبياء السابقون:

"انظر يا رب وأَقِم لهم مَلِكهم ابن داود

في الوقت الذي ترى فيه يا الله يملك عبدك على إسرائيل.

وثبته بقوة لكي يحطم الحكام الظلمة،

وليطهر أورشليم من الأمم التي تسحقها حتى الموت.

بحكمة وبر، يُخرج الخطاة من الميراث،

ويحطم كبرياء الخاطئ كإناء خزفي.

فيسحق بقضيب من حديد كل ما فيها،

يهلك الأمم الكافرة بكلمة فمه.

وعند توبيخه تهرب الأمم من أمامه،

وهو يوبخ الخطاة على أفكار قلوبهم." (مزامير سليمان 17 : 21 -25)

واستمر الشوق لمثل هذا المخلص السماوي خلال القرن الأول قبل الميلاد، ولكن مع وفاة هيرودس، في 4 ق.م، بدا وكأن وقت الانتظار قد انتهى، بالنسبة للبعض على الأقل. وظهرت سلسلة متعاقبة من زعماء المتمردين في يهوده على مدى العقود التالية، وكثيرون منهم لعبوا دور المخلص الذي طال انتظاره، على أمل استعادة مجد يهوذا وإسرائيل ليس بالكلمة الصالحة أو المعجزة، بل بالسيف.

في وصف يذكرنا بشكل إيحائي بـ "صعود داود إلى السلطة"، يروي

---

(1) شبه كتابية quasi-biblical مصطلح يشير إلى معتقد أو نظام معتقدات له إشارة جزئية على الأقل إلى التوراة أو مشتق منه. في كثير من الأحيان لا يتم إثباتها بأي عقيدة (أو معتقدات) يهودية مسيحية مقبولة على نطاق واسع. المترجم

المؤرخ اليهودي فلافيوس يوسيفوس في القرن الأول الميلادي عن ظهور زعيم قطاع طرق معين وسط الاضطرابات التي أعقبت وفاة هيرودس:

في هذا الوقت، غامر أحد الرعاة بتنصيب نفسه للملك؛ كان يُدعى أثروجيوس. لقد كانت قوة جسده هي التي جعلته يتوقع مثل هذه الكرامة، وكذلك روحه التي كانت تحتقر الموت؛ وإلى جانب هذه المؤهلات كان له أربعة إخوة مثله. لقد وضع فرقة من الرجال المسلحين تحت قيادة كل من إخوته هؤلاء، واستخدمهم كقادة ومرازبة عندما قام بغاراته، بينما كان يتصرف كملك، ولا يتدخل إلا في الشؤون الأكثر أهمية؛ وفي هذا الوقت وضع إكليلًا على رأسه، واستمر بعد ذلك في اجتياح البلاد لحقبة ليست بالقليلة مع إخوته. (الحرب اليهودية 2: 62-60)

قُبض على أثروجيوس في نهاية المطاف من قبل القوات الرومانية، ولكن ظهر أدعياء مُلك جُدد ليأخذوا مكانه. ويصف يوسيفوس الاعتقاد السائد (والخاطئ في رأيه) بين الجماهير اليهودية بأن «واحدًا من بلدهم سيصبح حاكمًا للعالم». وبالفعل، طوال القرن الأول الميلادي، عندما أصبحت يهوده مقاطعة رومانية، ظهرت الرؤى المسيانية والقادة المسيانيون مرارًا وتكرارًا لتحدي القوة الرومانية والبدء في السعي المسياني.

لا يمكننا أن نقول إلى أي مدى عرّفوا جميعًا أنفسهم على أنهم مُخلّصون من آل داود، لأنه خلال سنوات الحكم الروماني، كان هناك موكب كامل من الشخصيات الشبيه الكتابية تتبختر على المسرح الثوري: في الأربعينيات، جذب يشوع المنتظر ذاك الذي كان يُدعى ثيوداس Theudas الحشود لمرافقته إلى نهر الأردن، والذي وعد بأنه سيشطره للسماح بعودة منتصرة لشعب إسرائيل إلى أرض ميعادهم. وفي وقت لاحق، قاد شخص غامض يشبه موسى يُعرف فقط باسم

"المصري" الآلاف من الأتباع المتحمسين إلى قمة جبل الزيتون مع وعد بأنه سيتسبب في انهيار أسوار أورشليم بأعجوبة ثم يقودهم إلى المدينة كغزاة بدلا من كونهم عبيدًا. ولقد قُتل أو طرد هؤلاء المخلصين المؤملين على يد القوات الرومانية. ومع مرور الوقت، خرجت هذه الآمال المسيانية عن نطاق السيطرة.

في عام 66 ميلادية، وعلى الرغم من توسلات الطبقة الأرستقراطية الهيلينستية، انفجرت يهوده في ثورة مفتوحة ضد الحكم الروماني. توقفت فجأة القرابين من أجل صحة الإمبراطور (التي كانت قد بدأت في زمن هيرودس)؛ وذُبحت الحامية الرومانية في أورشليم. واستعد شعب اليهودية لمواجهة قوة روما - ربما بالحماية الإلهية التي تنبأت بها أقوال مجيء "الأيام الأخيرة" والمخلص الداودي.

مع احتدام المعارك واستعادة القائد الروماني (والإمبراطور لاحقًا) فيسباسيان اليد العليا تدريجيًا، تقاتلت الفصائل الثورية المختلفة داخل يهوده فيما بينها، وكان من الواضح أن عديد من القادة المتنافسين اتخذوا أسلوبًا ملكيًا. ظهر مناحيم، زعيم المجموعة المتمردة العنيفة التي استولت على قلعة هيرودس في مسعدة، في هيكل أورشليم "مزيّنًا بالملابس الملكية"، وفقًا لما ذكره يوسيفوس، لكنه قُتل على يد أعضاء عصابة منافسة. أما شمعون بن غيورا، أحد آخر قادة المتمردين الباقين على قيد الحياة في الحصار الروماني الأخير لأورشليم بقيادة تيتوس ابن فيسباسيان – فقد حاول تنظيم معجزة دراماتيكية، وإن كانت يائسة، حتى بعد تدمير المعبد الأول نفسه. فوفقًا ليوسيفوس، ".. ظن سمعان أنه يستطيع أن يُدهش الرومانيين ويراوغهم، فلبس ثوبًا أبيض، وزرّر عليه عباءة أرجوانية، وظهر من الأرض في المكان الذي كان فيه الهيكل سابقًا" .. فشلت هذه المحاولة لمحاكاة التجسيد الخارق للطبيعة للمسيح الذي طال انتظاره فشلاً ذريعًا. وجُرّد سيمون من اللون الأرجواني الملكي، وقُيد بالسلاسل وشحن إلى روما، حيث أعدم من أجل التسلية العامة خلال موكب

انتصار فيسباسيان وتيتوس.

لقد وضع تدمير أورشليم وتدمير الهيكل نهائيًا في عام 70م حدًا للاعتقاد الذي أحيي بأن الله سيحمي المدينة وملوكها المنتخبين إلهيًا من جميع الأعداء الأرضيين. ولكن الأمل المتبقي في ظهور المسيح الداودي ذات يوم لإنقاذ شعب إسرائيل كان ما يزال يُنظر إليه باعتباره تهديداً خطيراً للأمن الروماني. والواقع أن الجهود التي بذلها الرومان للقضاء على هذا الأمل المسياني تكشف مدى قبولهم له حرفيًا.

فمن كتابات يوسابيوس مؤرخ الكنيسة في القرن الرابع الميلادي، نعلم أنه بعد سقوط أورشليم، قام الرومان بمحاولتين على الأقل لإبادة كل أولئك الذين ادعوا أنهم من نسل داود. فيقتبس يوسابيوس من كاتب مسيحي سابق، هو هجيسبوس Hegesippus، في وصفه؛ كيف أن الإمبراطور فيسباسيان (69-79 م) "أصدر أوامره بالبحث عن كل ما ينتمي إلى نسل داود، حتى لا يبقى أي من العرق الملكي بين اليهود" (xii-III)، وكيف أمر ابنه الإمبراطور دوميتيان (81-96 م) "بقتل نسل داود" (III. xix).

ومن المستبعد جدًا أن يكون أي من الضحايا ينحدر فعليًا من بيت داود، الذي مات قبل قرون. لكن قوة تراث داود وسليمان لن تتضاءل حتى بسبب هذه التصفية. فقد اندلعت التمردات اليهودية المسيانية مرة أخرى في عامي 117 و 132 م. والأهم من ذلك، أن تبجيل داود وسليمان كان يكمن الآن في المقام الأول في الخيال الديني، حيث كان منيعًا أمام السهام أو السيوف الرومانية، أو حتى آلام الصلب العلني، حيث يستمر في الازدهار ويتخذ أشكالًا جديدة.

خلال القرن الأول قبل الميلاد، عندما كان هيرودس يبني معبده العظيم وعندما ظهرت تحركات المسيانية الراديكالية بين الطبقات الدنيا في يهوده، حدث تطور رائع آخر في التراث المتوازي والمتنافس لداود وسليمان. فبالاعتماد على التلميح التوراتي بأن مهارة داود في العزف على القيثارة كانت فعالة في تهدئة روح شاول المعذبة (1 صم 16:14-23) وأن مثل هذه القوى الطاردة للأرواح الشريرة ورثها سليمان (الذي أيضًا، وفقًا لـ (1 مل 4: 33)، كان يمتلك قوة طرد الأرواح الشريرة). ومعرفة غير عادية بالطبيعة، بدأ ينتشر الاعتقاد بأن "ابن داود" كان حاميًا فريدًا ضد الشياطين والأرواح الشريرة بجميع أنواعها. وسيُعبر عن هذا الاعتقاد، بعد ذلك بكثير، في التراث الشعبي اليهودي في التمائم، والأوعية السحرية، والتعاويذ، وفي القوة الوقائية لخاتم سليمان السحري ودرع سليمان الرمزي - المعروف أيضًا باسم نجمة داود. وستتسرب هذه المعتقدات والرموز في النهاية إلى التراث السري للأخويات الصوفية والأساطير اليهودية المسيحية الباطنية، لكن أصولها تكمن إلى حد كبير في التيار الرئيسي للتبجيل اليهودي الشعبي لداود وسليمان في الحقبتين الهيلينستية والرومانية.

نشأ هذا التراث من التحول التدريجي لصورة داود - وبالأخص سليمان - إلى شخصيات ملكية هيلينية. إن التراث اليوناني عن الملوك الفلاسفة كرجال ذوي قوة غير عادية، جنبًا إلى جنب مع التراث التوراتي لحكمة سليمان والتأملات اليهودية الغنية في حقبة ما بعد التوراة حول الملائكة والشياطين، أنتجت صورة سليمان كشخصية تُستدعى ويُستدعى إليها من قبل المتوسلين الأفراد الذين يطلبون الخلاص من سوء الحظ أو المرض أو الجنون. ولعل المثال الأعمق لهذه الرؤية، كما أشار الباحث الإسباني بابلو توريانوس Pablo Torijanos، يأتي من وثيقة غامضة بين مخطوطات البحر الميت، المعروفة لدى العلماء باسم

IIQPsAp[a]. ويعد هذا النص المفكك الصغير أحد مؤلفات عديدة لطرد الأرواح الشريرة التي تظهر الاهتمام بطقوس ما يمكن تسميته بالسحر الأسود في يهوده في الحقبة الرومانية.

تحتوي هذه الوثيقة على أربعة مزامير لطرد الأرواح الشريرة، آخرها هو المزمور التوراتي رقم 91، والذي يُنسب صراحة إلى داود. وفي المؤلف الثاني، يُذكر اسمي داود وسليمان، مع سليمان، في جزء أعيد بناؤه، مع منحه القدرة على استدعاء اسم الله لإنقاذ المصابين من "أي وباء من الأرواح والشياطين والليليث، والبوم، وابن آوى. وشخصية سليمان تخاطب الشياطين المهاجمة مباشرة بالسؤال "من أنتم؟" يبدو أن هذا السؤال هو بداية مراسم طرد الأرواح الشريرة. ويظهر في نص مقصور على فئة معينة يسمى "عهد سليمان" والذي قد يتضمن مواد ألفت في وقت مبكر من القرن الأول الميلادي. وفيه يصف سليمان أسرار السيطرة على الشياطين ويوضح أنه نجح في إجبارهم على العمل معه في بناء هيكل أورشليم! ويشير تشابه العبارات إلى تقليد شعبي مشترك لسليمان، "ابن داود"، باعتباره قديسًا لطاردي الأرواح الشريرة - وهو تطبيق عملي وقوي جدًا للحكمة التي منحها الله له.

ويعكس فلافيوس يوسيفوس هذا الاعتقاد السائد في قوى سليمان الخفية في تقريره بأن "وقد مكّنه الله أيضاً أن يتعلم تلك المهارة التي تطرد الشياطين، وهي علم نافع ومفيد للإنسان. كما قام بتأليف مثل هذه التعويذات التي يتم من خلالها تخفيف الاضطرابات. وترك وراءه له طريقة استخدام طرد الأرواح الشريرة، التي بها يطردون الشياطين، حتى لا يعودوا أبدًا؛ ولا تزال طريقة العلاج هذه ذات قوة كبيرة حتى يومنا هذا" (العاديات اليهودية VIII : 2: 5).

وما يجعل صورة سليمان كراقٍ مثيرة للاهتمام بشكل خاص هو ارتباطها بأدب العهد الجديد. فيخبرنا إنجيل مرقس أنه عندما خرج يسوع وتلاميذه من أريحا أثناء خدمتهم

" كانَ بَرتيماوُسُ، أي ٱبنُ تِيماوُسَ، وهوَ شحّاذٌ أعمى، جالِسًا على جانِبِ الطّريقِ. فلمّا سَمِعَ بأنّ الذي يَمُرّ مِنْ هُناكَ هوَ يسوع النّاصِريّ، أخَذَ يَصيحُ: «يا يسوع ٱبنَ داود، ٱرحَمْني!» فٱنتَهَرَهُ كثيرٌ مِنَ النّاسِ ليَسكُتَ، لكِنّهُ صاحَ بِصوتٍ أعلى: «يا ٱبنَ داود، ٱرحَمني!» فوقَفَ يسوع وقالَ: «نادوهُ!» فنادوا الأعمى وقالوا لَه: «تَشَجّعْ وقُمْ! ها هوَ يُناديكَ!» فألقى عَنهُ عَباءَتَهُ وقامَ وجاءَ إلى يسوع. فقالَ لَه يسوع: «ماذا تُريدُ أنْ أعمَلَ لكَ؟» قالَ: «يا مُعَلّمُ، أنْ أُبصِرَ!» فقالَ لَه يسوع: «ٱذهَبْ! إيمانُكَ شَفاكَ». فأبصَرَ في الحالِ وتَبِعَ يسوع في الطّريقِ." (مرقس 10: 46-52)

إن التطابق الوثيق بين لقب "ابن داود" وعمل الشفاء يشير إلى تعريف أصلي ليسوع الناصري باعتباره تجسيدًا لشخصية سليمان الطارد للأرواح الشريرة. وهذا يختلف تمامًا عن الاعتقاد السابق بأن داود وسليمان هما مؤسسا الهيكل أو محرري إسرائيل الذين طال انتظارهم.

في النهاية، على كل حال، اندمجت جميع السلالات السابقة للتراث الداودي بقوة في شخص يسوع، لتجعله، في نظر أتباعه، الوريث النهائي لوعود الله لسلالة داود وسليمان. والمخلص الذي طال انتظاره لجميع شعب إسرائيل.

أنبياء إنجيل جديد

لقد تصارع علماء التوراة عدة قرون مع معاني ألقاب يسوع المسيانية المختلفة. ولم يصلوا إلى اتفاق يُذكر حول ما إذا كان يسوع الناصري، خلال خدمته في الجليل واليهودية في أواخر العشرينيات والثلاثينيات الميلادية، قد عرّف عن نفسه صراحةً على أنه ابن داود، كما فعلت شخصيات أخرى في ذلك الوقت بالتأكيد. وما هو واضح هو أن مؤلفي الأناجيل وغيرها من المؤلفات المسيحية المبكرة، الذين كتبوها بعد وقت قصير من سقوط أورشليم، بذلوا جهودًا كبيرة لتعزيز هذا التعريف. لقد فعلوا ذلك مع اختلاف كبير عن التراث اليهودي

المعاصر : فقد أكدوا على أنه على الرغم من أن يسوع ولد من نسل داود الأرضي، إلا أن إرثه المسياني كان أعظم بكثير من إرث الملك المؤسس لإسرائيل.

في إنجيل متى، يلبي يسوع تمامًا توقعات داود المعاصرة. فتتبع سلسلة الأنساب التي تبدأ بها سلسلة نسب يسوع من إبراهيم مروراً بداود وسليمان وجميع الملوك اللاحقين وورثة بيت داود بعد السبي وصولاً إلى يوسف، "رَجُلَ مريم التي ولَدَتْ يسوع الذي يُدعى المسيح" (1: 1-16). ولاحقًا في الإنجيل، في وصفه لاستعدادات يسوع لدخوله المنتصر إلى أورشليم، يطلب من تلاميذه أن يحضروا له حمارًا وجحشًا، لتحقيق النبوءة الداودية القديمة لزكريا.[1]

ها مَلِكُكِ يأتيكِ عادلًا مُخلِّصًا وديعًا راكبًا على حمارٍ، على جَحشٍ ابنِ أتانٍ.. (زكريا 9: 9)

وبحسب متى، فإن الجموع التي اصطفت على طريق موكبه فهمت هذه الرسالة النبوية، فصاحت: «المَجْدُ لابنِ داود! تبارَكَ الآتي بِاسمِ الرَّبّ!» (21:9). اما تطهيره اللاحق لباحات الهيكل (المكان الأكثر ارتباطًا بتقليد داود بعد السبي) من التجار والصيارفة فقد استقبله المتفرجون أيضًا بالتهليل المسياني بأن ابن داود قد وصل أخيرًا (21: 15).

ويؤكد إنجيل لوقا أيضًا مرارًا وتكرارًا على نسب يسوع من نسل داود من خلال صلات نسبه وظروف ولادته في مسقط رأس داود في بيت لحم. وفي الواقع، فإن اقتباس لوقا من كلمات الملاك جبرائيل، الذي أعلن عن ولادة يسوع الوشيكة لمريم، يوضح المصير المسياني :

فسَتَحبَلينَ وتَلِدينَ ابنًا تُسَمّينَهُ يسوع. فيكونُ عظيمًا وابنَ اللهِ العَليّ يُدعى، ويُعطيهِ الرّبّ الإلهُ عرشَ أبيهِ داود، ويَملِكُ على بَيتِ يَعقوبَ إلى الأبدِ، ولا يكونُ لمُلْكِهِ نِهايةٌ!». (لوقا 1: 31-33).

---

(1) الهوية والتاريخ لمؤلف سفر زكريا الإصحاح (9-14) المعروف باسم (تثنية زكريا) محل نقاش. وتتراوح تواريخ فصوله المختلفة بين القرنين السابع والرابع قبل الميلاد.

بالنسبة للمجتمع المسيحي المبكر، كان يسوع مختلفًا كثيرًا عن أي منافس مسياني آخر على عباءة داود. وفي قيامته من الموت في اليوم الثالث بعد صلبه، أظهر يسوع نفسه أنه أعظم حتى من داود، الذي مات "ودُفِنَ معَ آبائِهِ في مدينة داود" بحسب (1 مل 2 : 10)، فأثار هذا الاختلاف إعادة تفسير ثورية؛ لأن المزمور 16، المنسوب في ذلك الوقت إلى داود نفسه، يبدو أنه يتنبأ بأن القيامة الجسدية كانت علامة نبوية واضحة لإرث داود:

لا تترُكُني في عالَمِ الأمواتِ يا اللهُ

لِئلاَّ يرى تَقِيُّكَ الفسادَ

عَرِّفْني سُبُلَ الحياةِ،

واملأْني فرَحا بِحُضُورِكَ،

فَمِنْ يمينِكَ دَوامُ النِّعَمِ

(مزمور 16: 10-11)

وفي الإصحاح الحادي عشر من أعمال الرسل، يشرح بطرس الإنجيل الجديد بإيجاز وهو يخاطب الجموع المجتمعة في فناء هيكل أورشليم:

أيّها الإخوةُ: دَعُوني أقولُ لكُم جَهارًا: ماتَ أبونا داود ودُفِنَ، وقَبْرُهُ هُنا عِندَنا إلى هذا اليومِ. وكانَ نَبيًا، فعرَفَ أنّ اللهَ حلَفَ له يَمينًا أنْ مِنْ نَسلِهِ يُقيمُ مَنْ يَستوي على عَرشِهِ. ورأى داود مِنْ قَبلُ قِيامَةَ المسيح وتَكَلّمَ علَيها فقالَ: ما تَرَكَهُ اللهُ في عالَمِ الأمواتِ، ولا نالَ مِنْ جَسَدِهِ الفَسادُ. فيسوع هذا أقامَهُ اللهُ، ونَحنُ كُلّنا شُهودٌ على ذلِكَ. فلمّا رفَعَهُ اللهُ بِيَمينِهِ إلى السّماءِ، نالَ مِنَ الآبِ الرّوحَ القُدُسَ الموعودَ بِه فأفاضَهُ علَينا، وهذا ما تُشاهِدونَ وتَسمَعونَ. فداود ما صَعِدَ إلى السّماءِ، وهوَ نَفسُهُ يقولُ: «قالَ الرّبّ لِرَبّي: اَجلِسْ عَنْ يَميني حتى أجعَلَ أعداءَكَ مَوطِئًا لِقَدَمَيكَ». فلْيَعلَمْ بَنو إسرائيل كُلّهُم عِلمَ اليَقينِ أنّ اللهَ جعَلَ يسوع هذا الذي صَلَبْتُموهُ أنتُم رَبًا ومَسيحًا». (أعمال 2: 29-36)

ومثلما تحولت أهمية داود إلى الهيكل وطقوسه في العصر الذي أعقب السبي البابلي وإلى الملكية الهيلينستية في القرون التالية، فقد حول المسيحيون الأوائل تركيز توقعات داود إلى تصبح الأساس لإيمانهم. إن سمعة داود كنقطة ارتكاز لتاريخ إسرائيل أصبحت الآن غير قابلة للجدل. لكن بالنسبة للمسيحيين، لم يعد السياق مجرد تاريخ يهوذا أو حتى إسرائيل، فلقد رأوا الآن شخصيات داود وسليمان وجميع ورثة سلالة داود الآخرين كأسلاف وأنبياء للمُخلّص العالمي الذي ولد في بيت لحم، مسقط رأس داود، وصُلب وقام في عاصمته أورشليم.

وعلى الرغم من أن بعثة يسوع وآلامه وقيامته يُنظر إليها الآن على أنها التحقيق النهائي لقصة التوراة، إلا أن داود وسليمان ظلا - في نظر جميع المسيحيين المؤمنين - شخصيات دينية ذات أهمية قصوى، وباعتبارها تجسيدات قديمة للتقوى الحقيقية، والحكمة، والتوبة، فقد ألقت بظلالها على رسالة يسوع، ونظرًا لدورهم كأنبياء بليغين في مهمته المسيانية، فإن المزامير المنسوبة إليهم، وأساطيرهم التوراتية، والصور الحية للملكية المقدسة التي يمثلونها، عاشت بقوة في صميم الوعي المسيحي.

علماء الشريعة

ظل التراث الحاخامي غير منزعج من التعريف المسيحي ليسوع باعتباره الوريث الحقيقي للوعد الإلهي لداود. ومع ذلك، فإن التراث اليهودي خضع أيضًا لتحول جذري بعد سقوط أورشليم. ومع تعافي اليهود تدريجياً من الصدمة والرضة الناجمة عن تدمير هيكلهم ومدينتهم المقدسة، استمر النظر إلى داود وسليمان باعتبارهما النموذج النهائي للقدوة الدينية. ولكن بعد عام 70 م، تغيرت بؤرة الحياة الروحية اليهودية، فمع ان تدمير هيكل أورشليم كان بمثابة قربان فَسح المجال لدراسة مراسيم التوراة والالتزام بها، إذ شُرحت وأُعيد تأويلها تدريجيًا في

التعليقات الوعظية المعروفة باسم المدراش، وحُللت وفُسرت على نطاق واسع في المشناة والتلمود. وتحول الدور الديني لداود وسليمان في تراث وأدب اليهودية الحاخامية الآن، فقد بُجّلا، كل بطريقته، لتقديمهما كقدوة مرشدة لتقديس ودراسة الشريعة. لقد جمعت الباحثة التوراتية الأمريكية جويت باسلر Jouette Bassler سلسلة من الأمثلة النموذجية التي يمكن اعتبار داود فيها القدوة المُثلى للباحث الحاخامي المتدين. فعلى سبيل المثال، كان يُنظر إلى مهارة داود في العزف على القيثارة على أنها ضرورية لغرض محدد: إيقاظ الملك شاول من سباته وتشجيعه على دراسة الناموس. وفي المدراش الحاخامي عن سفر اللاويين، كان يُنظر إلى داود نفسه على أنه عالم توراة يتمتع ببصيرة لا مثيل لها، وقد شجع معاصريه على فعل الشيء نفسه (لاويين رباح 34. 16). وفي الواقع، فإن إخلاص داود للتوراة وحفظها، بحسب الحاخامات المعلقين، هو الذي جعل الله يمنحه الملكوت. بل حتى سليمان - الذي أصبح بارزًا بشكل متزايد في التراث اليهودي في العصور الوسطى باعتباره معالجًا عجائبيًا وطارد الأرواح الشريرة – فانه إنما جرت الإشادة به أيضًا لالتزامه بالتراث الشرعي، ولفهمه العميق لعلل الشرائع المختلفة.

أثبت التنوع الكبير في الصور والتناقضات الأخلاقية المضمنة في تراث التوراة عن داود وسليمان أنه مصدر خصب للمناقشة والجدال حول الطبيعة الإنسانية. وأصبحت الأوصاف غير الواضحة أو المحيرة أو المتناقضة أحيانًا للأحداث الواردة في التوراة موضوعًا للتأمل وموضوعات للمناقشة المثيرة للجدل في كثير من الأحيان حول العلاقات الأسرية والالتزام الشرعي والسلوك في المجتمع. ففي المدراش والحواشي على التوراة، يُصبح داود أبًا متساهلًا آخر، يُوبخ لأنه أفسد أبشالوم وأدونيا، وبالتالي فهو مسؤول جزئيًا على الأقل عن آثامهم. وفي مدراش عن صموئيل، أعلن الحاخامات أن بَتشابَعَ كانت مسؤولة جزئيًا على الأقل عن الزنا الذي ارتكبه داود وجميع عواقبه، لأنها خلعت ملابسها عن عمد للاستحمام في مكان عرفت فيه أن الملك سيراها. في مثل هذه المناقشات، يُنظر إلى الآباء المؤسسين لسلالة داود تدريجيًا

على أنهم مواضيع للتأملات والمناقشة اللاهوتية وليست مُثُلًا ثابتة.

وفي تفصيل هذه المجموعة الواسعة من الحكايات والأحداث الشخصية الحية المذكورة في التوراة، ظل داود وسليمان أُس التراث اليهودي. وكان العصر الذهبي الذي حققوه ورمزوا إليه أساسيًا لفهم مقاصد الله وتاريخ إسرائيل. إن إنكار أو تجاهل أهمية داود وسليمان كان بمثابة التقليل من أحد التقاليد اليهودية المركزية. وكما قال أحد التعبيرات النابضة بالحيوية بشكل خاص في التلمود: "كل من يعارض سيادة بيت داود يستحق أن تعضه حية" (السنهدرين 110 أ).

داود وسليمان كاستعارات مسيحية

حتى عندما قام الحاخامات بتطوير التراث والأساطير اليهودية عن داود وسليمان، فقد أوصل آباء الكنيسة صورة داود وسليمان إلى جمهور أوسع بكثير. لقد اتخذت التفسيرات المسيحية السابقة ليسوع باعتباره الوريث الحقيقي لوعد الله - ومحتويات مزامير داود وسليمان التي تشير بوضوح إلى يسوع - خطوة مهمة أخرى إلى الأمام. فداود وسليمان، عند فحصهما من منظور مسيحي بحت، لم يُنظر إليهما على نحو متزايد كشخصيتين توراتيتين مستقلتين، بل باعتبارهما استعارات قوية لتاريخ المسيح والكنيسة، في كل حكاية وواقعة.

في تعليقه على كتاب صموئيل في (مدينة الله)، كتب القديس أوغسطين باقتناع مملوء بالإيمان "عن الوعود التي قطعها داود في ابنه، والتي لم تتحقق بأي حال من الأحوال في سليمان، بل في المسيح بشكل كامل". وقد سلط الباحث الديني جان ووجيك Jan Wojcik الضوء على بعض التفسيرات المجازية الآبائية الأكثر وضوحًا لتراث داود وسليمان، مشيرًا، على سبيل المثال، إلى كيف ان أوغسطين افترض أن خيانة داود على يد أخيتوفل أثناء ثورة أبشالوم أخفت في الواقع إشارة مستترة إلى خيانة يسوع من قبله يهوذا. في الواقع، يمكن قراءة تفسيرات أوغسطين

للمزامير باعتبارها تمرينًا رائعًا في اللاهوت المجازي، حيث ترى أن كل فعل وتعبير لداود وسليمان يرتبط بطريقة مضيئة بالدروس العديدة للعقيدة المسيحية. من وجهة نظر أوغسطين: يجب تقسيم قصة داود وسليمان إلى سلسلة من الأمثلة الدينية الموضوعية، منفصلة تمامًا عن سياقها الأصلي في السرد التوراتي.

رأى أب آخر للكنيسة، هو يوخاريوس Eucherius، في زواج داود من بتشابع، الزوجة السابقة لأوريا، استعارة لتودد الكنيسة لمجتمع المؤمنين الحقيقيين بعيدًا عن قبضة الإيمان اليهودي الذي فقد مصداقيته. ويمكن ذكر عديد من الاستعارات المشابهة - فمعركة داود مع جالوت هي رمز لمواجهة المسيح مع الشيطان؛ وخطاب داود لأتباعه أثناء هروبه من أبشالوم كان مجرد ظل لخطاب يسوع الوداعي لتلاميذه؛ ولم تكن نشيد الأنشاد مجرد أبيات شعرية مثيرة لملك قديم، بل كانت تعبيرًا عن محبة الله لكنيسته.

بحلول القرن الرابع الميلادي، كان الآباء المسيحيون مقتنعون بأن المزامير كانت تتحدث حقًا عن يسوع وأن حياة داود وسليمان كانت مقصودة من الله أن تكون استعارات موحى بها. لقد أصبحت هذه القراءة لتراث داود وسليمان مسألة إيمان. ولكن بينما كان المبشرون المسيحيون يتجولون من الوسط الفكري للمدن الرومانية حول البحر الأبيض المتوسط إلى الأراضي الوثنية البعيدة، ظهر معنى أكثر واقعية. وسرعان ما وجد التوراة، الذي كان بمثابة كتاب نموذجي للرموز الكريستولوجية، جماهير استمعت إلى القصص النابضة بالحياة عن إسرائيل القديمة وملوكها الامجاد واستوعبتها - بالمعنى الحرفي للكلمة - كأمثلة يجب أن يتبعها قادتهم الدنيويون وكتعبير عن هويتهم الخاصة. بمعنى ما، فإن العملية التي بدأت في تلال يهوذا في القرن العاشر قبل الميلاد عادت إلى الحياة مرة أخرى بين الشعوب الجديدة وفي الأراضي الجديدة.

مع ظهور حضارة جديدة تبنت الدورة الأسطورية طاقة جديدة وبتنوعات مستحدثة مميزة عبر السهل الشاسع لشمال أوروبا، ومع التفكك التدريجي للإمبراطورية الرومانية التي كانت عظيمة ذات يوم، كانت الشعوب في حالة انتقال وتغيرت أنماط المجتمع -

ليس فقط في المقاطعات السابقة لبريطانيا، وبلاد الغال، وبانونيا[1]، وإيليريكوم[2]، وداسيا[3]، ومويسيا[4]، ولكن أيضًا عبر المساحات الشاسعة في الغابات والجبال وأراضي السهوب في شمال أوروبا التي لم تخضع أبدًا للحكم الروماني مباشرة. لقد تتبع المؤرخ باتريك جيري Patrick Geary هذه العملية المعقدة من الانقسام والهجرة والاندماج، والتي وصلت فيها الدول الحديثة في أوروبا لأول مرة إلى شكلها المميز. فكما يقترح جيري، فإن الفرنجة، والقوط، واللومبارد، والساكسونيين، والأفار، والوندال (من بين آخرين كُثر) لم يكونوا في البداية شعوبًا متميزة أو حتى يمكن التمييز بينها، إنما اكتسبوا هوياتهم تدريجيًا نتيجة لبلورة المجتمعات التي كان الرومان يجمعونها معًا ذات يوم على أنهم "برابرة "فقط.

ومن نواح عديدة، كررت هذه العملية قصة التفكك الإمبراطوري وظهور

(1) بانونيا هي مقاطعة قديمة من الإمبراطورية الرومانية يحدها من الشمال والشرق نهر الدانوب ومن الغرب نوريكوم وإيطاليا العليا، وجنوبًا دالماسيا ومويزيا العليا. تقع بانونيا على أراضي غرب المجر في الوقت الحاضر والنمسا الشرقية وشمال كرواتيا وشمال غربي صربيا وسلوفينيا وسلوفاكيا الغربية وشمال البوسنة والهرسك.

(2) إيليريكوم هي مقاطعة رومانية تواجدت غرب البلقان في ضفاف البحر الأدرياتيكي، أنشئت في سنة 27 ق م. هذه كانت مكونة من إيليريا ودالماسيا، كانت تمتد من سلوفينيا حالياً إلى ألبانيا.

(3) مملكة قديمة تقع في المنطقة المعروفة الآن برومانيا . تم غزو مملكة داتشيان من قبل الرومان وسميت رومانيا فيما بعد باسمهم.

(4) مويسيا في الجغرافيا القديمة هي منطقة سكنها شعب التراقيين، وتحيط بها من الجنوب جبال هايموس وسكاردوس، وعلى الغرب تحيط بها جبال درينوس، وفي الشمال يحيط بها نهر الدانوب ومن الشرق البحر الأسود. وهكذا فهي تشكل الجزء الرئيسي من وسط صربيا وبلغاريا الحديثتين.

شعوب ودول جديدة، وهو ما حدث مرات عديدة في التاريخ من قبل. وكما رأينا سابقًا، فإن انهيار الدولة المصرية الحديثة في نهاية العصر البرونزي المتأخر كان مصحوبًا أيضًا بحركات وتبلور الشعوب على المسرح التاريخي.

لقد كان صعود داود في تلال يهوذا أحد هذه التطورات التي وُلدت تراثًا طويل الأمد. واستنادًا إلى ذكريات الزعيم الفذ الذي ظهر في وقت الأزمات السياسية والاجتماعية، التي سيجري توسيعها وتغييرها لتكون بمثابة محور الهوية لمجتمع دائم التغير أثناء تطوره عبر مراحل المشيخة، فالمملكة، فالتابع الإمبراطوري، فالمجتمع الديني. وبينما انتشر المبشرون المسيحيون عبر شعوب أوروبا حاملين بُشرى الخلاص لرعايا الإمبراطورية الرومانية في وقت كانت الإمبراطورية في حالة متقدمة من التفكك، كان تراث داود وسليمان بارزًا في خطبهما ورسائلهما وحكايات التوراة.

صور الملك والمحارب العظيم - وصاحب المزامير -، والملك الحكيم والثري الذي بنى المدينة العظيمة والهيكل تكمن في خلفية قصص الإنجيل. ومع ذلك فقد برزت إلى الواجهة بشكل متزايد حيث كان للحكايات الجريئة - والدموية أحيانًا - عن إسرائيل التوراتية تأثيرا أكبر على المرتدين الوثنيين من أمثال الأناجيل والتفسيرات المجازية للأدب المسيحي المبكر. هنا وهناك، جمع زعماء قطاع الطرق زمرهم من الأتباع حولهم، ورأوا ببطء وتدريجيًا فائدة التحول إلى المسيحية. وبقي يسوع نفسه جالسا في السماء، ليحل محل الآلهة الحامية التي عرفوها جميعا من قبل. ومع ذلك، ظهر داود وسليمان كنماذج ملموسة أكثر للممالك التي كانا يبنيانها بأنفسهم. وهكذا نهض آل داود الجُدد لمحاربة عدو قومهم المخيف يخدعان وينتزعان المسحة الإلهية من المتنافسين الآخرين. شيّد بنو سليمان الجدد مدنًا ريفية وقلاعًا وكنائس مهيبة في جميع أنحاء أوروبا، حيث كانت الصور التوراتية لملوك أورشليم جذابة، وإن كانت مُثُلًا أشبه بالحلم. وهكذا ورثت قصة داود

وسليمان مكانًا في قلب الحضارة الجديدة للعالم المسيحي الأوروبي كنموذج للملكية الصالحة مع ضعفها وتعقيداتها البشرية، ورؤى العظمة والغفران، والآمال المروعة، ولحظات النضال والانتصار الحية، مرسومة ومنحوتة وضعت صور داود وسليمان في زجاج النوافذ الملون المرتفع. وستصبح جزءًا من التراث الغربي في العصور الوسطى والحديثة، تمامًا مثل الحكايات الشعبية البطولية والأساطير في أوروبا نفسها.

الخاتمة

رموز السلطة

صور داود وسليمان

العصور الوسطى والحديثة

إن صور داود وسليمان في الفن الأوروبي في العصور الوسطى لا تُعد ولا تُحصى. فمشاهد حياتهم وصورهم الخيالية مبثوثة في المخطوطات المزخرفة واللوحات الجدارية والزجاج الملون والحجر والعاج والمينا والفسيفساء والمنسوجات والأعمال المعدنية. في عام 2002، نشر فهرس الفن المسيحي[1] The Index of Christian Art كتالوجًا يضم 245 مشهدًا يظهر فيها داود بانتظام، في أكثر من خمسة آلاف نموذج من جميع أنحاء أوروبا، والتي تغطي كل واقعة من القصة التوراتية منذ ولادته وحتى وفاته. ومن المؤكد أن حسابًا مشابهًا للتجليات الفنية لسليمان في العصور الوسطى سيضع آلافًا أخرى في اليد. فماذا عن هاتين الشخصيتين القديمتين اللتين استحوذتا على خيال أجيال عديدة من الحرفيين في العصور الوسطى وأذهلت رعاتهم، سواء من الملكيين أو الكنسيين؟ بكل بساطة، أصبح داود وسليمان يمثلان رؤية مشتركة للحكم المسيحي التقي.

ولا يمكن الآن تتبع قصة انتشار هذه الرؤية إلا في الأعمال الفنية الباقية

---

(1) فهرس فن العصور الوسطى في مكتبة الأبحاث The Index of Medieval Art at the Research Library: هو أكبر أرشيف لفن العصور الوسطى في العالم، (المعروف سابقًا باسم فهرس الفن المسيحي) تأسس على يد البروفيسور تشارلز روفوس موري Charles Rufus Morey في عام 1917 ومقره في جامعة برينستون. يوثق الفهرس في المقام الأول فن العصور الوسطى منذ العصور الرسولية المبكرة حتى عام 1400 بعد الميلاد تقريبًا، ويحتوي على أكثر من 26000 مصطلح تتعامل في الغالب مع الأيقونات المسيحية بالإضافة إلى الموضوعات اليهودية والإسلامية وغير الكنسية .يتكون الفهرس من ثلاث مكونات: ملفات المواضيع، وملفات الصور الفوتوغرافية، وقاعدة البيانات.

والمراجع الأدبية المتفرقة. التي يمثل كل منها لحظة من التأمل الذاتي والاعتراف، حيث القصص التوراتية عن المسح بالزيت المقدس، والغزو، والثروة، والحكم، والشهوة، والندم قد ضربت على وتر حساس مألوف للغاية. وكما رأينا، فإن تراث داود وسليمان ليس بأي حال من الأحوال سجلاً دقيقًا ليهوذا في القرن العاشر قبل الميلاد، ولكنه في طبقاته المتراكمة وإعادة تفسيره شمل الحكمة الجماعية وخبرة قرون من المراقبة والتأمل حول طبيعة السلطة الملكية والهوية الوطنية.

لقد نُقلت أسطورة داود وسليمان إلى أوروبا من خلال القصص والمخطوطات التوراتية التي رافقت المبشرين المسيحيين، وحفظها كتبة الأديرة وبناة الكاتدرائيات، وقد جذبت أسطورة داود وسليمان الملوك والأساقفة كدليل إرشادي للعلاقات بين الكنيسة والتاج. فيمكن للملوك العظماء مثل شارلمان أن يستمتعوا بإنجازات داود العسكرية المذهلة وفي مملكة سليمان الغنية التي لا تضاهى والتي يحكمها بحكمة. وقد كان التاج المرصع بالجواهر للإمبراطور الروماني المقدس كونراد الثاني يحمل صورًا مصاغة بطريقة كل من داود وسليمان. ويمكن للأساقفة والمطارنة دعوة الأمراء والملوك في جميع أنحاء أوروبا إلى التوبة والندم على السلوك غير التقي من خلال استحضار الدروس المستفادة من علاقة الزنا بين داود مع بَتشابَعَ و رِدة سليمان، ففي توازن دقيق بين العظمة الأرضية والخضوع الروحي، عكست ملحمة داود وسليمان وشكلت رؤية معقدة وفريدة للعالم.

لم تقتصر هذه الرؤية على أوروبا. فمع انتشار الإسلام عبر الشرق الأدنى وشمال أفريقيا والبلقان، كان لصورة داود وسليمان أيضًا تأثيرًا دائمًا في وعي الخلفاء والسلاطين والشيوخ. لقد تبنى القرآن كثيرًا من التراث التوراتي، ويظهر كل من داود وسليمان في التراث الإسلامي كملوك وقضاة نبلاء عبّروا عن إرادة الله بشكل مبكر. وكان سليمان، على وجه الخصوص، يُعد واحدًا من أعظم أربعة قادة في التاريخ، إلى جانب نمرود ونبوخذ نصر والإسكندر الأكبر. وأحتفي بقواه السحرية ولقائه مع

ملكة سبأ (المعروفة بالعربية باسم بلقيس) من بلاد فارس إلى المغرب في أعمال فنية متقنة وأدب واسع النطاق وفولكلور شعبي. وكما هو الحال في تجسيدهما اليهودي والمسيحي، جسد داود وسليمان – في الإسلام - المعايير الأمثل التي سيجري من خلالها تقييم القادة المعاصرين.

بحلول العصور الوسطى المتأخرة (1000 -1350 م) في أوروبا، كان نسب داود وسليمان - المصورة في "شجرة نسب يسي" العنكبوتية، تصعد إلى الأعلى، وتتشابك أجيال من ملوك التوراة، والقديسين المسيحيين، وأمراء العصور الوسطى على واجهات من الطراز القوطي الشاهق. وجاءت الكاتدرائيات التي ترتفع بنوافذها الزجاجية الملونة المضيئة لتعبر عن الحق الإلهي للملوك وتعمم مبدأ الحكم الوراثي. وكما هو الحال في كل مرحلة من مراحل تطور تراث داود وسليمان، وفي كل مكان تطور فيه، كان يُنظر إلى الحاضر على أنه ذروة خطة الله الأبدية والنماذج المحددة للملكية الأوروبية نفسها.

ومع ذلك فقد استمرت القصة. ففي عصر النهضة، غيرت رؤية جديدة للعمل الفردي والمصير صورة داود من ملك تقي إلى شاب مفتول العضلات وطموح، كما هو مألوف في تمثال داود لمايكل أنجلو. وفي وقت لاحق، أصبحت اللوحات التوراتية الكئيبة لرامبرانت والاساتذة القدامى الآخرين عن داود وشاول تجسيدًا للصراع الشخصي والتأمل، حيث ستُترك فضائلهم ورذائلهم للتقييم النهائي من قبل المشاهد، وليس من خلال عقيدة الكنيسة القائمة. وفي الواقع، لم تتوقف صور داود وسليمان عن التطور أبدًا؛ لقد ظلوا آباء مؤسسين غامضين ولكنهم حاضرون دائمًا في كل أحلام الاجيال بعصر ذهبي. تكمن قوة قصتهم، في نهاية المطاف، في توقعها لمستقبل طوباوي، والذي تأثر معناه وشكله بعمق من خلال الوضع التاريخي المحدد الذي جرى فيه إنشاد قصة داود وسليمان أو رسمها أو قراءتها.

لقد كان التحدي الذي يواجهنا في هذا الكتاب هو البحث عن داود وسليمان التاريخيين والاستفادة من أدوات علم الآثار وتاريخه لتتبع تطور صورهما التوراتية عبر آلاف السنين. لقد اقترحنا خطوة بخطوة إعادة بناء العمليات التاريخية المعقدة التي أصبحت من خلالها شخصيات داود وسليمان محور أسطورة أساسية معقدة وقابلة للتكيف، بدأت في يهوذا القديمة وانتشرت في نهاية المطاف في جميع أنحاء العالم الغربي. ولقد أظهرنا كيف أعيد تشكيل ذكريات مؤسسي سلالة يهوذا في العصر الحديدي لتخدم الظروف الاقتصادية والاجتماعية المتغيرة. وقد وصفنا العملية الطويلة التي استمرت قرونا والتي جرى فيها استخدام تراث داود وسليمان لتعزيز سلطة الأيديولوجيات الدينية اليهودية والمسيحية - حيث أصبح داود وسليمان في نهاية المطاف نماذج غربية متأصلة بعمق للقيادة الملكية ونماذج الأمة والفرد.

لقد أتاحت لنا رؤية علم الآثار الجديدة لداود وسليمان فصل الحقيقة التاريخية عن عملية إعادة البناء المستمرة لتاريخ مليء بالحوادث، والمساعي الملحة للبقاء على قيد الحياة في مواجهة التهديدات الخارجية والاضطرابات الداخلية. إن سهولة الوصول إلى العناصر السردية في تراث داود وسليمان وسلاسة هذه العناصر قد أتاحت إمكانية نقلها وإعادة تفسيرها بحرية مرارًا وتكرارًا. وليس هناك ما يشير إلى نهاية عملية التبجيل والتبديل لصورهم.

نحن جميعًا نعيش في عالم من القوميات المتصادمة والإمبراطورية العالمية - وهي المواضيع نفسها التي أدت إلى ظهور الأسطورة الداودية في يهوذا في القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد، وهما اثنين من أهم المواضيع التي تناولتها قصة داود وسليمان وقد جرى تطويرها وإعادة تشكيلها مرارا وتكرارًا. إن منظورنا لهذه المواضيع حديث بشكل فريد. لم نعد نأمل في قيامة مملكة العصر الحديدي. ولم يعد بإمكاننا الاعتماد على الأحلام المسيانية للتغلب على كوابيسنا المشتركة. ولم يعد بإمكاننا

الاعتماد على الحق الإلهي للملوك كمبرر لتصرفات قادتنا. ومع ذلك، وبسبب حاجتنا إلى هوية تاريخية وسعينا المستمر إلى الاعتقاد بأن القيادة النبيلة أمر ممكن، فإن قصة داود وسليمان تحتفظ بقوتها. إن فهم عملية صنع الأسطورة حول داود وسليمان لا يشكك بأي حال من الأحوال في قيمة التراث، بل على العكس من ذلك، فمن الأهمية بمكان أن نقدر تاريخنا المشترك ودوره في تشكيل التراث التوراتي لليهودية والمسيحية. إن شخصيتي داود وسليمان تجسدان أساس الحضارة المتطورة التي نعيش فيها، في محاولتها التوفيق بين أحلام العصور الذهبية والقادة المثاليين مع الحقائق السياسية والاجتماعية والدينية المتغيرة باستمرار. وبهذا المعنى - وفي ضوء جميع الاكتشافات التي قدمناها - فإن علم الآثار لم يدمر أو حتى يقلل من قيمة تراث داود وسليمان القديم، بل أعاد تشكيله مرة أخرى فقط.

الملاحق

الملحق (1)

هل وجد داود فعلا؟

مدرسة (الحد الأدنى) ونقش تل دان

وفقًا لمدرسة فكرية معينة في الدراسات التوراتية - والتي توسم أحيانًا بالحد الأدنى التاريخي - فإن قصص داود وسليمان المختلفة، بالإضافة إلى التاريخ التثنوي الأوسع، هي مؤلفات متأخرة وخيالية إلى حد كبير مدفوعة بالكامل من اللاهوت والفلسفة، وهي تحتوي على معلومات تاريخية غامضة وغير موثوقة تمامًا حول أصول إسرائيل وتاريخها المبكر فقط.

وتختلف الآراء بين (الحد – أدناويون) حول الوقت الذي كُتب فيه النسّاخ القدماء التوراة - من الحقبة الفارسية إلى الحقبة الهيلينستية (في وقت ما بين القرنين الخامس والثاني قبل الميلاد) - لكنهم على أية حال واثقون من أن ذلك حدث بعد عدة قرون من مملكة يهوذا بعدما قُضي عليها.

وضع الباحث البريطاني فيليب ديفيز Philip Devies تاريخ تأليف القصة في سياق سياسي واضح؛ ففي كتابه بحثًا عن إسرائيل القديمة In Search of Ancient Israel (1992)، يرى أن تأليف وتجميع التاريخ التثنوي اللفظي هو عملية طويلة، ومن المحتمل أن يكون الشكل النهائي للسرد قد جرى تكوينه في يهوده الحشمونية خلال القرن الثاني قبل الميلاد. "كإبداع تاريخي وأدبي،" كتب ديفيز: " التوراة. . . هو مفهوم حشموني. " وصوّر ديفيز مؤلفي النص التوراتي بأنهم أيديولوجيون في خدمة مؤسسة الهيكل. وقد أرجع علماء (الحد الأدنى) الآخرون أيديولوجيتهم إلى الأهداف السياسية لكهنة ونبلاء يهوده الذين عادوا من السبي البابلي في أواخر القرنين السادس والخامس قبل

الميلاد. وتشير النظرية إلى أن هؤلاء القادة الجدد كانوا عملاء مخلصين للقوة الإمبراطورية، لكنهم كانوا أيضًا حريصين على تعزيز موقعهم بين السكان الذين بقوا في الأرض أثناء السبي. وباعتبارهم نخبة مفروضة أطاحت بالقيادة المحلية في (يهوذا)، فقد احتاجوا إلى خلق تاريخ لإضفاء الشرعية على دورهم. ومن المفترض أن كتبة أورشليم في حقبة ما بعد السبي قاموا بجمع الحكايات الشعبية والذكريات الغامضة ونسجوها بمهارة في تاريخ خيالي بالكامل أكدّ على مركزية أورشليم ومعبدها وعبادتها وكهنتها. لقد كان ابتكارًا كاملاً، مصممًا لتأسيس أسطورة أصل "وطنية" لم تكن موجودة من قبل. ووفقًا لهذه المقدمة، فإن قصة التوراة ليست فقط لا أساس لها من الناحية التاريخية، ولكنها دعاية قوية ومُركزة تروج لرواية مُختلقة بشكل أساسي عن الآباء، والخروج، والغزو، والعصر الذهبي المجيد لداود وسليمان للجمهور الساذج في الحقبتين الفارسية والهيلينستية.

ما هو (الحد الأدنى) من إعادة البناء لتاريخ أرض التوراة ما قبل التوراة؟ لم يقبل عالم التوراة الأمريكي توماس طومسون Thomas Thompson في كتابه "الماضي الأسطوري" The Mythic Past (2000)، فكرة وجود تاريخ متأخر جدًا وخيالي بالكامل تقريبًا لإسرائيل فحسب، بل أعاد أيضًا تفسير الأدلة الآثارية لإعادة بناء مجتمع متعدد الأعراق في فلسطين في العصر الحديدي بدون دين مميز أو هوية عرقية على الإطلاق. لقد كانوا سكانًا غير متجانسين منقسمين بين المراكز الإقليمية في أورشليم والسامرة ومجدو ولخيش ومدن أخرى. وكان شعبها يعتز بأبطاله المحليين ويعبد مجموعة واسعة من آلهة الشرق الأدنى القديمة. لقد زيّفت التوراة تلك الحقيقة بلاهوتها العنيد عن الخطية القومية والفداء. لهذا السبب، كما يجادل أنصار الحد الأدنى، لا يمكن أن يكون هناك أي دليل أثري على المملكة الموحدة، ناهيك عن وجود دليل على شخصية تاريخية مثل داود، لأنهم كانوا جزءًا من آثار ميثولوجيا إلهية ألفها بالكامل كتبة يهوده في الحقبتين الفارسية والهيلينستية.

أن هذه النظرية التحريفية تحتوي على تناقضات منطقية وآثارية. فأولًا، إن الأدلة على معرفة القراءة والكتابة والنشاط الكتابي المكثف في أورشليم في العصر الفارسي والحقب الهيلينستية المبكرة لم تكن أكبر – في الواقع أصغر بكثير – من تلك المتعلقة بالقرنين الثامن والسابع قبل الميلاد. لنفترض، كما يقول (الحد-أدناويون)، أن قيام الكتبة في بلدة معبد صغيرة منعزلة في جبال يهوده في القرن الخامس أو الرابع أو حتى الثاني قبل الميلاد، بتجميع تأليفة طويلة ومفصلة بشكل غير عادي حول إن تاريخ وشخصيات وأحداث "إسرائيل" العصر الحديدي الخيالي دون استخدام المصادر القديمة كان في حد ذاته قفزة إيمانية هائلة.

لكن يبدو ان العدد الهائل من قوائم الأسماء وتفاصيل التنظيم الإداري الملكي لمملكة يهوذا المدرجة في التاريخ التثنوي مفرطًا أو حتى غير ضروري لتاريخ أسطوري بحت. ومع ذلك، إذا كانت جميعها مفتعلة أو مصطنعة، فإن تزامنها مع حقائق سابقة أمر لافت للنظر. فقد أكدت التنقيبات الآثارية أن عديد من القوائم الجغرافية الواردة في التوراة - للمدن والقرى التابعة للقبائل ومناطق المملكة - تتطابق بشكل وثيق مع أنماط الاستيطان والحقائق التاريخية في القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد. وبالقدر نفسه من الأهمية، فإن عددًا كبيرًا نسبيًا من سجلاته التاريخية من خارج التوراة - ومعظمها آشورية - تثبت أحداث القرن التاسع إلى السابع قبل الميلاد الموصوفة في التوراة. وما لا يقل أهمية؛ هو أن كثيرًا من التاريخ التثنوي مكتوب بالعبرية الملكية المتأخرة، والتي تختلف عن عبرية ما بعد السبي. فهل يستطيع علم الآثار أن يثبت أن داود وسليمان كانا شخصيتين تاريخيتين؟ حتى مع احتدام الجدل الأكاديمي، فقد أدى اكتشاف خلال التنقيب في موقع تل دان القديم في شمال فلسطين، بالقرب من أحد منابع نهر الأردن، إلى تغيير طبيعة الجدل حول الوجود التاريخي لداود وسليمان.

حجر من تل دان

تل دان هو موقع توراتي نُقب فيه لسنوات عديدة من قبل عالم الآثار المخضرم أفراهام بيران Avraham Biran ورُبط بشكل قاطع مع دان، المدينة الواقعة في أقصى شمال مملكة إسرائيل. وكشفت التنقيبات هناك عن أقسام واسعة من مدن العصر البرونزي الوسيط والعصر الحديدي، وكشفت عن منصة ضخمة كان من المفترض أن يُقدم عليها الكهنة والملوك الإسرائيليون القرابين. ونظرًا لوقوعه بعيدًا عن أورشليم، فمن غير المتوقع أن يُقدم دان أدلة جديدة كثيرة على نقاش حاد على نحو متزايد حول الوجود التاريخي لداود وسليمان.

لكن في الحادي والعشرين من تموز عام 1993، كانت جيلا كوك Gila Cook، المنقبة في مشروع دان، تعمل في ساحة كبيرة مفتوحة خارج بوابة المدينة الخارجية للمدينة الإسرائيلية. وكان هناك جدار مبني من الحجارة المتشققة والمتساقطة مأخوذ من مباني سابقة يمثل حافة الساحة. وفي وقت متأخر من بعد الظهر، بينما كانت تنظر إلى البناء الخام للجدار، لاحظت كتابة قديمة على السطح الأملس لأحد أحجار البناء المعاد استخدامها.

كانت قطعة من نقش نصر مكتوب باللغة الآرامية، وحروفها القديمة محفورة بالبازلت الأسود. في العام التالي، اكتشفت قطعتين أخريين من المسلة، مع حفاظها في المجمل على ثلاثة عشر سطرًا من إعلان ملكي أطول وُضع في ساحة عامة. ومن المرجح أن الملك الذي تحيي ذكراه هو حزائيل، حاكم آرام دمشق، الذي كان معروفًا من التوراة والسجلات الآشورية كلاعب دولي مهم في أواخر القرن التاسع قبل الميلاد. ومعاركه ضد إسرائيل مسجلة في سفر الملوك، ولكن هنا في نقش معاصر، ترجمه الكاتبان جوزيف نافيه Joseph Naveh وأفراهام بيران Avraham Biran، سُمع صوت الملك حزائيل نفسه مرة أخرى يقول:

1. [ ] . . . [. . .] وقطع [. . .]

2. [. . .] صعد والدي [ضده عندما] قاتل في [. . .].

3. ووالدي استلقى، وذهب إلى [أسلافه]. وملك [[س. .]

4. لقد دخلتْ إسرائيل سابقًا إلى أرض والدي. [و] حدد جعلني ملكًا.

5. وسار هدد قدامي [و] خرجت من السبعة [. . .]

6. من مملكتي وقتلت [سبعـ] ة عشر من الملـ[وك]، الذين سخروا الآ[ف العر]

7. [بات] وآلاف الفرسان (أو الخيول). [أنا قتلت يهو] رام بن [اخآب]

8. ملك إسرائيل، وقتل[ت] [أخزياهو بن [يهورام مـ].

9. [لمك] بيت داود. وجعلت [مدنهم خرابا وحوّلت]

10. أرضهم إلى [قفر. . .]

11. أخرى [. . . ويإهو رو-]

12. قاد إسـ [رائيل. . . وأنا وضعت]

13. حصار على [. . .].

وعلى الرغم من أنه مفتت للغاية وأعيد بناؤه بشكل كبير من قبل نافيه وبيران، إلا أن هذا النقش يقدم منظورًا فريدًا حول السياسة المضطربة المنطقة في القرن التاسع قبل الميلاد. ويسجل من الجانب الآرامي الصراع الإقليمي بين إسرائيل ودمشق الذي أدى إلى هجمات ودمار متكررة. وهو يروي كيف شن حزائيل (الموصوف بأنه "ابن لا أحد" في مصدر آشوري)1 هجومًا عقابيًا ضد أعدائه الجنوبيين.

وبكلمات محفورة على الحجر حوالي عام 835 ق.م، ادعى حزائيل أنه

---

(1) تعني العبارة على الأرجح: (ابن النكرة) ، انظر:

The Expression "Son of a Nobody" in Assyrian Royal Inscriptions, by Mattias Karlsson. (المترجم)

قتل وحليفه ملك إسرائيل؛ ملك "بيت داود". وهو هنا أول استخدام لاسم داود في أي مصدر خارج التوراة، وفي هذه الحالة بعد حوالي قرن من زمن داود. وعلى الأرجح أنه يشير إلى وفاة يهورام ملك إسرائيل وأخزيا من "بيت داود". إن ادعاء أنصار الحد الأدنى بأن تاريخ التوراة كان تأليفا متأخرًا ومُبدَعًا بالكامل وأن داود كان شخصية خيالية؛ تلقى ضربة قوية.

يشهد نقش "بيت داود"، كما أصبح يُطلق عليه، على وجود سلسلة من الملوك الذين كانوا يستمدون شرعيتهم من داود في وقت مبكر من القرن التاسع قبل الميلاد. وقد استخدم حزائيل الاسلوب الشائع في عصره للإشارة إلى دولة باسم مؤسس السلالة الحاكمة فيها. لكن ذكر الاسم الملكي - على الرغم من أنه يؤكد وجود مؤسس سلالة يُدعى داود - لا يقدم معلومات جديدة عن الرجل نفسه. وهناك أيضًا تعارض مع السرد الموجود في التوراة. فيذكر مؤلفو التوراة في (2 مل 9: 14-27) أن يهورام وأخزيا ماتا بالفعل في الوقت نفسه، لكنهم أرجعوا وفاتهم إلى سبب مختلف تمامًا؛ ليس بسبب حزائيل، بل بانقلاب عنيف قام به الجنرال الإسرائيلي (والملك فيما بعد) ياهو. وقد قام مؤرخو التوراة بتبرير هذا التناقض من خلال القول أن ياهو كان مجرد تابع لحزائيل. ولكن يبدو أن الأمر أكثر تعقيدًا بكثير هنا، وهو يتعلق مرة أخرى بالتنافر بين الواقع التاريخي والأسطورة التوراتية.

إن الذاكرة الباهتة لحدث تاريخي صادم - الموت المفاجئ والمتزامن تقريبًا ليهورام وأخزيا - بقيت على قيد الحياة عبر القرون حتى عندما أصبح سياقها التاريخي المحدد في سياسات القرن التاسع غامضًا ومنسيًا في النهاية. إن بقاء الذكرى، على الرغم من تحولها إلى سيناريو مختلف إلى حد ما في التوراة، يشهد على استمرار الذاكرة الجماعية لإسرائيل القديمة، والتي دُمجت لاحقًا في نص التاريخ التثنوي. باختصار، يقدم نقش تل دان شاهدًا مستقلاً على الوجود التاريخي لسلالة أسسها حاكم يُدعى داود، بعد أجيال قليلة فقط من العصر الذي عاش فيه على الأرجح.

الملحق (2)

البحث عن حفريات داود وسليمان في أورشليم

التنقيبات، التوراة، والأدلة الآثارية

كانت أورشليم دائمًا هي البؤرة المركزية للبحث الآثاري عن داود وسليمان. ولقرون عديدة، انجذب الحجاج والمستكشفون والآثاريون إلى مدينة أورشليم لزيارة المزارات الدينية التراثية والبحث عن آثار أصلية لقلعة داود وآثار سليمان الأسطورية. فطوال السرد التوراتي، كانت أورشليم هي المكان الذي جرى فيه الاحتفال بأعظم إنجازات داود وسليمان وحيث حدثت أعمالهما التي لا تنسى. منذ أن استولى داود على المدينة بهجوم جريء في نفق مياه تحت الأرض (2 صم 5: 6-8)، مرورًا بإقامته في "حصن" المدينة وإحضاره تابوت العهد إلى أورشليم (2 صم 6)، إلى مشروع سليمان الضخم لبناء قصر عظيم وهيكل مقدس هناك (1 مل 7-8)، كانت أورشليم هي المسرح المقدس الذي دارت عليه مسرحيتهم التوراتية.

ارتبطت بعض المواقع في أورشليم بداود نتيجة للحكايات الشعبية، وليس لها أي أساس تاريخي. فقبر داود التراثي في جبل صهيون هو بناء من العصور الوسطى. وبرج داود الشهير بالقرب من باب حبرون، والذي كان لمدة طويلة رمزًا لتطلعات اليهود بالعودة إلى المدينة، بُني حقيقة في القرن السادس عشر، على يد السلطان سليمان القانوني، ليكون مئذنة للحامية العثمانية في المدينة. ولكن مع ثروتها من الآثار القديمة، المدفونة أو المحجوبة بالمباني الحديثة، لم تفتقر أورشليم أبدًا إلى المستكشفين العازمين على اكتشاف أدلة أصلية، وإن كانت مخفية، عن عهدي داود وسليمان المجيدين.

تهيمن منصة المعبد الضخمة على الآثار والاسواق والقباب المجمعة

في مدينة أورشليم القديمة، والتي شيدت في القرن الأول قبل الميلاد على يد هيرودس الكبير في موقع المعابد اليهودية السابقة. وأولها، بحسب التوراة، كان هيكل سليمان. ومع ذلك، فإن قدسية الموقع بالنسبة لليهود والمسلمين على حد سواء (كموقع قبة الصخرة والمسجد الأقصى) واتساع حجم بقايا الهيكل الهيرودي اللاحق شكلت عقبة لا يمكن التغلب عليها تقريبًا أمام الأمل في تحديد موقع لبقايا هنا من عصر داود وسليمان.

أحد أوائل المنقبين المتأخرين في أورشليم، هو الكابتن تشارلز وارن Charles Warren، وهو من المهندسين الملكيين البريطانيين، قاد رحلة استكشافية لصالح صندوق استكشاف فلسطين في 1867-1870، وخاطر بحياته وحياة رجاله بحفر آبار عميقة بجانب أسوار أورشليم الضخمة في المنطقة الهيرودية، للبحث عن آثار الحرم السليماني السابق. فقام وارن بفحص البنية التحتية ومجمع المباني القديمة المرتبطة بالمنصة الهيرودية بدقة لإنتاج أول مخطط تفصيلي للمنطقة، ولكن أصبح من الواضح أن البقايا اللاحقة قد غطت بالكامل وربما طمست أي مبان سابقة بُنيت في هذا الموقع المقدس. وهنا وصل البحث الآثاري عن داود وسليمان في جبل الهيكل، - على الأقل - إلى طريق مسدود.

التنقيب في مدينة داود

مع استمرار وتوسع التنقيبات الآثارية في أورشليم، أصبح من الواضح أن أفضل مكان للعثور على بقايا آثارية من عصر داود وسليمان لم يكن جبل الهيكل أو بين المباني المكتظة داخل المدينة العثمانية المسورة، ولكن على سلسلة من التلال الضيقة شديدة الانحدار الممتدة جنوب جبل الهيكل، خلف الأسوار. فقد حُددت هذه المنطقة

في وقت مبكر من القرن التاسع عشر باسم "أوفيل"[1] أو "مدينة داود" المذكورة مراراً وتكرارًا في النص التوراتي. وفي الواقع، هذا هو التل، أو التل القديم، الذي يحتوي على طبقات من التراكمات والهياكل من العصر البرونزي والحديدي في أورشليم. لقد أصبحت هذه التلال مسرحًا لحفريات واسعة النطاق طوال القرن العشرين.

لقد كانت البقايا القديمة المكتشفة هنا مفتتة تمامًا على الدوام. فكلّ من المنقبين الرئيسيين في هذا الجزء من أورشليم من مثل ريموند وايل Raymond J Weill (1913-1914؛ 1923- 1925) ، وروبرت ألكسندر ستيوارت Robert Alexander Stewart ، ومكاليستر وجارو دونكان Garrow Duncan, Macalister (1923-1925) ، وجون وينتر كروفوت John Wmter Crowfoot وجيرالد إم فيتزجيرالد Gerald M. Fitzgerald (1925-1927) ، وكاثلين كينيون Kathleen Kenyon (1961-1967) ، و إيغال شيلوه Yigal Shiloh (1978-1984) قد زعموا أنه بسبب ميل المنحدر والقوة التدميرية للتآكل المستمر، فقد ضاع المدى الكامل للمدينة الداودية. ومع ذلك، فقد عثروا، هنا وهناك، بين مناطق التنقيب المختلفة، على رواسب من الفخار أو عناصر معمارية معزولة ربطوها بزمن داود، في القرن العاشر قبل الميلاد: كالمنصة المحتملة لمعقل داود الملكي؛ وعمود المياه الجوفية الذي فتح من خلاله هو ورجاله المدينة؛ والمقابر المزعومة لداود وسليمان وغيرهما من ملوك يهوذا. ومع ذلك، كانت هذه الادعاءات مبنية على نوع من الاستدلال الدائري، فبدءًا من افتراض أن روايات التوراة كانت مصادر تاريخية موثوقة، حدد الباحثون هذه الآثار باعتبارها سمات مذكورة في التوراة. واستخدموا التعريفات الافتراضية

(1) Ophel، المسمى أيضًا بـ ophlas، هو المصطلح الكتابي المعطى لجزء معين من المستوطنة أو المدينة التي ترتفع عن محيطها، وربما يعني التل المحصن أو المنطقة المرتفعة. وفي الكتاب المقدس العبري، يُستخدم المصطلح للإشارة إلى مدينتين: أورشليم، كما في (أخ 2 : 27: 3؛ 33: 14) و (نح 3: 26؛ 11: 21)، والسامرة المذكورة في (مل 2: 5: 24)

كدليل أثري على صحة الأوصاف التوراتية.

وخير مثال على ذلك هو ان ما يسمى ب "الهيكل الحجري المدرج" الذي اكتشف أول مرة في عشرينيات القرن العشرين. وهو سور مهيب من ثمانية وخمسين مسارًا من صخور الحجر الجيري، يمتد لأكثر من خمسين قدمًا، مثل غمد وقائي أو تقوية فوق الطرف العلوي للمنحدر الشرقي لمدينة داود. وقد اكتشفت التنقيبات اللاحقة التي قام بها كينيون وشيلوه شبكة من المدرجات الحجرية تحته، ربما بُنيت من أجل تثبيت وتوسيع السطح المسطح الضيق على العمود الفقري للتلال، وربما لدعم هيكل كبير بُني هناك. لقد أشارت التنقيبات المبكرة إلى أن الهيكل الحجري المدرج كان جزءًا من تحصين المدينة اليبوسية التي فتحها داود. واعتقد كينيون وشيلوه أن هذا كان دليلاً على نشاط بناء كبير في القرن العاشر، في عصر داود وسليمان - وربما حتى جزء من السمة الغامضة الموصوفة في التوراة باسم مِلُّو [1] (2 صم 5: 9).

ومع ذلك، فإن الفخار الذي أستخرج من مسارات الهيكل الحجري المدرج شمل أنواعًا من العصر الحديدي المبكر إلى القرن التاسع أو حتى أوائل القرن الثامن قبل الميلاد. فيبدو إذن أن هذا النصب قد شُيد بعد قرن على الأقل من أيام داود وسليمان. أما من استخدمه، ومتى بالضبط، ولأي غرض فما يزال ذلك لغزًا - من الناحية الآثارية على الأقل. أقصى ما يمكن قوله - وحتى هذا ليس واضحًا تمامًا - هو أن بعض المدرجات الموجودة أسفله كانت مستخدمة في القرن العاشر. ثم جرى اكتشاف مهم آخر في المنطقة يتعلق بغزو داود الماكر لأورشليم عبر بئر مياه جوفية، مذكور في فقرة كتابية غامضة:

وسارَ المَلِكُ ورجالُهُ إلى أورشليم لِمُحاربَةِ اليَبوسيِّينَ سُكانِها، فقالَ لَه هؤلاءِ وهُم يَظنُّونَ أنَّه لا يَقدِرُ أنْ يَدخُلَها: «لا يُمكِنُكَ أنْ تَدخُلَ إلى هُنا،

(1) تخفي الترجمة العربية المشتركة اللفظ تحت ستار لفظة (القَلعةِ) ، فتبدل النص : وَبَنَى دَاوُدُ المَدِينَةَ مِنَ مِلُّو إلى الدَّاخِلِ.) إلى (وبَنى حوله سُورا مِنَ القَلعةِ إلى الدَّاخلِ)

فحتّى العميانُ والعُرْجُ يصدُّونك». لكنَّ داود احتَلَّ حِصنَ صِهيونَ وهوَ مدينة داود وقالَ في ذلِكَ اليومِ لرجالِهِ: «مَنْ أرادَ أنْ يُهاجمَ يَبوسيًّا، فليَدخُلْ عبرَ قناةِ المياهِ إلى حيثُ أولئِكَ العُرْجُ والعُميانُ الّذينَ تَعافُهُم نفْسي». فلذلِكَ يُقالُ: «لا يدخُلُ بَيتَ الرّبِّ أعمى ولا أعرَجُ». (2 صم 5: 6-8).

.ففي عام 1867، قام المستكشف البريطاني تشارلز وارن بدراسة نظام المياه الجوفية الموجود على المنحدر الشرقي العلوي لمدينة داود، ليس بعيدًا عن الهيكل الحجري المدرج. ووجد أنه يمر عبر نظام عمودي ونفق أفقي، يزيد طوله عن خمسين مترًا وعمقه حوالي ثلاثين مترًا، إلى منطقة المصدر الدائم الوحيد للمياه العذبة في أورشليم، نبع جيحون، الواقع في وادي قدرون عند سفحه من المنحدر. إن نظام المياه الجوفية هذا ليس فريدًا بأي حال من الأحوال في الشرق الأدنى القديم، حيث أن إحدى المشاكل الأكثر خطورة التي واجهت سكان المدن المتواضعة الحجم حتى؛ كانت في كيفية حماية الوصول إلى الينابيع خارج الأسوار خلال أزمنة الحصار. كان الحل الأكثر تعقيدًا هو إنشاء ممر مغطى من المدينة حتى النبع، عادةً عن طريق قطع نفق تحت الأرض.

اقترح عديد من علماء التوراة أن هذا هو عمود المياه نفسه الذي استخدمه داود لغزو المدينة في عمل بطولي مفاجئ. لكن تأريخ "عمود وارن" أثبت أنه في غاية الصعوبة، فقد أشارت الأبحاث الحديثة التي أجراها عالمي الآثار روني رايخ Ronnie Reich وإيلي شوكرون Eli Shukron على المنحدر الشرقي لمدينة داود إلى أن عمود وارن قد قُطع ومُدد على مدى مئات السنين. فقد نُحت لأول مرة في العصر البرونزي الأوسط (2000-1550 ق.م)، ثم وُسع في أواخر العصر الملكي، في القرن الثامن قبل الميلاد. ومع هذا التاريخ الطويل، لا يمكن لهذا الاكتشاف أن يثبت أن القصة التوراتية عن غزو داود لأورشليم تعكس واقعًا تاريخيًا، بل يمكن أن تكون حكاية شعبية تطورت في فترات

لاحقة لشرح أصل نظام الأعمدة والأنفاق في الشرق من منحدر التلال. ويبدو أن نهاية القصة التوراتية بالكلمات "الذلك قيل" تدعم هذا التفسير للمسببات الشعبية.

قبور الملوك الداوديين الأوائل؟

من الآثار الأخرى المشكوك فيها، قطعة نصف مدمرة مقطوعة من الصخر والتي حددها بعض العلماء بأنها الأثر الباقي من مدفن عديد من أفراد سلالة داود. وقبر داود الأصلي - الذي يتميز عن مزار العصور الوسطى على جبل صهيون - مذكور بشكل غير مباشر في السرد التوراتي، في التقارير المتكررة عن داود وسليمان وملوك يهوذا اللاحقين، حيث "دُفِنَوا معَ آبائِهِم في مدينة داود". في أوائل القرن العشرين، اكتشف الباحث الفرنسي ريموند وايل Raymond Weill سلسلة من الكهوف الاصطناعية المقطوعة في الصخر بالقرب من الطرف الجنوبي لمدينة داود، وعثر على غرفتين غير عاديتين على شكل برميل، اقتلعت أجزائه الأمامية. وقد فسر وايل هذه الهياكل على أنها بقايا قبور ملوك يهوذا. فيها ربط عديد من العلماء الآخرين، بما في ذلك مؤرخ التوراة وعالم الآثار بنيامين مزار Benjamin Mazar - على وجه التحديد - بداود وسليمان.

لقد جرى التشكيك بهذا التفسير في ضوء الإلمام الآثاري المتزايد بأنواع المقابر المميزة لعائلات أورشليم النبيلة في العصر الحديدي، والتي يُعرف بعضها من مقبرة سلوام المواجهة لمدينة داود شرقًا. فلا تحمل المعالم الصخرية التي اكتشفها وايل أي تشابه مع مقابر الأسرة ذات الغرف الواحدة أو المتعددة للنبلاء اليهود في مراحل مختلفة من العصر الحديدي. وبالطبع، ربما كانت المقابر الملكية في يهوذا فريدة من نوعها، ولكن في الوقت الحاضر، تُعدّ الغرف الفارغة المنحوتة في الصخر في مدينة داود لغزًا أكثر من كونها دليلاً قاطعًا على أي شيء.

كما أشرنا سابقًا، اقترح الباحثون الأوائل والمحدثون أن البقايا الآثارية الرئيسية لأورشليم داود وسليمان كانت تقع على قمة التلال، في المنطقة التي يغطيها الآن جبل الهيكل، وأن أنشطة البناء الضخمة التي قام بها هناك الملك هيرودس الكبير في العصر الروماني غطت أو طمست كل أثر لهذه المستوطنة. ومع ذلك، لو كانت هذه عاصمة ملكية صاخبة ذات نشاط يومي مكثف، لكان من الممكن الحفاظ على بعض من نفاياتها على الأقل. فقد كانت منحدرات كل تلة مدينة قديمة في الشرق الأدنى بمثابة مكب نفايات السكان القدماء، وعُثر على طبقات سميكة من العظام ومواد البناء وشظايا الفخار المكسورة خارج الأسوار. ومع ذلك، فقد فشلت التنقيبات الشاملة واسعة النطاق على المنحدر إلى الجنوب والجنوب الغربي من جبل الهيكل في العثور على أكثر من مجرد قطع فخارية متناثرة تعود إلى القرن العاشر قبل الميلاد.

كانت النتائج الآثارية في هذا الجزء من أورشليم مثيرة للإعجاب، لكنها لا تتطابق مع التسلسل الزمني للسرد التوراتي. وعلى الرغم من أن الموقع كان مأهولًا بشكل مستمر منذ العصر النحاسي (في الألفية الرابعة قبل الميلاد) حتى الوقت الحاضر، إلا أنه لم تكن هناك سوى حقبتين فقط من البناء والتوسع الرئيسي قبل العصر الروماني - ولا يمكن تحديد أي منهما مع عهدي داود وسليمان. ففي العصر البرونزي الأوسط، قبل ستة أو سبعة قرون من الوقت المقدر لداود، بُنيت أسوار وأبراج ضخمة لتحصين مدينة مدهشة على المنحدر الشرقي لمدينة داود. وفي أواخر القرن الثامن والسابع عشر حسب، أي بعد مائتين إلى ثلاثمائة سنة من داود، نمت المدينة وتوسعت بشكل كبير مرة أخرى، مع التحصينات والمنازل المكتظة ومؤشرات التجارة الخارجية. وفي الواقع، فإن بقايا التحصينات الآثارية المحفوظة بشكل رائع في الحقب السابقة واللاحقة - من العصر البرونزي الأوسط وأواخر الحديد الثاني - تتناقض مع الاقتراح القائل بأن أنشطة البناء في زمن هيرودس وما تلاها قد

قضت على جميع المعالم الآثارية من عصر داود وسليمان.

خلال كل القرون ما بين القرنين السادس عشر والثامن قبل الميلاد، لم تظهر على أورشليم أي علامات آثارية تشير إلى أنها كانت مدينة عظيمة أو عاصمة لمملكة شاسعة. تشير الأدلة بوضوح إلى أنها لم تكن أكثر من مجرد قرية، يسكنها عدد قليل من السكان الذين يعيشون في الجزء الشمالي من التلال، بالقرب من نبع جيحون. وإذا جرى تحليلها من وجهة نظر آثارية بحتة، فإن أورشليم، خلال تلك القرون الفاصلة - بما في ذلك زمن داود وسليمان - ربما لم تكن أبدًا أكثر من مجرد مدينة ريفية صغيرة فقيرة نسبيًا وغير محصنة، لا تزيد مساحتها عن ثلاثة أو أربعة أفدنة.

مواقع مرتبطة بالنقاش الدائر حول آثار النظام الملكي الموحد

الملحق (3)

مملكة سليمان الأسطورية

علم آثار مجدو، وحاصور، وجازر

مفتاح أبواب المدينة

إن صعوبة التنقيب في أورشليم بحثًا عن أدلة آثارية للمملكة الموحدة أدت في النهاية إلى تحويل اهتمام العلماء إلى مواقع ثلاث مدن قديمة مهمة هي حاصور ومجدو وجازر المذكورة على وجه التحديد في التوراة فيما يتعلق بأنشطة البناء الطموحة للملك سليمان (1 مل 9: 15). وكانت مجدو أولى هذه المدن التي أصبحت مسرحًا للتنقيبات الآثارية المكثفة.

تقع مجدو على حافة وادي يزرعيل، على الطريق الدولي من مصر إلى الأناضول وبلاد ما بين النهرين، وكانت موقعًا استراتيجيًا مهمًا طوال تاريخها. لقد كان الكشف عن مستويات المدينة من عصر سليمان على رأس جدول أعمال المنقبين. وفي العشرينيات من القرن الماضي، أثناء عمليات التنقيب التي أجراها المعهد الشرقي بجامعة شيكاغو، جرى بالفعل التعرف على بقايا تُمثل عصر سليمان. وبالقرب من سطح التل، اكتشف فريق جامعة شيكاغو مجموعتين من المباني العامة الكبيرة التي تشترك في مخطط مميز. وكان كل منها يتألف من سلسلة طويلة مستطيلة الشكل من الهياكل المرتبطة بعضها ببعض على التوالي. ويتميز كل مبنى من المباني الفردية بثلاثة ممرات طويلة مفصولة بصفوف من الأعمدة الحجرية والأحواض الحجرية المتناوبة. (انظر الشكل ص 164) فحدد مدير البعثة فيليب لانجستافي أوردي غاي Philip Langstaffe Orde Guy هذه المباني على أنها إسطبلات وأرجعها

إلى زمن سليمان. واستند تفسيره إلى الربط الذي أقامه بين المباني ذات الأعمدة، والإشارة إلى نشاط البناء الذي قام به سليمان في مجدو في (1 مل 9: 15) وذِكر مدن سليمان للمركبات والفرسان في (1 مل 9: 19 و في 1 مل 9: 19).

وفي منتصف الخمسينيات، بدأ إيغال يادين من الجامعة العبرية أعمال التنقيب في حاصور، وهي إحدى المدن الأخرى المذكورة في رواية حكم سليمان.

وحاصور هي أكبر تلة قديمة في فلسطين، وتقع شمال بحيرة طبرية، وتعود طبقاتها السكنية إلى العصر البرونزي المبكر. وفي إحدى مناطق التنقيب اكتشف يادين وفريقه بوابة كبيرة للمدينة تعود إلى العصر الحديدي. وعلى كل جانب من البوابة ثلاث غرف مرتبة على التوالي، يواجهها برج، أدرك يادين على الفور تشابه هذه البوابة - من حيث التصميم والحجم - مع البوابة التي كُشف عنها في مجدو (انظر الشكل ص 160) ورأى أن هذا التشابه بمثابة تأكيد محتمل للفقرة التوراتية التي تذكر أنشطة سليمان في "حاصور ومجدو وجازر".

وماذا كان الوضع في جازر، المدينة الثالثة المذكورة، وهي موقع كبير ذو موقع استراتيجي في وادي أيلون، يحرس الطريق من الساحل إلى أورشليم؟ ذهب يادين للتنقيب في جازر لكن ليس في الميدان، بل في المكتبة. ففي تقارير التنقيب التي قدمها عالم الآثار البريطاني ر.ا.س ماكاليستر R. A. S. Macalister في أوائل القرن العشرين، والذي نشر ثلاث مجلدات سميكة تصف اكتشافاته. تصفح يادين خطط التنقيب الواردة في تقرير ماكاليستر وذهل عندما رأى مخططًا لما وصفه ماكاليستر (بشكل غير صحيح) بـ "قلعة المكابيين"، وكان بداخلها نمط من الجدران يبدو مطابقًا لجانب واحد من بوابات مجدو وحاصور. فأصبح يادين الآن مقتنعًا تمامًا بأن ما في (1 مل 9: 15) كان وصفًا موثوقًا لأنشطة البناء السليمانية. وافترض أن مهندسًا معماريًا ملكيًا من

أورشليم رسم مخططًا رئيسيًا لبوابات مدينة سليمان، واتبع بناة المراكز الإقليمية في حاصور ومجدو وجازر هذه الخطة الرئيسية. كما يتضح من الاكتشافات الآثارية.

أسوار التحصينات والقصور

كانت نظرية يادين البارعة تطاردها مشكلة كبيرة: فقد كانت البوابات متصلة بأنواع مختلفة من الأسوار. فقد بُني نوعان من أسوار المدينة في أوقات مختلفة في العصر الحديدي. النوع الأول: عبارة عن سور من الحجر أو الطوب الصلب مزود بطلعات ودخلات؛ والآخر يتكون من سلسلة متصلة من الغرف ويعرف باسم سور المعقل casemate. وكانت المشكلة هي أن البوابات ذات الغرف الست في حاصور وجازر كانت متصلة بسور المعقل، بينما كانت بوابة مجدو متصلة بجدار صلب - مما يدعو إلى التشكيك في نظرية المخطط الرئيسي السليماني. واقتناعا منه بأن منقبو مجدو السابقين قد أخطأوا سور المعقل الأساسي (وهو على الأرجح السور الأصلي المبني مع البوابة)، قرر يادين الذهاب إلى مجدو مع فريق تنقيب جديد من أجل إعادة فحص الطبقات الآثارية.

اختار يادين منطقة تقع شرق البوابة حيث اكتشف فريق جامعة شيكاغو إحدى مجموعات "الإسطبلات" المرتبطة بسور المدينة الصلب، والذي كان بدوره متصلاً بالبوابة. وتحت الإسطبلات والجدار الصلب، اكتشف قصرًا جميلًا بُني على حافة التل من كتل حجرية كبيرة، مع صف من الغرف على كلا الجانبين. وعلى الرغم من أن الصف الخارجي من الغرف كان مختلفًا كثيرًا في الشكل عن أسوار المعقل النموذجية في العصر الحديدي، إلا أنه فسرها على أنها جدار المعقل "المفقود" الذي كان قد بُني في الأصل (على الأقل وفقًا لرأيه) ببوابة مكونة من ست غرف.

مع اكتشاف هذا الصرح، حول يادين انتباهه إلى قصر مشابه تقريبًا،

مبني أيضًا من كتل جميلة، اكتشفه فريق المعهد الشرقي السابق على الجانب الجنوبي من التل. ويقع هذا القصر أيضًا تحت مدينة "الإسطبلات" وهكذا اعتقد يادين أنه قد حدد أحد قصور سليمان الرائعة في مجدو - وهو مظهر واضح لعظمة الدولة السليمانية.

لقد دُمرت مدينة القصور هذه في حريق هائل، حاول يادين ربطه بحدث تاريخي محدد: وهو الحملة العسكرية للفرعون شيشق في فلسطين في السنة الخامسة للملك رحبعام؛ ابن الملك سليمان (من المفترض انه حكم 926 ق.م). وهذه الحملة (التي قمنا بتحليلها في الفصل الثاني) مذكورة في التوراة (1 مل 14: 25-26) والمسجلة على أحد جدران معبد آمون في الكرنك في صعيد مصر. وذُكرت مجدو على وجه التحديد في قائمة الكرنك، وبالفعل، أكتشف جزء من شاهدة أقامها شيشق في مجدو في الموقع (وللأسف ليست في سياق طبقي أو مؤرخ).

لذا يبدو أن علم الآثار يتناسق تمامًا مع شهادة التوراة. فالتوراة تحكي عن أنشطة البناء التي قام بها سليمان في حاصور ومجدو وجازر؛ ومن المؤكد أن البوابات المتشابهة التي اكتشفت في المدن الثلاث كشفت أنها بنيت معًا، على خطة موحدة. وتقول التوراة أن سليمان كان حليفاً لحيرام ملك صور وأنه كان بانياً عظيماً؛ وفي الواقع، يبدو أن تخطيط وبناء قصور مجدو الرائعة يظهر التأثير الشمالي، وكانت من أجمل الصروح المكتشفة في طبقات العصر الحديدي في إسرائيل. وتقول التوراة أن شيشق حارب في إسرائيل ويهوذا مباشرة بعد وفاة الملك سليمان؛ وها هي مدينة سليمان في مجدو قد دمرت في حريق شديد وعُثر على شاهدة لشيشق في الموقع. ومنذ تلك اللحظة فصاعدًا، ارتكزت عملية إعادة بناء التاريخ والثقافة المادية للدولة السليمانية بالكامل على هذه الاكتشافات.

ومع ذلك، فإن هذه الصورة الآثارية المتناغمة للعصر الذهبي للمملكة

الموحدة لم تدم طويلًا. فبعد عقدين من إثبات يادين وجود تطابق تام بين التوراة وعلم الآثار، بدأت العناصر المختلفة للنظرية في الانهيار، واحدة تلو أخرى.

سؤال حول المزامنة

كانت البوابات أول من سقط، فقد أظهرت دراسة مفصلة لبوابة مجدو أجراها داود أوسيشكين David Ussishkin أنها بُنيت بعد بوابات حاصور وجازر. بالإضافة إلى ذلك، عُثر على بوابات مماثلة في فترات لاحقة وفي مواقع أخرى من الواضح أنها غير إسرائيلية، من بينها موقع أشدود الفلسطي. حتى أساس تأريخ المستويات السليمانية تبين أنه نتيجة المنطق الدائري: فالفخاريات والمصنوعات اليدوية الأخرى الموجودة في مستويات البوابات يعود تاريخها إلى القرن العاشر قبل الميلاد بسبب ارتباط البوابات بالفقرة التوراتية عن مشروع بناء الملك سليمان. وفي وقت لاحق، نسي المدافعون المتحمسون عن نظرية "العظمة السليمانية" ببساطة هذا المنطق الدائري عندما جادلوا بأن الفقرة التوراتية (ومملكة سليمان العظيمة) يجب أن تكون تاريخية، حيث عُثر على البوابات وغيرها من الهياكل المدهشة في مستويات يعود تاريخها إلى القرن العاشر القرن قبل الميلاد!

لقد قوضت المعلومات الجديدة من التنقيبات الجارية في فلسطين وإعادة تحليل الاكتشافات القديمة بقية أساس يادين لعلم الآثار "السليماني". يقع موقع يزرعيل على بعد أقل من عشرة أميال إلى الشرق من مجدو، وهو موقع قصر لبيت عمري، الموصوف في التوراة بأنه مسرح الانقلاب الدموي الذي أسقط هذه السلالة (2 مل 9). إن الوجود التاريخي للعمريين مدعوم بالسجلات الآشورية والأدلة الموجودة على مسلات ميشع وتل دان. وقد جرى التنقيب في يزرعيل في التسعينيات من قبل داود أوسيشكين وجون وودهيد John Woodhead ، الذين اكتشفا منطقة محصنة كبيرة عرفاها

بسهولة على أنها مجمع ملكي عمري، يشبه بشكل لافت للنظر في مفهومه المدينة الملكية المحصنة في السامرة، عاصمة بيت عمري. لقد دُمر مجمع يزرعيل وهُجر بعد وقت قصير من بنائه، إما بسبب التغيرات السياسية الداخلية في المملكة أو نتيجة لهجوم عسكري شنه الآراميون على شمال إسرائيل، وكلاهما حدث، بحسب السجلات التاريخية، في منتصف القرن التاسع قبل الميلاد تقريبًا.

والمثير للدهشة أن أنواع الفخار الموجودة في مجمع يزرعيل تتطابق مع فخار مدينة القصور الحجرية في مجدو، التي كان من المفترض أن يكون قد دُمرت على يد شيشق قبل قرن تقريبًا من سقوط بيت عمري. هل يمكن أن تكون مدينة يادين "السليمانية" في مجدو هي في الواقع مدينة بيت عمري، التي بنيت ودُمرت في القرن التاسع قبل الميلاد، مثل يزرعيل، بعد مدة طويلة من عهد سليمان؟

وهناك أدلة أخرى واضحة تشير إلى هذا الاستنتاج؛ الدليل الأول يأتي من السامرة، عاصمة مملكة عمري، الواقعة في التلال على بعد حوالي عشرين ميلاً إلى الجنوب من مجدو. لقد سبق أن ذكرنا التشابه بين المجمعات الملكية في يزرعيل والسامرة، ولكن هناك رابط معماري آخر؛ فقد كشفت التنقيبات في السامرة، التي أجريت في البداية في أوائل القرن العشرين من قبل بعثة من جامعة هارفارد، عن أساسات قصر كبير مبني من كتل الحجارة في وسط المدينة الملكية المرتفعة. حددته التنقيبات على أنه القصر الملكي لسلالة عمري، الذي بُني في النصف الأول من القرن التاسع قبل الميلاد.[1]

هناك أوجه تشابه لا لبس فيها في أساليب البناء بين قصر السامرة وواحد - على الأقل - من قصري مجدو. ولوحظت أوجه التشابه هذه لأول مرة من قبل المنقبين الأوائل كلارنس فيشر Clarence Fisher (في

(1) تنسب التوراة على وجه الخصوص بناء عاصمة السامرة إلى عمري والد آخاب (مل 1: 16:24). وهذا مدعوم بأدلة من خارج التوراة: فقد أشار الآشوريون إلى المملكة الشمالية باسم بيت عمري، معترفين بحقيقة أنه كان مؤسس عاصمة إسرائيل....

السامرة ومجدو) وجون كروفوت John Crowfoot (في السامرة) ولكنها نُسيت لاحقًا بعد القبول الواسع لنظرية يادين السليمانية. ومع ذلك، أعادت نورما فرانكلين Norma Franklin من جامعة تل أبيب إحياء المقارنة مؤخرًا بأدلة جديدة مهمة: فكتل الحجارة في القصر في السامرة والقصر الجنوبي في مجدو تحمل علامات بنائين متماثلة غير معروفة في أي مواقع أخرى من العصر الحديدي في إسرائيل. ومن المحتمل أنهما بُنيا في الوقت نفسه ، ربما على يد فريق البنائين نفسه ، الذين يعملون تحت رعاية أسرة عمري، وليس تحت رعاية سليمان. وأخيرًا، في السنوات القليلة الماضية، دقت التأرخة بالكربون المشع المسمار الأخير في نعش السراب السليماني. فنتائج الكربون 14 لعينات من المواقع الرئيسية المشاركة في النقاش حول المملكة الموحدة (بما في ذلك (دور) على الساحل، و (تل رحوف) في وادي الأردن جنوب (بيت شان)، و (تل هدار) على الشاطئ الشرقي لبحر الجليل، و (روش زيت) بالقرب من عكا، وحاصور، ومجدو) التي قُدمت للاختبار والتحليل أظهرت عديد من بذور الحبوب ونوى الزيتون التي عُثر عليها في المستويات التي تشعبت تقليديًا مع الفتوحات الداودية ومملكة سليمان في القرن العاشر قبل الميلاد. وكانت النتائج مذهلة. فقد أنتجت جميع العينات تقريبًا تواريخ أقل، أي متأخرة عن التواريخ المقبولة على نطاق واسع لغزوات داود والملكية الموحدة للملك سليمان. فطبقات الدمار التي تم تأرختها سابقًا إلى حوالي 1000 ق.م والمرتبطة بفتوحات الملك داود تشير إلى أنها تعود إلى منتصف القرن العاشر قبل الميلاد، وهو الوقت المفترض للملك سليمان، إن لم يكن بعد ذلك بقليل. وطبقات الدمار التي كانت تُرجع تقليديًا إلى أواخر القرن العاشر قبل الميلاد والمرتبطة بحملة شيشق بعد انهيار النظام الملكي الموحد، تشير إلى أن تواريخها تعود إلى منتصف القرن التاسع قبل الميلاد، أي بعد قرن تقريبًا.

وهكذا فإن وجهة النظر التقليدية حول علم الآثار الخاصة بالمملكة

الموحدة كانت خاطئة لمدة قرن تقريبًا. ومن الناحية التاريخية، فان هذا يعني أن المدن التي يُفترض أن داود قد غزاها كانت ما تزال مراكز للثقافة الكنعانية طوال مدة حكمه المزعوم في أورشليم. والآثار التي تُنسب تقليديًا إلى سليمان والتي يُنظر إليها على أنها رموز لعظمة دولته، بناها في الواقع ملوك سلالة عمري في مملكة إسرائيل الشمالية، الذين حكموا في النصف الأول من القرن التاسع قبل الميلاد. ولذلك، فإن علم الآثار - وبعيدًا عن إثبات الموثوقية التاريخية لروايات التوراة - قد أجبرنا على إجراء إعادة تقييم بعيدة المدى لطبيعة مجتمع القرن العاشر في يهوذا وإسرائيل.

ملحق (4)

صناعة النحاس في عهد الملك سليمان؟

علم الآثار وازدهار المملكة الموحدة

ما بين ثلاثينيات وخمسينيات القرن العشرين، أدت الإشارات التوراتية إلى صهر النحاس وإنتاج الأواني النحاسية للمعبد إلى بذل جهد كبير في البحث عن سليمان التاريخي، فحاول علماء الآثار الذين قبلوا الوصف التوراتي في ظاهره تحديد المصادر الدقيقة لخامات نحاس سليمان والمواقع المرتبطة بصناعة الصهر. وحدد موقع هذا المسعى حول (تمنة) في جنوب فلسطين الحالية.

أجريت الأبحاث الأولى حول هذا الموضوع من قبل عالم الآثار الأمريكي نيلسون غلوك Nelson Glueck، الذي أجرى مسوحات وتنقيبات واسعة النطاق في شرق الأردن وصحراء النقب. مع الأخذ في الاعتبار أن ميناء سليمان في عصيون جابر (المذكور في التوراة باعتباره مركزًا تجاريًا رئيسيًا للمملكة الموحدة) كان يقع في الطرف الشمالي لخليج العقبة، لقد ركز غلوك في بحثه عن مناجم النحاس التابعة لسليمان على (تمنة)، على بعد خمسة عشر ميلًا فقط إلى الشمال.

وأظهر العمل الميداني الذي أجراه غلوك في (تمنة)، ثم عالم الآثار بينو روثنبرغ Beno Rothenberg أن المكان كان بالفعل مصدرًا رئيسيًا للنحاس في العصور القديمة. فقد اكتشفت مناجم النحاس ومواقع الصهر التي يعود تاريخها إلى فترات مختلفة، من العصر النحاسي في الألفية الرابعة قبل الميلاد إلى العصر الإسلامي المبكر، في وادي تمنة والمناطق المحيطة به مباشرة. كان غلوك مقتنعًا بأن عديد من هذه المناجم والمنشآت تعود إلى عصر سليمان.

ثم قام غلوك بفحص العلاقة المحتملة مع موقع تل الخليفة القريب، على بعد أميال قليلة إلى الغرب من ميناء العقبة الحديث، والذي حدد في ثلاثينيات القرن الماضي على أنه (عصيون جابر) التوراتية. وفي الواقع، هذا هو الاحتمال الوحيد، حيث لا يوجد موقع آخر من العصر الحديدي معروف في هذه المنطقة، وقد فشلت عقود من الاستكشافات المكثفة حول العقبة في الأردن وجنوب إيلات في فلسطين في العثور على أي بقايا تعود إلى ما قبل الرومان.

قام غلوك بالتنقيب في تل الخليفة بين عامي 1938 و1940 وكشف عن جزء كبير من الموقع، فقام بتقسيم البقايا إلى خمس فترات من النشاط وأرخها من القرن العاشر إلى القرن الخامس قبل الميلاد، وحدد كل منها وفقًا للإشارات التوراتية إلى عصيون جابر وإيلات. وكل ملك ورد ذكره فيما يتعلق بالأنشطة في خليج العقبة تم منحه طبقة. وقد قدم غلوك بقايا الحقبة الأولى - بما في ذلك ما وصفه بفتحات المداخن، وقنوات الهواء، ومنفاخ اليد، والبوتقات الطينية، وغرف الأفران - كدليل على صناعة صهر النحاس الضخمة في أيام الملك سليمان. حتى أن غلوك ذهب إلى حد وصف (عصيون جابر) بـ "بيتسبرج فلسطين" ووصف الملك سليمان بـ "ملك النحاس، وقطب الشحن، والأمير التاجر، والباني العظيم".

ثبت لاحقًا أن هذه الصورة الرومانسية لا أساس لها من الصحة، فهي مجرد وهم يستند إلى النص التوراتي أكثر من أي دليل أثري حقيقي، وفشلت الأبحاث المكثفة التي أجراها بينو روثنبرغ في وادي تمنة في ستينيات القرن العشرين، والتي تضمنت عمليات مسح وتنقيبات لمواقع الصهر، في الكشف عن أي دليل على نشاط القرن العاشر قبل الميلاد. فقد كانت هناك مرحلة نشطة للتعدين في زمن الدولة المصرية الحديثة، حتى القرن الثاني عشر قبل الميلاد، ثم فجوة، وتجدد النشاط في العصر الروماني، ولم يُعثر على شيء من أيام الملك سليمان.

كما ثبت أن علاقة تل الخليفة بصناعة النحاس في عهد سليمان كانت مجرد خيال. فلم تجد الدراسة الشاملة للاكتشافات التي تم إعدادها للنشر النهائي بواسطة الباحث الأمريكي جاري براتيكو Garry Pratico والتحقيق الذي أجراه علماء آخرون أي دليل على الإطلاق على نشاط الصهر في الموقع. وثبت أن "البوتقات" التي عُثر عليها في الموقع هي شظايا من الأواني الفخارية المصنوعة يدوياً محلياً؛ ولم تكن "ثقوب المداخن" أكثر من مجرد فتحات للعوارض الخشبية التي تناثرت بعيدًا؛ ولم يكن هناك سوى عدد قليل من الاكتشافات المعدنية - وبالتأكيد ليس دليلاً على وجود صناعة صهر نشطة. وما لا يقل أهمية هو أنه أصبح من الواضح أن الموقع أنشأ فقط في أواخر القرن الثامن أو أوائل القرن السابع قبل الميلاد. وإن الطبقات المعقدة لملوك النحاس المتعاقبين ومركزهم الصناعي لم تكن موجودة ببساطة. وفي زمن سليمان التاريخي في القرن العاشر قبل الميلاد، لم يكن هذا المكان القريب من شاطئ خليج العقبة أكثر من مجرد كثبان رملية.

الملحق (5)

هدم المقامات

دليل أثري على مركزية العبادة في عهد حزقيا

لقد ناقش علماء التوراة منذ مدة طويلة مدى تاريخية وصف التوراة لإصلاح عبادة الهيكل التي حدثت في عهد حزقيا (2 مل 18: 3-4)؛ (أخ 2: 29-31). والدراسات الأدبية للنصوص - خاصة فيما يتعلق بالعلاقة بين الروايات المختلفة في اسفار الملوك وأخبار الأيام، وتشابهها مع أوصاف إصلاح عبادة يوشيا اللاحقة، ومع شرائع التثنية التي تتطلب القضاء على كائنات العبادة الكنعانية الوثنية - لم تؤد إلى إجابة حاسمة حول الطبيعة التاريخية للإصلاح الديني المذكور. ومع ذلك، فإن الأدلة الآثارية المهمة حول التغيرات المحتملة في الممارسات الدينية خلال الحقبة الملكية جاءت من الموقعين الجنوبيين عراد وبئر السبع ومن موقع لخيش في شفيلة (جرى التنقيب عن المواقع الثلاثة بواسطة يوحنان أهاروني Yohanan Aharoni)، حيث توجد أدلة على وجود نشاط العبادة اليهوذائية المناطقية.

فقد أكتشف حرم يهوذائي مع مذبح وفناء مفتوح في قلعة عراد التي تعود إلى العصر الحديدي، إلا أن تأريخه كان موضع خلاف منذ مدة طويلة. أرّخ أهاروني عصر بنائه إلى القرن العاشر قبل الميلاد، واقترح أنه توقف عن الاستخدام على مرحلتين:

أُزيل المذبح الكبير في أواخر القرن الثامن قبل الميلاد، أثناء إصلاح عبادة حزقيا (الطبقة الثامنة)، و أغلق المقام وهُدم بعد قرن من الزمان، في زمن يوشيا (الطبقة السادسة)، وبالتالي ازيل بشكل تام؛ ما يناسب الوصف التوراتي للإصلاحين الدينيين الأكثر شهرة في تاريخ يهوذا. وقد قام فريق التنقيب في عراد في وقت لاحق بمراجعة عملية

إعادة البناء التاريخية هذه، مما يشير إلى أنه بينما بُني المجمع في القرن العاشر قبل الميلاد، جرت إزالة كل من المذبح والمقام في أيام حزقيا. واقترح المؤرخ نداف نعمان Nadav Na'amah أن المزار استمر في الاستخدام طوال زمن حزقيا.

وأثناء إعداد اكتشافات عراد للنشر النهائي، قام أحد أعضاء البعثة، زئيف هرتزوغ Zeev Herzog ، بمراجعة الطبقات والتسلسل الزمني لمعبد عراد. وفي رأيه، لم يُأسس الحرم في القرن العاشر قبل الميلاد ولم يستمر استخدامه على مدى ثلاثة قرون، ولكنه كان مستخدما فقط لمدة قصيرة من الزمن في القرن الثامن قبل الميلاد (الطبقات X-IX). ووفقًا لهرتزوغ، فكك المذبح والمقام في الوقت نفسه - في أواخر القرن الثامن - ودُفنا تحت ردم يبلغ ارتفاعه مترًا واحدًا. وهكذا فإن الحصن الذي يعود تاريخه إلى أواخر القرن الثامن قبل الميلاد (الطبقة VIII) - وهو الحصن الذي غزاه سنحاريب عام 701 ق.م - لم يكن به حرم. ومن المفترض أنه أزيل أثناء إصلاحات عبادة حزقيا.

قدم هرتزوغ دليلاً واضحًا على تفسيره: بُنيت أسوار وأرضيات طبقة VIII في أواخر القرن الثامن فوق الحرم بعد أن أصبح غير صالح للاستخدام؛ ويعود تاريخ الفخار الموجود في الطبقات إلى القرن الثامن وليس السابع قبل الميلاد، كما أن الطبقات السابعة إلى السادسة في محيط الحرم أعلى بمترين من أرضية حرم الضريح. ودون تجاهل المشاكل المنهجية المتعلقة بالتنقيب في عراد والصعوبات الهائلة في تفسير طبقات الموقع، يبدو لنا أن إعادة البناء التي قام بها هرتزوغ هي الأكثر إقناعا وتقترح تغييرًا متعمدًا في الطقوس الدينية في عراد في عهد حزقيا في السنوات التي سبقت هجوم سنحاريب عام 701 ق. م.

ويبدو أن الاكتشافات التي عُثر عليها في بئر السبع ولخيش تدعم ذلك التفسير. ففي بئر السبع، جرى هدم مذبح كبير مقرن مبني من كتل الحجارة، ودفنت حجارته في أسوار تحصين المدينة وأعيد استخدامها

في المخازن ذات الأعمدة التي بنيت في أواخر القرن الثامن قبل الميلاد (الطبقة II). فاقترح أهاروني أن المذبح كان في الأصل موجودًا في الهيكل. وبما أنه لم يكتشف مثل هذا المبنى في الموقع، فقد افترض أنه قُضي عليه بشكل كامل ومتعمد أثناء تشييد مباني (الطبقة II). وهكذا فسر أهاروني هذا الدليل على أنه يدعم الوصف التوراتي لإصلاح عبادة حزقيا، حيث من المفترض أن يكون معبد بئر سبع قد دُمر ودُفنت حجارة مذبحه وأعيد استخدامها في وقت مبكر من عهد حزقيا.

أثار المؤرخ التوراتي نداف نعمان اعتراضات على تفسير أهاروني، خاصة فيما يتعلق بالمكان الأصلي للمذبح. ومع ذلك، وبغض النظر عن مسألة موقع الحرم، فيبدو أن الاكتشافات في بئر السبع توازي تلك الموجودة في عراد. لقد فُكك المذبح الذي كان يعمل في القرن الثامن (الطبقة III) في نهاية القرن (الطبقة II). وكان من الممكن أن يحدث هذا في عهد حزقيا، حيث جرى تدمير (الطبقة II) أثناء حملة سنحاريب عام 701 ق. م. وقدمت لخيش أيضًا دليلاً على التغيرات في ممارسات العبادة في أواخر القرن الثامن قبل الميلاد. فعلى الرغم من أن أهاروني فسر المذبح الحجري وأواني العبادة كدليل على وجود حرم يهودي من القرن العاشر قبل الميلاد، إلا أن داود أوسيشكين أعاد مؤخرًا فحص نتائج حفريات أهاروني وتوصل إلى استنتاجات مختلفة تمامًا. فوفقًا لتحليله، فإن القطع الدينية التي ربطها أهاروني بحرم مفترض يعود إلى القرن العاشر وضعت بالفعل في حفرة أغلقت من خلال بناء فناء واسع يعود إلى أواخر القرن الثامن (الطبقة III). وقد قام بتأريخ الأوعية نفسها إلى القرن التاسع وأوائل القرن الثامن قبل الميلاد (الطبقة IV)، واقترح أن الحرم الذي جاءت منه لم يعد صالحًا للاستخدام في وقت ما في القرن الثامن قبل الميلاد وأن الحفرة التي ألقيت فيها كانت مغطاة بهياكل مبنية في عهد حزقيا. وهكذا يبدو أن الاكتشافات في عراد وبئر السبع ولخيش تشير إلى صور متماثلة: جميع المواقع الثلاثة تظهر دليلاً على وجود المقدسات اليهودية في القرن الثامن قبل الميلاد، ولكن جميع

المقدسات الثلاثة غدت مهجورة قبل نهاية القرن الثامن. بمعنى آخر، انه لم يكن ثمة مزار في المدن الثلاث التي دمرها سنحاريب عام 701، مما يشير إلى أن إصلاحًا عباديًا قد حدث بالفعل في جميع أنحاء يهوذا في زمن حزقيا.

الملحق (6)

الطغاة، واتحاد المدن، والحراس الشخصيين المرتزقة

السمات الثقافية اليونانية الإضافية في القصص التوراتية عن الفلسطة

بالإضافة إلى الحقائق اليونانية من القرن السابع قبل الميلاد المخبأة في قصة المبارزة بين داود وجالوت، تشير تفاصيل أخرى في تصوير الفلسطة في التاريخ التثنوي إلى السياق التاريخي والثقافي نفسهما.

سادة الفلسطة

بداية، ان استخدام مصطلح سيرانيم seranim لقادة الفلسطة (على سبيل المثال: 1 صم 5: 8، 11 ؛ 6: 4، 12، 16 ؛ 7: 7) هو مصطلح غير عادي ويُترجم بـ "الحكام" أو "الأسياد". وفي بعض الحالات، تتحدث التوراة عن خمس سيرانيم، وفي مكان واحد (يش 13: 3)، ويشير على وجه التحديد إلى اتحاد من خمس مدن فلسطية، والتي أطلق عليها العلماء اسم "المدن الفلسطية الخمس". والمصطلح سيرن/سيرانيم ليس له اشتقاق سامي، وبالتالي يُفترض أنه كلمة فلسطية تبنتها اللغة العبرية. وقد اعتاد العلماء على تأثيلها اشتقاقيًا من الكلمة اليونانية تايرونوس tyrannos، والتي تعني "الطاغية"، والتي ظهرت لأول مرة في القرن السابع قبل الميلاد. ومن المحتمل أن كلمة تيرانوس مشتقة من الكلمة الأناضولية الأقدم تروانيس tarwanis ، والتي تعني "الحاكم"، والتي ادخلت إلى اليونانية لاحقًا.

مع ذلك، هناك مشكلة في سلسلة النقل المفترضة هذه نظرًا لأن مصطلح سيرن التوراتي يرجع تاريخه تقليديًا إلى العصر الحديدي الأول، أي قبل عدة قرون من ظهور الطغاة اليونانيين. ومع ذلك، إذا قمنا

بتأرخة الاستخدام التوراتي لكلمة سيرن في القرن السابع قبل الميلاد عندما جرى جمع التاريخ التثنوي، فقد حُلت المشكلة: تطور عنوان تايرونوس في غرب آسيا الصغرى في القرن السابع قبل الميلاد والصيغة العبرية *سيرن* مشتقة منه ودمجت في التاريخ التثنوي. وقد لا يكون من قبيل الصدفة أن أول حاكم يشار إليه باسم الطاغية في الأدب اليوناني هو غيغس Gyges ملك ليديا، الذي أرسل المرتزقة إلى مصر بحسب النصوص الآشورية.

ويشكل اتحاد المدينة الفلسطي مشكلة أيضًا. فتشير الروايات الفلسطية "المبكرة" في التوراة (على سبيل المثال: يش 13: 3 و1 صم 6: 17) إلى تنظيم سياسي لخمس مدن فلسطينية: أشدود، وغزة، وأشكلون، وجت، وعقرون. في حين أن هذا الأسلوب من التنظيم ليس نموذجيًا في الشرق الأدنى القديم، إلا أن الاتحادات - أو اتحادات القبائل أو المدن - شائعة إلى حد ما في عالم بحر إيجة، بدءًا من العصر القديم (حوالي 700-480 ق.م). وبحلول القرن السابع قبل الميلاد، فقد أصبحت هذه الظاهرة منتشرة على نطاق واسع في اليونان وغرب آسيا الصغرى.

الكريثيت والبيليثيت

تذكر التوراة الكريثيت Cherethites والبيليثيت Pelethites كوحدات مرتزقة خاصة في زمن داود - وهم تقليد متميز عن فيالق الجيش النظامية وكانوا موالين تمامًا للملك، حتى في أوقات الأزمات (1 صم 30 : 14؛ 2 صم 8: 18؛ 2 صم 15: 18). وحدد بعض العلماء الكريثيت على أنهم مجموعة من شعوب البحر وربطوهم بجزيرة كريت، لأنه وفقًا للفقرة (9: 7) في سفر عاموس، فقد جاء الفلسطة من كفتور، أو كريت. وعادة ما يتم تعريف البيليثيت على أنهم الفلسطة، حيث يُنظر إلى بيليتي peleti العبرية على أنها تحريف لكلمة بلسطة pelisti - فلسطين.

لكن الكريثيت والبيليثيت لا يظهرون بين مجموعات شعوب البحر في المصادر المصرية، وفي ضوء الطبيعة المتواضعة لنظام حكم التلال في يهوذا في القرن العاشر، فمن غير المرجح أن تكون القصص عن قوات المرتزقة من بحر إيجة في خدمة داود كشهادة تاريخية موثوقة. ومع ذلك، وعلى النقيض من الوضع في زمن داود، كانت ظاهرة المرتزقة اليونانيين معروفة جيدًا في المنطقة، خاصة في فلسطين وربما أيضًا في النقب اليهودية، في القرن السابع قبل الميلاد. فقد كانت جزيرة كريت - وهي الأرض الأصلية المحتملة للكريتيين - مصدرًا رئيسيًا للمرتزقة في العالم الهيلينستي. ولا بد أن الحقائق الديموغرافية والاقتصادية الكامنة وراء هذه الظاهرة كانت متشابهة تمامًا في الحقبة القديمة. لذلك، فإن الوصف التوراتي للكريتيين كجنود مرتزقة في زمن داود ربما كان سمة عفا عليها الزمن مستمدة من التجربة المباشرة مع المرتزقة الكريتيين في القرن السابع قبل الميلاد.

بالنسبة للبيليثيت، يجب أن نعود إلى اقتراح الباحث الأمريكي ويليام فوكسويل أولبرايت William Foxwell Albright، الذي لاحظ تشابه هذا الاسم مع المصطلح اليوناني، اللاحقة pelte والذي يعني "الدرع الخفيف". لكن بدلًا من فهم هذا المصطلح في سياق العصر الحديدي الأول، يجب علينا أن ننتقل مرة أخرى إلى حقائق القرن السابع قبل الميلاد. فربما نشأت الكلمة بالفعل من الكلمة اليونانية pelte، أو ربما من المحاربين اليونانيين ذوي الأسلحة المتوسطة المعروفين باسم بيلتاستي peltastai فقد ذكر هؤلاء البيلتاست لأول مرة من قبل المؤرخ اليوناني ثوسيديدس Thueydides في القرن الخامس قبل الميلاد، وظهروا في رسوم المزهريات اليونانية في وقت مبكر من القرن السادس قبل الميلاد، وربما ظهروا في وقت سابق إلى حد ما.

فكيف يمكننا إذن أن نفسر ظهور هذه العناصر اليونانية القديمة في قصة داود؟ كما أشرنا في الفصل السادس، لا بد أن مؤرخ التثنية كان لديه دافع أيديولوجي واضح لتصوير جالوت على أنه محارب يوناني مدجج بالسلاح.

يبدو أن الشيء نفسه ينطبق على الكريثين Cherethites والبيليثيت Pelethites في هذه الحالة، فربما سعى مؤلف التوراة إلى تمجيد شخصية داود من خلال إظهار أنه - مثل الملوك العظماء في العصر المعاصر (القرن السابع قبل الميلاد) - كان لديه قوات مرتزقة يونانية في خدمته. كان من الممكن أن يعمل هذا أيضًا على إضفاء الشرعية على تعاون يهوذا السياسي أو الاقتصادي مع الأسرة السادسة والعشرين في مصر وقواتها المرتزقة اليونانية. وقد جرى ذلك عن طريق "تذكير" شعب يهوذا بأن المرتزقة الأجانب كانوا أقرب الحلفاء العسكريين لداود التقي، مؤسس السلالة الحاكمة.

الملحق (7)

المسبيون، والعائدون، وحدود يهوده

آثار حُقب السبي وما بعد السبي المبكرة

في الأيام الأولى للبحث التاريخي، كانت الفكرة شائعة بين العلماء بأن السبي البابلي كان شبه كامل وأن كثيرًا من سكان يهوذا قد نُقلوا بعيدًا. ووفقاً لهذه الفكرة، أفرغت يهوذا من سكانها وتُرك الريف مقفراً طوال حقبة السبي (586-538 ق. م). علاوة على ذلك، قبل عديد من العلماء الوصف التوراتي: أن الطبقة الحاكمة في يهوذا بأكملها - العائلة المالكة، وكهنة الهيكل، والوزراء، والتجار البارزين - قد سُبوا، وأن السكان القلائل المتبقين في يهوذا كانوا من الفلاحين الفقراء. ويبدو الآن أن الأمر لم يكن كذلك.

إن التقارير التوراتية عن عدد المسبيين متناقضة بصراحة، إذ يذكر سفر الملوك الثاني (24: 14) أن عدد المسبيين في أيام الملك يهوياكين (الحملة البابلية الأولى عام 597 ق. م) هم عشرة آلاف، في حين أن الفقرة 16 في الإصحاح نفسه تقول ان عددهم يبلغ ثمانية آلاف شخص. ولا يقدم لنا سفر الملوك عدد المسبيين بعد خراب أورشليم سنة 586 ق. م. لكنه يذكر أنه بعد مقتل (جدليا) ومذبحة الحامية البابلية في المصفاة، "فقامَ الشَّعبُ، مِنَ الصَّغيرِ إلى الكبيرِ، وعلى رأسِهم قادةُ الجُيوشِ، ورحَلوا إلى مصر". (2 مل 25: 26). يروي إرميا عملية الترحيل الثالثة التي بلغ مجموعها أربعة الاف وستمائة شخص (52: 28-30). ويميل العلماء إلى تفضيل أرقامه لأنها تبدو أقل تقريبًا وبالتالي أكثر دقة. ولا نعرف بالطبع ما إذا كان هذا الرقم يمثل العدد الإجمالي للمبعدين أو هو يمثل أرباب الأسر؛ وفي الحالة الأخيرة سيرتفع العدد الإجمالي للمسبيين إلى حوالي عشرين ألفًا. وعلى أية حال، لا توجد

طريقة للوصول إلى رقم دقيق. ومن المحتمل أننا نتعامل مع رقم إجمالي يتراوح بين بضعة آلاف وخمسة عشر أو عشرين ألف شخص. فقد كان المسبيون (الذين جاءوا بشكل رئيسي من العاصمة والمنطقة المحيطة بها) يشكلون ما بين 5 إلى 20 بالمائة من سكان الدولة اليهوذائية قبل التدمير - وخاصة الأرستقراطيين. وتشير هذه الأرقام إلى أن معظم سكان يهوذا، الذين كانوا ريفيين إلى حد كبير، لم يذهبوا إلى السبي. ولم يشمل هذا المجتمع القرويين الفقراء فحسب، بل ضم أيضًا الحرفيين والكتبة والكهنة والأنبياء. ومن الجدير بالذكر أن جزءًا مهمًا من النشاط النبوي في ذلك الوقت – حجي وزكريا – قد جمع في يهوذا. فكم عدد الأشخاص الذين عادوا من بابل ليستقروا في أورشليم وأجزاء أخرى من يهوذا؟

وما هو إجمالي عدد سكان مقاطعة يهوده في زمن المؤرخ؟ إن قوائم العائدين من بابل المذكورة في (عز 2: 1-67 ونح 7: 6-63)، والتي يبلغ مجموعها حوالي خمسين ألف شخص، هي ذات قيمة تاريخية مشكوك فيها. ويقترح بعض العلماء أنهم يمثلون عدة موجات متتالية من المسبيين الذين عادوا إلى يهوده خلال الحقبة الفارسية. ويرى آخرون أنها تعكس إجمالي عدد سكان المنطقة، وليس عدد العائدين وحدهم. ومع ذلك، يبدو أن هذه الأرقام مبالغ فيها إلى حد كبير.

أين استقروا؟ البيانات الإقليمية الأكثر تفصيلاً عن مقاطعة يهوده تأتي من قائمة المسبيين الذين عادوا من بابل (عزرا 2؛ نحميا 7) ومن قائمة بناة أسوار أورشليم (نحميا 3). لقد مروا عبر الحدود الجنوبية ليهوده مباشرة إلى جنوب بيت صور، تاركين حبرون – ثاني أهم مدينة في التلال في العصر الملكي، المكان الذي يُفترض أنه توج فيه داود، وموقع مقابر البطاركة – خارج إقليم مقاطعة يهوده. وفي الشمال، تتوافق الحدود مع حدود ملكية يهوذا في أواخر القرن السابع، مروراً شمال المصفاة وبيت إيل. وفي الشرق ضُمت أريحا إلى يهوده. وفي الغرب، ربما كانت يهوده تشمل منطقة شفيلة الشمالية. ولذلك كانت يهوده مقاطعة صغيرة

تغطي بشكل رئيسي تلال يهوذا، على مسافة حوالي خمسة عشر ميلاً إلى الشمال والجنوب من أورشليم، بمساحة إجمالية تقل عن ثمانمائة ميل مربع. كانت هذه منطقة أصغر بكثير حتى من المنطقة المحدودة لمملكة يهوذا في أواخر القرن السابع قبل الميلاد، والتي كانت تسيطر أيضًا على تلال حبرون الجنوبية، ووادي بئر السبع، وشفيلة.

جرى إعادة تشكيل حدود مقاطعة يهوده من خلال الأدلة التوراتية ومن خلال الاكتشافات الآثارية - ولاسيما انطباعات الأختام المميزة الموجودة على الأواني الفخارية من العصر الفارسي، مكتوبة باللغة الآرامية أو العبرية وتحمل اسم المقاطعة: يهوده. لقد عُرفت عدة مئات من الأمثلة على هذه المقابض المنقوشة من خلال التنقيبات والاكتشافات التي عثر عليها بالصدفة.[1] وفي الواقع، عُثر على جميع الطبعات تقريبًا في أورشليم وفي المواقع الواقعة مباشرة إلى الشمال والجنوب. وتوزيعها الجغرافي الإجمالي يوازي حدود مقاطعة يهوده كما هو موضح أعلاه: من منطقة المصفاة في الشمال إلى بيت صور في الجنوب، ومن أريحا في الشرق إلى جازر في الغرب.

---

(1) أحد أنواع هذه الانطباعات يحمل، بالإضافة إلى اسم المقاطعة، اسم شخصي ولقب "الحاكم". وحددت الأسماء الشخصية من قبل معظم العلماء على أنهم حكام مقاطعة يهوده نيابة عن الإمبراطورية الفارسية.

القراءات المقترحة

ملاحظة المؤلفين: على الرغم من وجود أدبيات علمية غنية عن داود وسليمان أيضًا بالعبرية والألمانية والفرنسية واللغات الأوروبية الأخرى، فقد اخترنا المصادر الرئيسية باللغة الإنجليزية لهذه المراجع (بما في ذلك الترجمات من الألمانية). وفي حالات قليلة جدًا يجري الاستشهاد بالمصادر العبرية أو الألمانية أو الفرنسية عندما تكون هي المراجع الوحيدة ذات الصلة بموضوع معين.

الموسوعات الخلفية العامة

Encyclopedias

THE MAIN ARCHAEOLOGICAL SITES IN ISRAEL AND JORDAN
Stern, E., ed. 1993. *The New Encyclopedia of Archaeological Excavations in the holy Land.* Jerusalem.

BIBLE ENTRIES
Freedman, D. N., ed. 1992. *The Anchor Bible Dictionary.* New York.

THE ANCIENT NEAR EAST
Meyers, E. M., ed. 1997. *The Oxford Encyclopedia of Archaeology in the Near East.* New York.
Sasson, J. M., ed. 1995. Civilizations of the Ancient Near East. London.

Archaeological method
Renfrew, C., and P. Bahn. 1991. *Archaeology: Theories, Methods and Practice.* London.

History of archaeological research in Palestine
Silberman, N. A. 1982. *Digging for God and Country: Exploration in the Holy Land 1799-1917.* New York.

Introductory books on the archaeology of the Levant
Ben-Tor, A., ed. 1992. *The Archaeology of Ancient Israel. New Haven.*
Levy, T. E., ed. 1995. *The Archaeology of Society in the Holy Land.* London.
Mazar, A. 1990. *Archaeology of the Land of the Bible 10,000 - 586 BCE.* New York.
Stern, E. 2001. *Archaeology of the Land of the Bible. Vol. II, The Assyrian, Babylonian, and Persian Periods 732-332 BCE.* New York.

Geographical history of the Land of Israel
Aharoni, Y. 1979. *The Land of the Bible: A Historical Geography.* Philadelphia.

Translation of ancient Near Eastern texts
Pritchard, J. B. 1969. *Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament.* Princeton.

History of ancient Israel

Alt, A. 1966. *Essays on Old Testament History and Religion. Oxford.*

Finkelstein, I., and N. Silberman. 2001. *The Bible Unearthed: Archaeology's New Vision of Ancient Israel and the Origin of Its Sacred Texts.* New York.

Liverani, M. Forthcoming 2002. *Israel's History and the History of Israel.*

Miller, M. J., and J. H. Hayes. 1986. *A History of Ancient Israel and Judah.* London.

Historiography in the Bible

Halpern, B. 1988. *The First Historians: The Hebrew Bible and History. San Francisco.*

Long, V. P., ed. 1999. *Israel's Past in Present Research: Essays on Ancient Israelite Historiography.* Winona Lake.

Van Seters, J. 1983. *In Search of History: historiography in the Ancient U70rld and the Origins of Biblical History. New Haven.*

Commentaries on 1 and 2 Samuel

McCarter, ·KP. 1980. *I Samuel. Garden City.*

———. *1984. II Samuel. Garden City.*

Commentaries on 1 and 2 Kings

Brueggemann, W .2000. *I & 2 Kings. Macon;*

Cogan, M., and H. Tadmor; 1988-200I.*Kings. Garden City.*

Gray, J. 1970. *I & II Kings: A Commentary.* London.

Commentaries on I and 2 Chronicles

Japhet, S. 1993. *I & II Chronicles: A Commentary. Louisville.*

Williamson, H. G. M. 1982. *1 and 2 Chronicles.* London.

General books on David

Alter, R. 1999. *The David Story_' A Translation with Commentary of I and 2 Samuel* New York

Ash, P. S. 1999. *David, Solomon and Egypt: A Reassessment.* Sheffield.

Auld, G. 1994. *Kings Without Privilege: David and Moses in the Story of the Bible's Kings. Edinburgh.*

Brueggemann, W. 1985. *David's Truth in Israel's Imagination and Memory.* Philadelphia.

Flemingcr, J. 2002. *Behind the Eyes of David. Sussex.*

Frontain, R, -j., and J. Wojcik, eds. 1981. *The David Myth in western Literature. West Lafayette.*

Halpern. B. 2002. *David's Secret Demons: Messiah, Murderer, Traitor, Kiang. Grand Rapids.*

Kirsh, J. 2000. *King David: The Real Lift of the Man Who Ruled Israel.* New York.

Isser, S. 2003. *The Sword of Goliath: David in Heroic Literature.* Atlanta.

McKenzie, S. L. 2000. *King David: A Biography. Oxford.*

Mettiilger, T N. D. 1976. *King and Messiah: The Civil and Sacral Legitimation of the Israelite Kings. Lund.*

Noll, K. L. 1997. *The Faces of David.* Sheffield.

Schniedewind. W M. 1999. *Society and the Promise to David: The Reception History of 2 Samuel 7:1-17 Oxford.*

Selected articles on David

Dietrich. W. and W Naumann. 2000. The David-Saul Narrative. In G. Knoppers and J. G. McConville, eds., *Reconsidering Israel and Judah: Recent Studies on the Deuteronomistic History. 276-318.* Winona Lake.

Edelman, D. 2000. The Deuteronomistic David and the Chronicler's David: Competing and Contrasting Ideologies? In T. Romer, ed., *The Future of the Deuteronomistic History,67-83. Leuven.*

Gordon, R.P. 1994. In Search of David: The David Tradition in Recent Study. In A.R. Millard, J. K. Hoffmeier, and D, W Baker, eds *'Faith, Tradition, and history, 285-95* Winona Lake.

Knoppers, G. N. 1998. David's Relation to Moses: 'The Contexts, Content and Conditions of the Davidic Promises. In J. Day; ed., *King and Messiah in Israel and the Ancient Near East, 91 - 118.* Sheffield.

Lohfink, N. 2000. Which Oracle Granted Perdurability to the Davidides? A Textual Problem in 2 Kings 8:19 and the Function of the Dynastic Oracle in the Deuteronomistic Work. In G. N, Knoppers and J. G. McConville, eds., *Reconsidering Israel and Judah: Recent Studies on the Deuteronomistic History, 421-43.* Winona Lake.

McKenzie, S. L. 1999. Why Didn't David Build the Temple? The History of a Biblical Tradition. In M. P. Graham, R. R. Marrs, and S. L. McKenzie, eds., *Worship and the Hebrew Bible, 204-24.* Sheffield.

——— *.2001.* The Typology of the Davidic Covenant. In A.J. Dearman and P. M. Graham, eds., *The Land That I Will Show You: Essays in History and Archaeology of the Ancient Near East in Honour of J. Maxwell Miller, 152-78.* Sheffield.

Na'aman, N. 1996. Sources and Composition in the History of David. In v: Fritz and Ph. Davies, eds., *The Origin of the Ancient Israelite States, 170-86.* Sheffield.

Peckham. B.1985. *The Deuteronomistic History of Saul and David, Zeitschrift fur die alttestamentliche Wissenschaft 97: 190-209.*

Rofe, A. 2000. The Reliability of the Source About David's Reign: An Outlook from Political Theory. In E. Blum, ed. *Mincha, Festgabe fur Rolf Rendtorff zum. 75, 217-27. Neukirchen-Vluyn.*

Rudman, D. 2000. The Commissioning Stories of Saul and David as Theological Allegory. *Vetus Testamentum 50; 519-30.*

Van der Toom, K., and C. Houtman. 1994. David and the Ark. *Journal of Biblical Literature 113:209-21.*

General books on Solomon

Handy, L. K., ed. 1997. *The Age of Solomon, Scholarship at the Turn of the Millennium.* Leiden.

Tarjiano, P.A. 2002. *Solomon the Esoteric King: From King to Magus, Development of a Tradition.* Leiden.

Selected articles on Solomon

Brettler, M. 1991. The Structure of I Kings I-II. *Journal for the Study of the Old Testament 49:87 - 97.*

Frisch, A. 1991. Structure and Its Significance: The Narrative of Solomon's Reign (1 Kings 1-12:24). *Journal for the Study of the Old Testament 51: 3-14*

———. *1997.* A Literary and Theological Analysis of the Account of Solomon's Sins (1 Kings 11: 1-8). Shnaton *11: 167-79.*

Knoppers, G. N. 1997.Ptayer and Propaganda: Solomon's Dedication of the Temple and the Deuteronomistic Program. *Catholic Biblical Quarterly 57:228-34.*

Na'aman, N. 1997. Sources and Composition in the History of Solomon. In L. K. Handy, ed., *The Age of Solomon: Scholarship in the Turn of the Millennium· 57-80.* Leiden.

Sweeney, M. A. 1995. The Critique of Solomon in the Josianic Edition of the Deuteronomistic History. *Journal of Biblical Literature 114:607-22.*

Van Seters, J. 1997. Solomon's Temple: Fact and Ideology in Biblical and Near Eastern Historiography. *Catholic Biblical Quarterly. 59:45-57.*

Veijola, T. 2000. Solomon: Bathsheba's Firstborn. In G, N. Knoppers and J. G. McConville, eds., *Reconciling Israel and Judah: Recent Studies on the Deuteronomistic History, 340-57.* Winona Lake.

Traditional works on the archaeology of the united monarchy

Dever, W G. 1997. Archaeology and the "Age of Solomon": A Case Study in Archaeology and Historiography. In L. K. Handy, ed: *The Age of Solomon: Scholarship at the Turn of the Millennium 217-51* Leiden.

Stager, L., E. 2003. The Patrimonial Kingdom of Solomon. In W G. Dever and S. Gitin,

eds., *Symbiosis, Symbolism, and the Power of the Past: Canaan, Ancient Israel, and Their Neighbors from the Late Bronze Age Through Roman Palestine, 63-74.* Winona Lake.
Yadin, Y. 1970. Megiddo of the Kings of Israel. *Biblical Archaeologist 33:66-96.*

Problems with the traditional view on the archaeology of the united monarchy

Finkelstein, I. 1996. The Archaeology of the United Monarchy: An Alternative View. *Levant 28:177-87.*
———. *1999.* Hazor and the North in the Iron Age: A Low Chronology Perspective. *Bulletin of the American Schools of · Oriental Research 314:55-70.*
Finkelstein, I., and E. Piasetzky. ;2003. Recent Radiocarbon Results and King Solomon. *Antiquity 77:771-79.*
Sass, B. *The Alphabet at the Turn of the millenniums.* Tel Aviv.

Problems with the historical reconstruction of the united monarchy

Knauf, E. A. 1997. Le roi est mort, vive Ie roi! A Biblical Argument for the Historicity of Solomon. In L. K. Handy, ed., *The Age of Solomon: Scholarship at the Turn of the Millennium, 81-95.* Leiden.
Miller, M. J. 1991. *Solomon: International Potentate or Local King. Palestine Exploration Quarterly 123: 28-31.*
———. *1997.* Separating the Solomon of History from the Solomon of Legend. In L. K. Handy, ed., *The Age of Solomon: Scholarship at the Turn of the Millennium, 1-24* Leiden.
Niemann, H. M. 1997. The Socio-Political Shadow Cast by the Biblical Solomon. In L. K. Handy. ed., *The Age of Solomon: Scholarship at the Turn of the Millennium, 252-9.* Leiden.
———. *2000.* Megiddo and Solomon-A Biblical Investigation in Relation to Archaeology. Tel Aviv *27: 59-72.*
Silberman, N. A. 2003. Archaeology, Ideology, and the Search for David and Solomon. In A. G. Vaughn and A. E. Killebrew, eds. Jerusalem *in the Bible and Archaeology: The First Temple Period, 395-405.* Atlanta.

The minimalist approach

Davies, P. 1992. *In Search of "Ancient Israel."* Sheffield.
Garbini, G. 2003. *Myth and History in the Bible.* London.
Lemche, N. P. 1998. *The Israelites in History and Tradition.* London.
Thompson, T. L. 1992. *Early History of the Israelite People.* Leiden.
———. *1999. The Bible in History: How Writers Create a Past.* London.

Against the minimalist approach

Albertz, R. 2001. *An End to the Confusion? Why the Old Testament Cannot Be a Hellenistic Book! In L. L. Grabbe, ed., Did Moses Speak Attic?30-46.* Sheffield.
Dever, W G. 2001. *What Did the Biblical Writers Know and When Did They Know It? What Archaeology Can Tell Us About the Reality of Ancient Israel. Grand Rapids.*
Halpern, B. 1995· *Erasing History. Bible Review: 26-35, 47.*
Schniedewind, W .2003. Jerusalem, *the Late Judaean Monarchy and the Composition of the Biblical Texts. In A. G. Vaughn and A. E. Killebrew, Eds.* Jerusalem *in the Bible and Archeology: The First Temple Period,375-394.* Atlanta.
Hurwitz, A. 1997. *The Historical Quest for "Ancient Israel" and the Linguistic Evidence of the Hebrew Bible: Some Methodological Observations. Vetus Testamentum 47:301-15.*

CHAPTER 1. TALES OF THE BANDIT

Archaeological surveys in the highlands of Judah

Finkelstein, I. 1995. *The Great Transformation: The "Conquest" of the Highlands Frontiers and the Rise of the Territorial States. In T. E. Levy, ed., The Archaeology of Society in the Holy Land, 349-65.*

London.

Lehmann, G. 2003. *The United Monarchy in the Countryside:* Jerusalem, *Judah, and the Shephelah During the Tenth Century. In A. G. Vaughn and A. E. Killebrew, eds.*, Jerusalem *in the Bible and Archaeology: The First Temple Period, 117-62:* Atlanta.

Ofer, A. 1994. *"All the Hill Country of Judah", From Settlement Fringe to a Prosperous Monarchy. In I Finkelstein and N. Na'aman, eds., From Nomadism to. Logomachy: Archaeological and Historical Aspects of Early Israel, 92-121.* Jerusalem.

Settlement history of the Beer-sheba Valley

Herzog, Z. 1994. The Beer-Sheba Valley: From Nomadism to Monarchy. In I. Finkelstein and N. Na'aman, eds., *From Nomadism to Monarchy: Archaeological and Historical Aspects of Early Israel, 122-49.* Jerusalem.

———. *2002.* The Fortress Mound at Tel Arard: An Interim Report. *Tel Aviv 29:3-109,* especially *84-102.*

Settlement patterns in the Shephelah

Dagan, Y. 2004. Results of the Survey: Settlement Patterns in the Lachish Region. In D. Ussishkin, *The Renewed Archaeological Excavations at Lachish (1973-1994), vol. V; 2672-90.* Tel Aviv.

Canaan in the Amarna period

Bunimovitz, S. 1994. The Problem of Human Resources in Late Bronze Age Palestine and Its Socioeconomic Implications. *Ugarit-Forschungen 261-20.*

Finkelstein, I. 1996. The Territorio-Political System of Canaan in the Late Bronze Age. *Ugarit-Forschungen 28:221-55.*

Na'aman, N. 1997. The Network of Canaanite Late Bronze Kingdoms and the City of Ashdod. *Ugarit-Forschungen 29:599-626.*

Late Bronze Age Jerusalem

Na'aman, N. 1996. The Contribution of the Amarna Letters to the Debate on Jerusalem's Political Position in the Tenth Century BCE. *Bulletin of the American School... of Oriental Research 304: 17-27.*

The Shosu and the Apiru

Givcon, R. 1971. Les bédouin Shosou des document égyptiens. Leiden.

Greenberg, M. 1955. *The Hab/piru. New Haven.*

Na'aman, N. 1986. Habiru and Hebrews: The Transfer of a Social Term to the Literary Sphere. *Journal of Near Eastern Studies 45: 271 - 88.*

Rainey, A. F. 1995. Unruly Elements in Late Bronze Canaanite Society. In D. P. Wright, D. N. Freedman, and A. Hurvitz, eds., *Pomegranates and Golden Bells, 481-96.* Winona Lake.

Rowton, M. B. 1976. Dimorphic Structure and the Problem of the *Apiru-Ibrim. Journal of Near Eastern Studies 35:13-20.*

Ward, W A. 1972. The Shasu "Bedouin": Notes on a Recent Publication. *Journal of the Economy and Social History of the Orient 15:3 5-60.*

Banditry

Hobsbawm, E. J. 1985. *Bandits.* Harmondsworth.

Heroic tales in the second book of Samuel

Isser, S. 2003. *The Sword of Goliath.* Atlanta.

CHAPTER 2. THE MADNESS OF SAUL

Saul in biblical and historical studies

Edelman, D. 1988. Saul's Journey Through Mt. Ephraim and Samuel's

Ramah (1 Sam. 9:4-5, 10:2-5). *Zeitschrift des Deutschen Palästina-Vereins 104:44-58.*
———. *1990.* The Deuteronomist's Story of King Saul: Narrative Art or
Editorial Product? In C. Brekelmans andJ. Lust, eds., *Pentateuchal and Deuteronomistic Studies, 207-20. Leuven.*
———. *1991. King Saul in the Historiography of Judah.* Sheffield.
———. *1996.* Saul hen Kish in History and Tradition. In V. Fritz and Ph. R. Davies, eds., *The Origin of the Ancient Israelite States, 142-59.* Sheffield.
Gunn, D. 1981. A, Man Given Over to Trouble: The Story of King Saul. In B. O. Long, ed. *Images of Man and God: Old Testament Short Stories in Literary Focus, 89-112.* Sheffield.
Humphreys, W L. 1980. The Rise and Fall of King Saul, A Study of an Ancient Narrative Stratum in I Samuel. *Journal for the Study of the Old Testament 18:74-90.*
Long, V P. 1989. The Reign and Rejection oi King Saul*: A Cas for Literary and Theological Coherence.* Atlanta.
———.*1994·* How Did Saul Become King? Literary Reading and Hysterical Reconstruction. In A. R. Millard, J. K. Hoffmeier and D. W Baker, eds., *Faith, Tradition, and History, 271-84.* Winona Lake.
Na'aman, N. 1992. The Pre-Deuteronomistic Story of King Saul and Its Historical Significance. *Catholic Biblical Quarterly S4:638-58.*
Peckham, B. 1985. The Deuteronomistic History of Saul and David. *Zeitschrift fur die alttestamentliche Wissenschaft 97:190-209.*
Scheffler, E. 2000. *Saving Saul from the Deuteragonist. In J. C. de Moor and H. F. Van Rooy, eds., Past, Present, 'Future: The Deuteronomistic History and the Prophets, 263-71.* Leiden.
Van der Toorn, K 1993. Saul and the Rise of Israelite State Religion. *Vetus Testamentum 43:519-42.*
Walters, S. D. 1991. Saul of Gibeon. *Journal for the Study of the Old Testament 52:61-76.*
White, M. 2000. "The History of Saul's Rise": Saulide State Propaganda in 1 Samuel I-14. In S. M. Oly.an and R. C. Culley, eds., *"A Wise and Discerning Mind": Essays in Honor of Burke O. Long, 271-92. Providence.*
———. *2001.* Searching for Saul. What We Really Know About Israel's First King. *Biblical Research 17:22-29, 52-53.*

The territory of Saul
Edelman, D. 1985. The "Ashurites" of Eshbaal's State (2 Sam. 2.9). *Palestine Exploration Quarterly 117:85-91.*
Na'aman, N. 1990. *The Kingdom of Ishbaal. Biblische Notizen 54:33- 37.*

Archaeological surveys in the northern highlands
Finkelstein, I. 1995. The Great Transformation: The "Conquest" of the Highlands Frontiers and the Rise of the Territorial States. In T. E. Levy, ed. *The Archaeology of Society in the Holy Land, 349--65.* London.
Finkelstein, I., and Y. Magen, eds. 1993. *Archaeologies Survey of the Hill Country of Benjamin.* Jerusalem. (Hebrew With English summaries.)
Zertal, A. 1994 "To the Land of the Perizzites and the Giants"; On the Israelite Settlement in the Hill Country of Manasseh. In I.: Finkelstein and N. Na'aman, eds., *From Nomadism to Monarchy: Archaeological and Historical Aspects of Early Israel, 47-69.* Jerusalem.

Settlement patterns in Jordan
Finkelstein, T. 1998. From Sherds to History: Review Article. *Israel Exploration Journal 48:120-31.*

Shiloh
Finkelstein, I., ed. 1993. *Shiloh: The Archaeology of a Biblical Site.* Tel Aviv.

Khirbet et-Tell and Khirbet Raddana

Callaway, J. A. 1976. Excavating Ai (et-Tell): 1964-1972. *Biblical Archaeologist, 39:18-30.*

Callaway, J. A., and R. E. Cooley. 1971. A Salvage Excavation at Raddana in Birth *Bulletin of the American Schools of Oriental Research .201:9- 19·*

Lederman, Z. 1999. *An Early Iron Age ·Village at Kbirbet Raddana: The Excavations of Joseph A. Callaway. Ann Arbor*

The Shishak (Sheshonq I) campaign

Ahlstrom, G. W 1993- Pharaoh Sheshonq's Campaign to Palestine. In A. Lemaire and B. Otzen, eds. *History and Traditions of Early Israel, 1 -16.* Leiden.

Kitchen, K A. 1986. *The Third Intermediate Period in Egypt (1100-650 BCE.),432-47.* Warminster.

Mazar, B. 1957. *The Campaign of Pharaoh Shishak to Palestine. Vetus Testamentum Supplement 4:57-66.*

Redford, D. B. 1992. *Egypt, Canaan and Israel in Ancient Times, 312 - 15.* Princeton.

The tenth century BCE, archaeology, and Shishak: a revised view

Finkelstein, I. 2002. The Campaign of Sheshonq I to Palestine: A Guide to twelfth Century BCE Polity. *Zeitschrift des Deutschen Palästina-Vereins 118:109-35·*

———. *2003.* City-States to States: Polity Dynamics in the 10th-9th Centuries BCE. In W G. Dever and S. Gitin, eds., *Symbols, Symbolism, and the Power of the Past: Canaan, Ancient Israel, and Their Neighbors from the Late Bronze Age Through Roman Palestine, 75-84.* Winona Lake.

Gibeon as the huh of the Saulides

Blenkinsopp, J. 1974. Did Saul Make Gibeon His Capital? *Vetus Testamentum. 24: 1-24.*

Walters, S. D. 1991. Saul of Gibeon. *Journal for the Study of the Old Testament. 52:61-76.*

The apology of David

Dick. E. 2004. The "History of David's Rise to Power" and the Neo Babylonian Succession Apologies. In' B. R. Batto and K. L. Roberts; ds., *David and Zion: Biblical Studies in Honor of J. J. M. Roberts, 3-19.* Winona Lake.

Halpern, B. Z00L *Davide's Secret Demons: Messiah, Murderer, Traitor, King, 73-103. Grand Rapids.*

Ishida, T. 1991.The Succession Narrative and Esarhaddon's Apology. In M. Cogan and I. Ephal, eds., *Ah, Assyria ... Studies in History and Ancient Near Eastern Historiography Presented to Hayim Tadmor, 166-73.* Jerusalem.

McCarter, K. P. 1980. *The Apology of David. Journal of Biblical Literature 99:489 - [illegible]*

CHAPTER 3. MURDER, LUST, AND BETRAYAL

"The History of David's Rise" and the "Succession History".

de Pury, A., and T. Romer, eds. *2000. Die sogenannte Thronfilgegescbicbte Davids: Neue Einsichten und Anfragen. Freiburg.*

Keys, G. 1996. *The Wages of Sin: A Reappraisal of the "Succession Narrative".* Sheffield.

McKenzie, S. L. 2000. The So-Called Succession Narrative in the Deuteronomistic History. In A. de Pury and T. Romer, eds., *Die sogenannte Thronfilgegescbicbte Davids: Neue Einsichten und Anfragen,123-35.* Freiburg.

Rost, L. 1982. *The Succession to the Throne of David.* Sheffield.

Vail Seters, J. 2000. The Court History and DtrH: Conflicting Perspectives on the House of David. In A. de Pury and T. Römer, eds., *Die sogenannte Thronfilgegescbicbte Davids: Neue Einsichten Und Anfragen, 70-93.* Freiburg.

Views on the question of the tenth century BCB in Jerusalem

Cahill, J., M. 2003. Jerusalem in the Time of the United Monarchy: The Archaeological Evidence. In A. G. Vaughn and A. E. Killebrew, eds., Jerusalem *in the Bible and Archaeology: The First Temple Period, 13-80.* Atlanta.

Finkelstein, I. 2003. The Rise of Jerusalem and Judah: The Missing Link.

In A. G. Vaughn and A. E. Killebrew, eds., Jerusalem *In the Bible and Archaeology: The First Temple Period, 81-101.* Atlanta.

Steiner, M. 2003. The Evidence from Kenyon's Excavations in Jerusalem: A Response Essay. In A, G. Vaughn and A. E. Killebrew, eds., Jerusalem *In the Bible and Archaeology: The First Temple Period, 347-63.* Atlanta.

Ussishkin, D. 2003. Solomon's Jerusalem: The Text and the Facts on the Ground. In A. G. Vaughn and A. E. Killebrew, eds., Jerusalem *In the Bible and Archaeology: The First Temple Period, 103-15.* Atlanta.

State formation in Israel

Finkelstein, L 1999. State Formation in Israel and Judah: A Contrast in Context, a Contrast in Trajectory. *Near Eastern Archaeology 62:35-52.*

Samaria, Jezreel, and other Omride cities

Finkelstein, T. 2000. Omride Architecture. *Zeitschrift des Deutschen Palästina-Vereins 116:1 14-38.*

Franklin, N. 2003. *The Tombs df the Kings of Israel; Two Recently Identified 9th-Century Tombs from Omride Samaria. Zeitschrift des Deutschen Palästina-Vereins 119:1-11.*

———. *2004. Samaria: From the Bedrock to the Omride Palace. Levant 36: 89-202.*

———. *Forthcoming. Correlation and Chronology: Samaria and Megiddo Redux. In 'L Levy and T. Higham, eds -, Radiocarbon Dating and the Iron Age of the Southern Levant: The Bible and Archaeology Today.* London.

Kenyon, K. 1973. *Royal Cities of the Old Testament, 71-89.* New York.

Ussishkin, D. 1997. *Jezreel, Samaria and Megiddo; Royal Centers of Omri and Ahab. Vetus Testamentum Supplement 66:351-64.*

Williamson, H.G. *M. 1996. Tel Jezreel and the Dynasty of Omri. Palestine Exploration Quarterly 128:41-51.*

Woodhead, J.1998. *Royal Cities in the Kingdom of Israel. In J. Goodnick Westerholz, ed., Capital Cities: Urban Planning and Spiritual Dimensions, 111-16.* Jerusalem.

History of the Omride kingdom

Timm, S. 1982. *Die Dynastie Omri. Göttingen.*

The rise of urban· centers in Judah in the ninth century

Bunimovitz, S., and Z. Lederman. 2001. Iron Age Fortifications of Tel Beth Shemesh: *A 199 - 2000 Perspective. Israel Exploration Journal 51 :121-47.*

Finkelstein, I. 2001. The Rise of Jerusalem and Judah: The Missing Link. Levant *33:105-15.*

Herzog, Z., and L. Singer-Avitz. 2004. *Redefining the Centre: The Emergence of State in Judah. Tel Aviv 31:20-44*

Ussishkin, D. 2004 *The Renewed Archaeological Recurvations at Lachish (1973-1994). vol, 78-83.* Tel Aviv.

The role of the queen mother

Knauf, E. A. 2002. The Queens' Story: Bathsheba, Maacah, Athaliah and the "Historia of Early Kings." *Lectio Difficilior: European www.lectio.unibe.ch/022/axel.htm).*

The Arameans and the kingdom of Damascus

Dion, P. E. 1997. *Les Araméans a l'âge du few.* Paris.

Lemaire, A. 1991. Hazaël de Dimas, roi d'Aram. In D. Charpin and E, Joannès, eds *Marchands, diplomates et empereurs, 91-108.* Paris.

Lipinski, E. 2000. *The Aramaeans: Their Ancient History, Culture, Religion.* Leuven.

Na'aman, N.1997. Historical and Literary Notes on theExcav3tions of. Tel Jezreel. *Tel Aviv. 24: 122-28.*

The Tel Dan inscription
Biran, A., and J. Naveh. 1995. The Tel Dan Inscription: A New Fragment. *Israel Exploration Journal 45: 1-18.*
Halpern, B, 1994. The Stela from Dan: Epigraphic and Historical Considerations. *Bulletin of the American Schools of Oriental Research. 296:63-80.*
Lemaire, A. 1998. The Tel Dan Stela as a Piece of Royal Historiography. *Journal for the Study of the Old Testament 81:3-14.*
Na'aman, N. 2000. Three Notes on the Aramaic inscriptions from Tel Dan. *Israel Exploration Journal 50:92-104.*
Schniedewind, W: M. 1996.Tel Dan Stela: New Light on Aramaic and Jehu's Revolt. *Bulletin of the American Schools of_ Oriental Research 302:75-90·*

A revised view on the literary Sources of the Davidic conquests
Na'aman, N. 2002. In Search of Reality Behind' the Account of David's Wars with Israel's Neighbours. *Israel Exploration Journal 52:200-224.*

History and archaeology of Gath
Maeir, A., and C.S. Ehrlich. 2001. Excavating J Philistine Gath: Have We Found Goliath's Hometown? *Biblical Archaeology Review 27 (6):22.-31.*
Schniedewind, W. M. 1998, The Geopolitical History of Philistine Gath. *Bulletin of the American Schools of Oriental Research 309:69-77.*

CHAPTER 4. TEMPLE AND DYNASTY

Assyrian military and economic activity
Finkelstein, I. 1992. Horvat Qitmit: and the Southern Trade in the Late Iron Age II. *Zeitschrift des Deutschen Palästina-Vereins 108:156-70.*
Tadmor, H. -1966. Philistia Under Assyrian Rule. *Biblical Archaeologist. 29:86 -:02.*

The assault of Israel and Damascus on Judah
Cazelles, H. 1991. La guerre syro-ephraimite dans le context de la politique intonational. In D. Garrone, cd., *Storia e tradizioni di Israele, 31:48. Brescia.*

Modern archaeological research in Jerusalem
Avigad; N. 1984- *Discovering* Jerusalem. *31-60. Oxford.*
Geva, H., cd. 2000. *Ancient* Jerusalem *Revealed.* Jerusalem.
Steiner, M. L. 2001 *Excavations by Kathleen M. Kenyon in* Jerusalem *196i - :96I, vol. III. The Settlement in the Bronze and Iron Ages.* London.
Vaughn, A. G., *and A. E. Killebrew, eds. Jerusalem in the Bible and Archaeology: The First Temple Period.* Atlanta.

The expansion of Jerusalem
Broshi, M. 1974. The Expansion of Jerusalem in the Reigns of Hezekiah and Manasseh. *Israel Exploration Journal 24:21-26.*
Geva, 1-1. 2003. Western Jerusalem at the End of the First Temple Period in Light of the Excavations in the Jewish Quarter. In A. G. Vaughn and A. E. Killebrew, eds., Jerusalem *in the Bible and Archaeology: The First Temple Period, 183-208.* Atlanta.
Reich, R., and E. Shukron. zo03. *The Urban Development of* Jerusalem *in the Late Eight Century RCE. In A. G. Vaughn and A. E. Killebrew, eds.,* Jerusalem *in the Bible and Archaeology: The First Temple Period, 20 - 18.* Atlanta.

Iron Age cemeteries in Jerusalem
Barkay, G., A. Kloner, and A. Mazar. 1994. The Northern Necropolis of.
Jerusalem During the First Temple Period. In H. Geva, ed., *Ancient* Jerusalem *Revealed, 11 -*

2 7. Jerusalem.
Ussishkin, D. 1993. *The Village of Silwane: The necropolis from the Period of the Judean Kingdom.* Jerusalem.

Olive oil economy in Judah
Finkelstein, I., and N. Na'aman. 2004. The Judahite Shephelah in the Late 8th and Early 7th Centuries BCE. Tel Aviv *31:60-79.*

Lmlk storage jars
Na'aman, N. 1986. Hezekiah's Fortified Cities and the LMLK Stamps. *Bulletin of the American Schools of Oriental Research 261:5-21.*
Vaughn, A. G. 1999. *Theology, History, and Archaeology in the Chronicler's Account of Hezekiah.* Atlanta

The expansion of writing and literacy in Judah
Jamieson-Drake, D. W 1991. *Scribes and Schools in Monarchic Judah: A Socio Archaeological Approach.* Sheffield.
Schniedewind, W. 2003. Jerusalem, the Late Judaean Monarchy and the Composition of the Biblical Texts. In A. G. Vaughn and A. E. Killebrew, ds., Jerusalem *in the Bible and Archaeology: The First Temple Period. 375 - 4-* Atlanta.
———. *2004. How the Bible Became a Book: The Textualization of Ancient Israel. Cambridge.*

Data on population changes in the northern highlands (Iron II to Persian period)
Finkelstein, 1., Z. Lederman, and S. Bunimovitz. 1997. *Highlands of Many Cultures: The Southern Samaria Survey: The Sites, 898-906.* Tel Aviv.
Zertal, A. 1989. The Pahwah of Samaria (Northern Israel) During the Persian Period. Types of Settlement, Economy; History and New Discoveries. *Transeuphratène 2:9-30.*

Deportees settled in the territories of the northern kingdom.
Na'aman, N., and R. Zadok. 1988. Sargon II's Deportations to Israel and Philistia. *Journal of Cuneiform Studies 40:36-46.*
———. 2000. Assyrian Deportations to the Province of Samaria in the Light of the Two Cuneiform Tablets from Tel Hadid. *Tel Aviv. 27: 159-88.*

The cult reform of Hezekiah
ACCEPTING ITS HISTORICITY
Haran, M. 1978. *Temples and Temple-Service in Ancient Israel-An Inquiry into the Character of Cult Phenomena and the Historical Setting of the Priestly School. Oxford.*
Lowery, R. H. 1991. *The Reforming Kings: Cults and Society in First Temple Judah.* Sheffield.
McKay, J. 1973. *Religion in Judah Under the Assyrians. Naperville.*
Weinfeld, M. 1964. *Cult Centralization in Israel in the Light of a Neo-Babylonian Analogy. Journal of Near Eastern Studies 23:202-12.*

REJECTING ITS HISTORICITY
Fried, L.2002. The High Places (Bamôt) and the Reforms of Hezekiah and Josiah: An Archaeological Investigation. *Journal of the American Oriental Society 122:1-29.*
Handy, L. 1988. Hezekiah's Unlikely Reform. *Zeitschrift für die altestamentliche Wissenschaft 100:111-15.*
Na'aman, N. 1995. The Debated Historicity of Hezekiah's Reform in the Light of Historical and. Archaeological Research. *Zeitschrift für die alttestamentliche Wissenschaft 107:179-95.*

Archaeological evidence for the abandonment of cult places in the late eighth century
Aharoni, Y. 1974. The Horned Altar at Beersheba. *Biblical Archaeologist 37:2 - 23.*
Herzog, Z. 2001. The Date of the Temple at Arad: Reassessment of the Stratigraphy and the Implications for the History of Religion in Judah. In A. Mazar, ed., *Studies in*

the Archaeology of the Iron Age in Israel and Jordan, 156-78. Sheffield.

Ussishkin, D. 2003. The Level V «Sanctuary" and "High Place" at Lachish. In C. G. den Hertog, U. Hübner, and S. Münger, eds., *Saxa Loquentur: Studien zur Archäologie Palästinas/Israels. Festschrift für Volkmar Fritz, 205-11. Münster.*

Influence of Assyrian chronicles on biblical history writing

Van Seters, J. 1990. Joshua's Campaign of Canaan and Near Eastern Historiography. *Scandinavian Journal of the Old Testament 4:1- 12.*

———. *1997.* Solomon's Temple: Facts and Ideology in Biblical and Near Eastern Historiography. *Catholic Biblical Quarterly 59:45-57.*

Hezekiah s revolt

Grabbe, L. L., cd. 2003. *"Like a bird in a cage": The Invasion of Sennacherib in 701 BCE.* Sheffield.

Halpern, B. 1991. Jerusalem and the Lineages in the Seventh Century BCE: Kinship and the Rise of Individual Moral Liability. In B. Halpern and D. W. Hobson, eds., *Law and Ideology in Monarchic Israel, 11-107.* Sheffield.

Lachish and its conquest by Sennacherib

Ussishkin, D. 1982. *The Conquest of Lachish by Sennacherib.* Tel Aviv.

CHAPTER 5. SOLOMON'S WISDOM?

The archaeology of the days of Manasseh

Finkelstein, I. 1994. The Archaeology of the Days of Manasseh. In M. D. Coogan, J. C. Exum, and L. E. Stager, eds., *Scripture and Other Artifacts: Essays on the Bible and Archaeology in Honor of Philip J. King, 169-87. Louisville.*

Settlement activity in the Judean Desert

Cross, F. M., and J. T. Milik. 1956. Explorations in the Judean Buqeah. *Bulletin of the American School of Oriental Research 142:5-17.*

Stager, L. E. 1976. Farming in the Judean Desert. *Bulletin of the American School of Oriental Research 221: 145-58.*

The six-chambered "Solomonic" gates

Yadin, Y. 1970. Megiddo of the Kings of Israel. *Biblical Archaeologist 33:66-96.*

Evidence against the six- chambered gates theory

Ussishkin, D. 1980. Was the "Solomonic" City Gate at Megiddo Built by King Solomon? *Bulletin of the American Schools of Oriental Research 239: 1 - 18.*

———. *1990.* Notes on Megiddo, Gezer, Ashdod, and Tel Batash in the Tenth to Ninth Centuries BC. *Bulletin of the American School of Oriental Research 277/278: 71-91.*

Hazor in the ninth and eighth centuries

Finkelstein, I. 1999. Hazor and the North in the Iron Age: A Low Chronology Perspective. *Bulletin of the American Schools of Oriental Research 314:55-70.*

The debate over the dating of the Iron Age strata

Ben-Tor, A: 2000. Hazor and Chronology of Northern Israel: A Reply to Israel Finkelstein. *Bulletin of the American School" of Oriental Research 317:9-15.*

Boaretto, E., A J. T. Jull, A. Gilboa, and 1. Sharon. 2005. Dating the Iron Age I/II Transition in Israel: First Intercomparison Results. *Radiocarbon 47:39-55.*

Bruins, H. J. J. van der Plicht, and A. Mazar. 2003. ^{14}C Dates from Tel Rehov: Iron Age Chronology, Pharaohs, and Hebrew Kings. *Science 300:315-18.*

Finkelstein, 1., and E. Piasetzky. 2003. Recent Radiocarbon Results and King Solomon. *Antiquity 77:771-79.*

———. *2003.* Wrong and Right; High and Low- ^{14}C Dates from Tel Rehov and Iron Age

Chronology. *Tel Aviv 30: 283-95.*
———. *2003.* Comment on ^{14}C Dates from Tel Rehov: Iron-Age Chronology, Pharaohs, and Hebrew Kings." *Science 302:568b.*
Gilboa, A., and I. Sharon. 2003. An Archaeological Contribution to the Early Iron Age Chronological Debate: Alternative Chronology for Phoenicia and Their Effects on the Levant, Cyprus, and Greece. *Bulletin of the America Schools of Oriental Research 332:7-80.*
Levy, T., and T Higham, eds. 2005. *Radiocarbon Dating and the Iron Age of the Southern Levant: The Bible and Archaeology Today.* London.
Mazar, A. 1997. Iron Age Chronology: A Reply to I. Finkelstein. *Levant 29:55-65.*

The Solomonic districts

Na'aman, N. 2002. Solomon's District List (1 Kings 4:7-19) and the Assyrian Province System in Palestine. *Ugarit-Forschungen 33:419-36.*

Late monarchic realities behind the Solomon narrative

Knauf, E. A. 1991. King Solomon's Copper Supply. In E. Lipinski, ed. *Phoenicia and the Bible, 167-86.* Leuven.

The Megiddo stables

Cantrell, D. 2005_ Stable Issues. In I. Finkelstein, D. Ussishkin, and B. Halpern, eds., *Megiddo IV: The 1998-2002 Seasons.* Tel Aviv.
Cantrell, D., and I. Finkelstein. 2005. A Kingdom for a, Horse: The Megiddo Stables and Eighth Century Israel. In I. Finkelstein, D. Ussishkin, and B. Halpern, eds., *Megiddo IV: The 1998-2002 Seasons.* Tel Aviv.
Pritchard, J. B. 1970. The Megiddo Stables: A Reassessment. In J. A. Sanders, ed., *Near Eastern Archaeology in the Twentieth Century, 268-75. Garden City.*
Yadin, Y. 1976. The Megiddo Stables. In F. M. Cross, W. E. Lemke, and P. D. Miller, eds., *Magnalia Dei: The Mighty Acts of God. Essays on the Bible and Archaeology in Memory of G. E. Wright, 249-52.* Garden City.

Horses in Assyria and Israel

Dalley, S. 1985. Foreign Chariotry and Cavalry in the Armies of Tiglath pileser III and Sargoni II. *Iraq 47:31-48.*
Heidorn, L. A. 1997. *The Horses of Kush. Journal of Near Eastern Studies 56:105-14.*

The ancient Arabs

Ephal, T. 1982. *The Ancient Arabs.* Jerusalem.

The rise of Edom

Bienkowslci, P., ed. 1992. *Early Edom and Moab: The Beginning of the Iron Age in Southern Jordan.* Sheffield.
———. *1994.* The Origin and Development of Edom. In S. Mazzoni, ed. *Nuove fondazioni nel vicino oriente antico: Realta e ideologia, 263-68. Pisa.*

Camels at Tell Jemmeh

Wapnish, E 1984. The Dromedary and Bactrian Camel in Levantine Historical Settings: The Evidence from Tell Jemmeh. In J. Clutton-Brock and C. Grigson, eds., *Animals and Archaeology 3: Early Herders .and their Flocks, 171-200. BAR International Series 202. Oxford.*

The kingdom of Sheba

Simpson, J., ed. 2002. *Queen of Sheba: Treasures from Ancient Yemen.* London.

King Hiram of Tyre
Green, A. R. 1983. David's Relations with Hiram: Biblical and Josephan Evidence for Tyrian Chronology. In C. L. Meyers and M. O'Connor, *eds., The Word of the Lord Shall Go Forth, 373-97.* Winona Lake.
Mendels, D. 1998. Hellenistic Writers of the Second Century BCE on the Hiram-Solomon Relationship. *In Identity, Religion and Historiography: Studies in Hellenistic History, 379-93.* Sheffield.

Glueck on Solomon's copper at Ezion-geber
Glueck, N. 1940. The Third Season of Excavation at Tell el-Kheleifeh. *Bulletin of the American Schools of Oriental Research 79:2-18.*
———. *1965. Ezion-geber. Biblical Archeologist 28:70-87.*

A reevaluation of the finds from Tell eL Kheleifeh
Pratico, G.D. 1993. *Nelson Glueck's 1938-1940 Excavations at Tel el-kheleifeh: A Reappraisal.* Atlanta.

The Timna mines - a current view
Rothenberg, B. 1972. *Timna: valley of the Biblical Copper- Mines. Aylesbury.*

The copper mines at Wadi Feinan
Hauptmann, A., and G. Weisgerber. 1992. Periods of Ore Exploitation and Metal Production in the Area of Feinan, Wadi Arabah, Jordan. *Studies in the History and Archaeology of Jordan 4:61 - 6.*
Knauf, E. A., and C. J. Lenzen. *1987. Edomite Copper Industry. Studies in the History and Archaeology of Jordan 3,83-88.*

CHAPTER 6. CHALLENGING GOLIATH

The figure of King Mnnasseh in the Deuteronomistic History
Ben-Zvi, E. 1991. The Account of the Reign of Manasseh in II Reg 21:1-18 and the Redactional History of the Book of Kings. *Zeitschrift fur die alttestaillcntliche Wissenschaft 103:355-74.*
Eynikel, E. 1997. The Portrait of Manasseh and the Deuteronomistic History. In M. Vervene and J. Lust, eds, *Deuteronomy and Deuteronomic Literature, 233-61. Leuven.*
Halpern, B. 1998. Why Manasseh Was Blamed for the Babylonian Exile: The Revolution of a Biblical Tradition. *vetus Testamentum 48:473- 514.*
Schniedewind, W. M. 1991. The Source Citations of Manasseh: King Manasseh in History and Homily. *Vitus Testamentum 41:450-61.*
Van Keulen, P. 1996. *Manasseh Through the Eyes of the Deuteronomists,* Leiden.

The Deuteronomistic History
Cross, E M. 1973. *Canaanite Myth and Hebrew Epic, 274-88. Cambridge.*
de Pury, A., T Romer, and J.D. Macchi, eds. 2000. *Israel Constructs Its History.* Sheffield.
Knoppers, G. N., and]. G. McConville, eds. 2000. *Reconsidering Israel and Judah: Recent Studies on the Deuteronomistic History.* Winona Lake.
McKenzie, S. L., and M. P. Graham, eds. 1994. *The History of Israeli's Traditions: The Heritage of Martin Noth.* Sheffield.
Romer, T., ed 2000. *The Future of the Deuteronomistic History. Leuven.*
Na'aman, N. Forthcoming. The Past That's 'Hopes the Present.
Noth, M. 1981. *The Deuteronomistic History.* Sheffield.

King Josiah: the biblical text, history, and messianic expectations
Eynikel, E. 1996. *The Reform of King Josiah and the Composition of the Deuteronomistic History.* Leiden.
Laato, A 1992. *Josiah and David Redivivus: The Historical Josiah and the Messianic Expectation of Exilic and Postexilic Times, Stockholm.*

Na'aman, N. 1991. The Kingdom of Judah Under Josiah. *Tel Aviv 18:3-71.*
Sweeney, M. 2002. *King Josiah of Judah: The Lost Messiah of Israel. Oxford.*

The geopolitical situation in the late seventh. century

Milamat, A. 1988.The Kingdom of Judah Between Egypt and Babylon: A Small State Within a Great Power Confrontation. In W. Classen, ed. *Text and Context, 117-29.* Sheffield.
Redford, D; B. 1992. *Egypt, Canaan and Israel in Ancient Times, 430-69* Princeton.

Distribution of late-seventh-century Judahite finds and the borders of Judah

Kletter, R. 1999. Pots and Polities: Material Remains of Late Iran Age Judah in Relation to Its Political Borders. *Bulletin of the American Schools of Oriental Research 314:19 - 54*

Ekron: excavations, history, the Ekron inscription, and the oil industry

Eitam, D. 1996. The Olive Oil Industry at Tel Miqne-Ekron in the Late Iron Age. In D. Eitam and M. Heltzer, eds., *Olive Oil in Antiquity, 67-96. Padova.*
Gitin, S. 1995.Tel Miqne-Ekron in the 7th Century BCE.: The Impact of Economic Innovation and Foreign Cultural Influences on a Neo-Assyrian Vassal City-State. In S. Gitin, ed. *Recent Excavations in Israel: A View to the West,61-79 - Dubuque.*
———.*1996.* Tell Miqne-Ekron in the 7th century BCE.: City Plan Development and the Oil Industry. In D. Eitam and M. Reltzer, eds., *Olive Oil in Antiquity, ·11 - 42. Padova.*
Gitin, S., T. Dothan; and J. Naveh. 1997. A Royal Dedicatory Inscription from Ekron. *Israel Exploration Journal 47:1 -16.*
Na'aman, N. 2003. Ekron Under the Assyrian and Egyptian Empires. *Bulletin of the American Schools of Oriental Research 332:81-91.*
Naveh, J. 1998. Achish-Ikausu in the Light of the Ekron Dedication. *Bulletin of the American Schools of Oriental Research 310:35-37·*

The Philistines in the Bible

Ehrlich, C. S. 1996. *The Philistines in Transition. A History from ca. 1000-730 BCE.* Leiden.

Machinist, P.2000. Biblical Traditions: The Philistines and Israelite History. In E. Oren, ed., *The Sea Peoples and Their World: A Reassessment,53-83.* Philadelphia.

Biblical Philistines and later Greek traditions

Finkelstein, 1. 2002. The Philistine in the Bible: A Late-Monarchic Perspective. *Journal of the Study of the Old Testament 27:131 - 67.*
Yadin, A. 2004. *Goliath's Armor and Israelite Collective Memory. Vetus Testament 54:373-95.*

The biblical expression "until this day"

Geoghegan, J. C. 2003. "Until this Day" and the Preexilic Redaction· of the Deuteronomistic History. *Journal of Biblical Literature 122 :201 - 27.*

Greek arms and warfare

Hansen, V. D., ed. 1991. *Hoplites: The Classical Greek Battle Experience.*
London.
Snodgrass, A. M. "964' *Early Greek Armour and Weapons from the End of the Bronze Age to 600 BCE.* Edinburgh.
———. *1967. Arms and Armour of the Greeks.* London.

Mesad Hasbavyabtt

Fantalkin, A. 2001. Mesad Hasbavyabtt: Its Material Culture and Historical Background. *Tel Aviv 283-165*

The Kittim

Aharoni, Y: 1981. *Arad Inscriptions. 12-13.* Jerusalem.

Dian, P.-E. 1992. Les KTYM de Tel Arad: Grecs ou Phéniciens? *Revue Biblique 99:70-97.*

Heltzer, M. 1988. Kition According to the Biblical Prophets and Hebrew Ostraca from Arad. *Report of the Department of Antiquities, Cyprus.167-71.* Nicosia.

CHAPTER 7. PATRON SAINTS OF THE TEMPLE

The Neo-Babylonian period

Lipschits, O. Forthcoming. *The Fall and Rise of* Jerusalem-*Judah Under Babylonian Rule.* Winona Lake.

Lipschits, O. and J. Blenkinsopp, eds. 2003. *Judah and the Judeans in the Neo-Babylonian Period.* Winona Lake.

Vanderhoof, D. S. 1999. *The Neo-Babylonian Empire and Babylon in the Latter Prophets.* Atlanta.

The Persian period: archaeology and history of Yehud

Berquist, J. L. 1995· *Judaism in Persia's Shadow. Minneapolis.*

Carter, C. E. 1999- *The Emergence of Yehud in the Persian Period.* Sheffield.

Davies, P. R., cd. 1991. *Second Temple Studies I: The Persian Period.* Sheffield.

Eskenazi, T. C., and K. H. Richards, eds. 1994. *Second Temple Studies 2: Temple and Community in the Persian Period.* Sheffield.

Stern, E. 1982. *Material Culture of the Land of the Bible in the Persian Period, 538-332 BCE.* Warminster.

The Samaritans

Crown, A. D., ed. 1989. *The Samaritans.* Tübingen.

Pwnmer, R. 1987. *The Samaritans.* Leiden.

Purvis, J. 1968. *The Samaritans Pentateuch and the Origin of the Samaritan Sect. Cambridge, Mass.*

The Samaritan Temple on Mount Gerizim

Stern, E., and Y. Magen. 2002. Archaeological Evidence for the First Stage of the Samaritan Temple on Mount Gerizim. *Israel Exploration Journal 52 :49-57.*

Messianic expectations in the exilic period

Collins, J. J. 2003. The Eschatology of Zechariah. In L. L. Grabbe and R. D. Haak, eds., *Knowing the End from the Beginning: The Prophetic, the Apocalyptic and Their Relationships, 74-84.* London.

Meyers, ·E. M. 1996. Messianism in First and Second Zechariah and the "End" of Biblical Prophecy. In J. E. Coleson and V. H, Matthews, eds., *"Go to the Land I Will Show You": Studies in Honor of Dwight W. Young, 127-42.* Winona Lake.

Rose, W H. 2000. *Zemah and Zerubbabel.* Sheffield.

The books of Chronicles

Graham, M. P., K. G. Hoglund, and S. L. McKenzie, eds. 1997. The *Chronicler as Historian.* Sheffield.

Graham, M. P., and S. L. McKenzie, eds. 1999. *The Chronicler as Author: Studies in Text and Texture.* Sheffield.

Graham, M. P., S. L. McKenzie, and G. N. Knoppers, eds. 2003. *The Chronicler as Theologian: Essays in Honor of Ralph W. Klein.* Sheffield.

Japhet, S. 1997. *The Ideology of the Book of Chronicles and Its Place in Biblical Thought. Frankfurt.*

Noth, M. 1987. *The Chroniclers' History.* Sheffield.

David and Solomon in Chronicles

Abadie, p. 1994. Le fonctionnement symbolique de la figure de David dans l'oeuvre du Chronistc. *Transeuphratene 7:143-51.*

Dillard, R. B. 1984 The Literary Structure of the Chronicler's Solomon. *Journal for the Study of*

the Old Testament 30: 85-93.

Edelman, D. 2001. Did Saulide-Davidic Rivalry Resurface in Early Persian Yehud? In A. J. Dearman and P. M. Graham, eds., *The Land That I Will Show You: Essays in History and Archaeology of the Ancient Near East in Honour of J. Maxwell Miller, 69-91.* Sheffield.

Knappers, G. N. 1995- Images of David in Early Judaism: David as Repentant Sinner in Chronicles. *Biblica 76:449-70.*

———.*2003.* "The City Yhwh Has Chosen": The Chronicler's Promotion of Jerusalem in the Light of Recent Archaeology. In A G. Vaughn and A E. Killebrew, eds., Jerusalem *in Bible and Archaeology: The First Temple Period, 307-26.* Atlanta.

Throntveit, M. A. 1997. The Idealization of Solomon as the Glorification of God in the Chronicler's Royal Speeches and Royal Prayers. In L. K. Handy, ed., *The Age of Solomon: Scholarship at the Turn of the Millennium, 411-27.* Leiden.

Van Seters, J. 1997. The Chronicler's Account of Solomon's 'Temple Building: A Continuity Theme. In P. M. Graham, K G. Hoglund, and S. L. McKenzie, eds., *The Chronicler as Historian, 283-300.* Sheffield.

Williamson, H. G. M. 1991. The Temple in the Books of Chronicles. In

W Horbury, ed., *Templum Amicitiae: Essays on the Second Temple Presented to Ernst Bammel, 15-31.* Sheffield.

Wright, J. W. 1998. The Founding Father: *The Structure of the Chronicler's David Narrative. Journal of Biblical Literature 117:45-59.*

David in the psalms

Cooper, A. M. 1983. The Life and Times of King David According to the Book of Psalms. In R. E. Friedman, ed., *The Poet and the Historian: Essays in Literary and Historical Biblical Criticism, 117-31. Chico.*

Mays, J. L. 1986. The David of the Psalms. *Interpretation 40: 143-55.*

CHAPTER 8. MESSIANIC VISIONS

Messianic expectations in the Bible, Second Temple Judaism, and Christianity

Charlesworth, J. H., H. Lichtenberger, and G. S. Oegema, eds. 1998. *Qumran - Messianism.* Tübingen.

Collins; J. J. 1995. *The Scepter and the Star: The Messiahs of the Dead Sea Scrolls and Other Ancient Literature.* New York.

Evans, C. A., and P. W. Flint, 1997. *Eschatology, Messianism and the Dead Sea Scrolls. Grand Rapids.*

Green, D. E. 1980. *Messianic Expectations in the Old Testament.* Philadelphia.

Hess, R. S. and Carroll, M. D., eds. 2003. *Israel's Messiah, in the Bible and the Dead Sea Scroll". Grand Rapids.*

Neusner,]., W. S. Green, and E. S. Frerichs, eds. 1987- *Judaism and Their Messiah at the TU17l of the Christian Era.* New York.

Oegema, G. S. 1998. *The Anointed and His People: Messianic Expectations from the Maccabees to Bar Kochba.* Sheffield.

Pompykala, K. E. 1995. *The Davidic Dynasty Tradition in Early Judaism: Its History and Significance for Messianisms.* Atlanta.

Reventhrow, H. G., ed. 1997. *Eschatology in the Bible and in Jewish and Christian Tradition.* Sheffield.

The Wisdom of Solomon

Grabbe, L. L. 1997. *Wisdom of Solomon.* Sheffield.

The Psalms of Solomon

Atkinson, K 2004.*I Cried to the Lord: A Study of the Psalms of Solomon Historical Background and Social Setting.* Leiden.

Franklyn, P. N. 1987. The Cultic and Pious Climax of Eschatology in the Psalms of Solomon. *Journal for the Study of Judaism in the Persian, Hellenistic and Roman Periods 18:1-17.*

Jonge, M. de. 1991. The Expectation of the Future in the Psalms of Solomon. *In Jewish Eschatology, Early Christian Christology and the Testaments of the Twelve Patriarchs: Collected Essays, 3-27.* Leiden.

Trafton, J. L. 1994. The Psalms of Solomon in Recent Research. *Journal for the Study of the Pseudepigrapha 12:3-19.*

David in the Dead Sea Scrolls

Atkinson, K. 1998. On the Herodian Origin of Militant Davidic Messianism at Qumran: New Light from Psalm of Solomon *17. Journal of Biblical Literature 108:435-60.*

De Roo, J. C. R. 1999. David's Deeds in the Dead Sea Scrolls. *Dead Sea Discoveries 6:44 -65.*

Evans, C. A. 1997. David in the Dead Sea Scrolls. In S. E. Porter and C. A. Evans, eds., *The Scrolls and the Scriptures: Qumran Fifty Years After, ,183-97.* Sheffield.

Messianic figures in Roman Judea

Hengel, M. 1989. *The Zealots: Investigations into the Jewish Freedom Movement in the Period from Herod I until 70 A.D.* Edinburgh.

Horsley, R. A. 1992. *Jesus and the Spiral of Violence.* Minneapolis.

Horsley, R. A., and P. S. Hanson - 1985. *Bandits, Prophets, and Messiahs: Popular Movements in the Time of Jesus.* Minneapolis.

Solomon as magician

Torijano, P. A. 2002. *Solomon the Esoteric King: From King to Magus, Development of a Tradition.* Leiden.

The Testament of Solomon

Duling, D. C. 1988. The Testament of Solomon: Retrospect and Prospect. *Journal for the Study of the Pseudepigrapha 2: 87-112.*

David and Solomon in the works of Flavius Josephus

Feldman, L. H. 1989. Josephus' Portrait of David. *Hebrew Union College Annual 60: 129-74.*

———. *1995.* Josephus' Portrait of Solomon. *Hebrew Union College Annual 66: 103-67.*

Jesus, David, and Solomon

Bowman, J. 1984-85. Solomon and Jesus. *Abr-Nahrain 23:1-13.*

Charlesworth, J. H. 1997. The Son of David: Solomon and Jesus (Mark 10:47). In P. Borgen and S. Giversen, eds., *The New Testament and Hellenistic Judaism, 72-87. Peabody.*

Chilton, B. 1982. Jesus' ben David: Reflections on the Davidssohnfrage. *Journal for the Study of the New Testament 14:88-112.*

Paffenroth, K. 1999. Jesus as Anointed and Healing Son of David in the Gospel of Matthew. *Biblica 80: 547-54.*

Smith, S. H. 1996. The Function of the Son of David Tradition in Mark's Gospel. *New Testament Studies 42:523-39.*

David and Solomon in rabbinic literature

Bassler, J. M. 1986. A Man for All Seasons, David in Rabbinic and New Testament Literature. *Interpretation 40:156-69.*

Shimoff, S. R. 1997. The Hellenization of Solomon in Rabbinic Texts. In L. K. Handy, ed., *The Age of Solomon: Scholarship at the Turn of the Millennials, 457-69-* Leiden.

David and Solomon in the literature of the church fathers

Wojcik, J. 1981. Discriminations Against David's Tragedy in Ancient, Jewish and Christian Literature. In R.-J. Frontain and J. Wojcik, eds., *The David Myth in Western Literature, 12-37. West Lafayette.*

EPILOGUE. SYMBOLS OF AUTHORITY

David and Solomon in medieval and modern art and literature

Fleminger, J. 2002. *Behind the Eyes of David. Sussex.*
Frontain, R-J., and J. Wojcik, eds. 1981. *The David with in western Literature. West Lafayette.*
Hourihane, C., ed. 2002. *King David in the Index of Christian Art.* Princeton.

شكر وتقدير

نحن مدينون في بحث وكتابة هذا التحليل لداود وسليمان في التراث في سياقها الأثري والتاريخي، بالشكر لعديد من الزملاء والأصدقاء الذين قدموا مساعدة قيمة ونرحب بالنصيحة. ومن بين الذين ناقشوا معنا تاريخ المشاكل التنظيمية أو مسودات الفصول التي تمت مراجعتها، نحن ممتنون بشكل خاص للأستاذ دونالد ليدفورد من جامعة ولاية بنسلفانيا، والأستاذ توماس رومر من جامعة لوزان، ود. عوديد ليبشيتس وجيدي ياهالوم من جامعة تل أبيب، ود. حنان إيشيل من جامعة بار هان.

ونتوجه بالشكر أيضًا إلى يوري سميرتينكو من معهد آثار علم الأحياء، في جامعة تل أبيب لتمكيننا من الحصول على الخرائط والرسوم التوضيحية التي تظهر في هذا الكتاب.

وكما هو الحال دائمًا، فقد قامت وكيلتنا كارول مان بتوجيه مفهومنا بمهارة منذ البداية. وكذلك بروس نيكولز، محررنا المتفرغ الذي قدم مرة أخرى أفكاره التحريرية الحكيمة بلا كلل، وساعدنا بشكل كبير بقلمه التحريري الماهر.

عائلاتنا : جويل وأدار وساراي فينكلشتاين، وإلين و مايا سيلبرمان الذين أظهروا صبرهم وتفهمهم خلال أشهر من السفر والبحث والكتابة وإعادة الكتابة والمهاتفات الدائمة بيننا. ولا يسعنا إلا أن نأمل أن نتائج عملنا تبرر ثقتهم المستمرة بنا.

23 تموز 2005

داود وسليمان

البحث عن ملوك التوراة المقدسين
وجذور التراث الغربي

حاول الكاتبان أن يتتبّعا قصةَ داودَ وسليمانَ باعتبارهما أساسًا لأهمِّ مرتكزاتِ فهمِ السلطة منذ العصر الحديدي إلى ذروة المجد الملكيِّ في أوروبَّا، فشرحا ببلاغةٍ كيف أنَّ حكاياتٍ وقعت في الألف الأولى قبل الميلاد في تلالٍ موحشةٍ مقفرةٍ شرق المتوسط مشكوكٍ في صحة معظمها، ستكون الدليلَ الإرشاديَّ لأجيالٍ من أعاظم الأباطرة والملوك لثلاثة آلافِ سنةٍ قادمة.

إنَّ الثنائيَّ فينكلشتاين - سيلبرمان يقدِّمان نظريةً هي أخطرُ من الأساس الذي قامتْ عليه الصهيونيةُ بمراحلَ، يمكن تسميتها بفوق صهيونيةٍ. فإنْ كان الصهاينةُ يؤكدون على حقِّهم في فلسطين نتيجة الحقِّ التاريخي منذ غزو يشوعَ المزعومِ لها نهايةَ العصر البرونزي، فإنَّ الثنائيَّ يقدمان نظريةً مخالفة تؤكد أنَّ الإسرائيليين كانوا هم أهلَ الأرض منذ اللحظة الأولى. ففي رأيهما أنَّ الإسرائيليين لم يأتوا إلى فلسطينَ في صورة فاتحين غزاةٍ من الخارج-كما تقول التوراة-وإنَّما انبثقوا ونبتوا من داخل هذه البلاد، فهم السكانُ الأصليُّون، وهم ليسوا بوافدين ولا مهاجرين.



دار قناديل للنشر والتوزيع
العراق - بغداد - شارع المتنبي
00964771131929
ganadel.1986@gmail.com

